الجامعة الإسـلامية ــ غــزة
عمــادة الدراســات العليــا
كلية الآداب ــ قسم اللغة العربيــة
تخــصص الأدب والنقــد والبلاغــة

# الطرفة في الأدب الفلسطيني
## دراسة تحليلية

رسالة الماجستير مقدمة من الطالب
صالح محمد سليمان الحمارنه

إشراف الأستاذ الدكتور
نبيل خالد أبو علي

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

العام الجامعي

٢٠٠٣ - ٢٠٠٤

# إهداء

إلى روح كل شهيد قضى في سبيل الله،

مدافعاً عن مقدسات فلسطين وثراها الغالي .

# شكر وامتنان

أَما وقد مَنَّ الله عليّ بإنجاز هذا البحث الذي استغرق عاماً ونصف العام، فإنه يطيب لي أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم العرفان لأستاذي والمشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور/ نبيل خالد رباح أبو علي، الذي لم يدخر جهداً في توجيهي وإرشادي، ولم يبخل عليّ بنصح أو مشورة، وفتح لي باب مكتبته الخاصة، أتناول منها ما أشاء من كتب، أنارت لي الدرب، وذللت الكثير من العقبات، سائلاً المولى- جلت قدرته وعلت منزلته- أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية، ويطيل عمره، ويبقيه ملاذاً لطلاب العلم والمعرفة، كما أتوجه بخالص التقدير والامتنان للدكتورين الجليلين نصر عباس ويوسف الكحلوت، اللذين تجشما عناء قراءة هذا البحث، وأثرياه بسديد اقتراحاتهما، ونافع توجيهاتهما، والشكر موصول لكل أساتذة اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية، مَن نالني شرف التتلمذ عليه والتعرف إليه، ومَن لم أَحظ بمعرفته، حيث وقفوا جميعاً بجواري مساندين ومشجعين، وأخص بالذكر الدكتور جهاد العرجا، والدكتور صلاح البردويل، والدكتور محمد البع، والدكتور عبد الهادي برهوم، والدكتور يوسف رزقة، والدكتور محمد تيم، والأستاذ الدكتور محمد علوان، والدكتور عبد الخالق العف، والأستاذ الدكتور محمود العامودي، ومن خارج الكلية الدكتور كمال غنيم، متمنياً للجميع استمرار الرفعة، ودوام التقدم والازدهار. ويسعدني أيضاً أن أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية، ومكتبة جامعة الأقصى، ومكتبة بلدية رفح، ومكتبة وكالة الغوث الدولية، حيث لمست منهم كل تعاون واهتمام، فوفروا عليّ الوقت والجهد، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء وأكثر من أمثالهم، ولا يفوت شكري أن يطال الأهل والأصدقاء والجيران، وكل مَن سعدت بمعونته، ونالني دعمه ومؤازرته، راجياً ربي أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، خدمة للأدب الفلسطيني، وسعياً لحفظه من الضياع والاندثار.

## فهرس الموضوعات


| | |
|---|---|
| المقدمة | ١ |
| التمهيد | ١٠ |
| - الطرفة في الآداب العالمية | ١١ |
| - علاقة الطرفة بالعلوم الأخرى | ٣٩ |
| - علاقتها بأشكال التعبير الأدبي | ٤٢ |
| **الفصل الأول: المفهوم والوظيفة** | **٤٦** |
| - مفهوم الطرفة | ٤٧ |
| - بواعث الطرفة | ٥٤ |
| - علاقتها بقضايا المجتمع | ٧٢ |
| **الفصل الثاني: البنية الموضوعية** | **٧٣** |
| - المستوى السياسي | ٨٢ |
| - المستوى الاجتماعي | ٨٥ |
| - المستوى الاقتصادي | ٩٢ |
| - مستويات أخرى | ٩٤ |
| **الفصل الثالث: البنية الشكلية (مقومات الطرفة)** | **١١٨** |
| - السرد والحوار | ١١٩ |
| - الإيجاز والحذف | ١٢٧ |
| - السخرية | ١٣٠ |
| - الرفض | ١٤٠ |
| - المفارقة | ١٤٥ |
| **الفصل الرابع: السمات الفنية** | **١٥١** |
| - البنية اللغوية | ١٥٢ |
| - البنية الإيقاعية | ١٥٩ |
| - البنية التصويرية | ١٦٦ |
| **الفصل الخامس: الشخصية الفلسطينية في الطرفة** | **١٧١** |
| - الدافع النفسي الفردي وسيكولوجية الضحك | ١٧٢ |
| - الباعث النفسي الجمعي وعلاقته بالنقد الساخر | ١٧٩ |
| - النقد الهادف وأشكال الرفض وعلاقتهما بالتشاؤم والتفاؤل | ١٨٢ |
| - الطرفة والملامح العامة للشخصية الفلسطينية | ١٨٧ |
| - الخاتمة | ١٩٥ |
| - أهم نتائج البحث | ١٩٧ |
| - فهرس المصادر والمراجع | ١٩٩ |

# المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فلا أخفي أنني كنت توجست خيفة من الإقدام على اختيار هذا البحث بالذات، ذلك لأنه استقر في أذهان الغالبية من الناس، أن الطرفة لا تعني إلا الضحك الذي يقود إلى البعد عن الرصانة والاتزان، بل ربما أدرجها البعض في إطار الهزل، وجملة اللغو الذي لا طائل منه، ولا فائدة من ورائه، وغاب عن بالهم أن الطرفة الرصينة- بالإضافة إلى ما تشيعه من أجواء المرح والانبساط- تعالج قضايا الأمة، وتسلط الأضواء على همومها وآلامها، وتصور الحياة الاجتماعية عند الأقوام بكل دقائقها، وتفاصيلها، فهي مرآة المجتمع، ذلك أنها تصور الكثير من جنباته ونفسيات أهله وهي (خير مرآة تنعكس عليها أحوال كل مجتمع، وما مرّ به من أحداث، وما اكتسب من مقومات، وما اندمج في خلقه من سمات)(١).

كما أنها تتعرض لما يعانيه المجتمع من مشاكل بالتلميح الهادف، أو التعريض اللاذع، فهي ليست لهواً فارغاً، ولا عبثاً رخيصاً، ولا شيئاً مبتذلاً، بل لن أكون مغالياً إذا قلت إن الطرفة من أقدر ألوان الأدب تعبيراً عن هموم الواقع، ومعاناة الشعوب، ذلك أنها نتاج أدبي ينبع من دافع نفسي جمعي، كما أنها من أكثر ألوان الأدب جرأة وجسارة في نقد المجتمع، وذوي الجاه، وأصحاب النفوذ والسلطان، حيث تعتمد في تصوير الواقع، أو التعبير عن المعاناة، على المعاني المزدوجة التي تتكيء على البراعة اللغوية، لأنها وسيلة لنقل خبر، أو إدراك شيء بأسلوب مجازي لا يعتمد المعنى المباشر، ثم هي من أكثر الأجناس الأدبية شيوعاً وانتشاراً، لما تثيره من دواعي السخرية والتهكم والاستهزاء، وذلك لسهولة حفظها، وسرعة ترديدها وانتشارها بين الناس، يقول "النويري" مشيداً بأهميتها (وهذا الباب مما تتجذب النفوس إليه، وتشتمل الخواطر عليه، فإن فيه راحة للنفوس إذا تعبت وكلت، ونشاطاً للخواطر إذا سئمت وملت، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال، فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان، ولاطفتها بالفكاهات في أحد الأزمان، عادت إلى العمل الجد بنشطة جديدة، وراحة في طلب العلوم مديدة)(٢). كما أن الطرائف كذلك (تعلّم الإنسان التسامح، ورحابة الصدر، وسعة الأفق)(٣). إنها وثيقة سجلت من خلالها الشعوب واقعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، كما لا يجوز أن يُغفل دورها في التعبير الصادق

---

(١) د. زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٩٢.

(٢) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الرابع، دار الكتب، القاهرة (بدون تاريخ)، ص١.

(٣) خالد القشطيني: سجل الفكاهة العربية، الطبعة الأولى، دار الكرمل، عمان ١٩٩٣، ص١٧٤.

عن قضايا الشعب، والأمراض النفسية التي يصاب بها الأفراد، كالحمق والجبن والغرور والبخل والأنانية وغيرها من العادات الذميمة، والخصال القبيحة، وهي تصور في كثير من الأحيان قطاعات عديدة من المجتمع، وتحلل كثيراً من نوازع النماذج البشرية، كما أنها تروّح عن النفس، وتزيل الهم عن قلب المغموم، وترسم على الشفاه الفرح والسرور، وتخفف من أثقال الحياة، وتقلل من أعباء الواجبات المنوطة بالإنسان، وتبعد شبح الانطوائية، وتساعد على الهروب من عناء الواقع، والاستمتاع بلذة الحياة، وتصرف الألم والمشقة عن الإنسان، وبالتالي فهي تعيد إلى النفس التفاؤل والأمل والصفاء (لأن النفس المطبوعة على الرحمة، أو على حسن الذوق، تجد في الملهاة منصرفاً لما تنطوي عليه من العطف والشوق إلى الكمال، واجتناب التشويه)[1]. وكلما كانت الطرفة تحمل روح الفكاهة، وأسلوب السخرية والاستهزاء، كلما كان لها مذاق خاص، وكان وقعها على النفوس أشد وأقوى، وكل طرفة تلمس قضية سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية بطريقة ذكية هادفة، تكتسب أهمية عظمى، إذ تعد تسجيلاً صادقاً للواقع الاجتماعي، ومعايشة لحياة فئات من الناس، وما يعانون من مشاكل وصعوبات، وما تضطرب به معاملاتهم وعلاقاتهم من غش وخداع ولؤم.

وليس الهدف الرئيس من إعداد هذه الرسالة هو البحث عن الضحك، وتلمس التسلية والترويح فقط- على الرغم من بالغ أهميتها وعظيم فائدتها- وإنما البحث عن الطرفة التي تحمل مضموناً هادفاً، وتؤدي رسالة خيّرة، وتنوب عن الأمة في إيصال همومها وتطلعاتها.

وهكذا تصبح الطرفة أداة من أدوات الإصلاح، ودرء المفاسد، والقضاء على الجور والبطش، وحافزاً على تخليص المجتمع من عيوبه وأدرانه، عن طريق تكثيف الشعور بالازدراء والمهانة من الموضوع الذي يضحك منه. إن جل غاية هذا البحث تقصي الطرفة المفيدة الجادة، التي تحسن معالجة الأمور بالتهكم الدال، والتفكه المباح، والسخرية اللاذعة، ذلك أنه ثبت بالدليل أن السخرية المرَّة تعد من الأدوات الهامة في التأثير على القارئ، وجذب انتباهه، ولفت نظره، ولقد أضحى ثابتاً أن الطرفة تعبر عن قضايا المجتمع، وتسجل أحداث العصر تسجيلاً أميناً، لذا فمن أراد أن يقف على الحياة الاجتماعية لدى أمة من الأمم، ويعرف تفاصيلها، فعليه بالطرائف، فهي النافذة التي يطل منها المرء على أنماط الحياة، ويرصد من خلالها الواقع الإنساني بأدق تفاصيله. وهكذا فلا خلاف في أن الطرفة غدت لوناً من ألوان النقد البناء للظواهر غير السوية في الحياة. ولطالما ظُلمت الطرفة حيث عاب هذا الفن الكثيرون ممن لم يتعمقوه، ولم يحاولوا كشف أبعاده، وفك رموزه، والتعرف إلى أهدافه، بل

---

[1] عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك، دار الهلال، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٤٠.

ليس بعيداً أن يقال إن من أراد التعرف إلى ملامح الشخصية، والغوص في أعماقها لدى شعب من الشعوب، ومعرفة كل ما له صلة بالناحية النفسية لهذا الشعب، فالأجدر به أن يعود إلى الطرائف، فهي خير وسيلة، وأنجع طريقة، لفهم الجوانب النفسية، وسبر أعماق الشخصية، واستجلاء العالم النفسي للإنسان، حيث تتتبّع الطرفة أسرار النفس، وتحلل طبائع البشر، وتقف على دوافع سلوكهم ونزعاتهم، وهكذا يصبح هدف الباحث التنقيب عن الطرفة التي تعالج قضية فكرية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، من زاوية خاصة، وبأسلوب معين، حيث لا تقل أهميتها -والحالة هكذا- عن الألوان الراقية من الكتابات الأدبية الجادة، فأحياناً تغني الطرفة الرصينة عن مقالة كاملة، أو قصيدة طويلة. وإذا كان البعض يتحفظ على الطرفة، وما تولده من ضحك، ذلك لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- أشار إلى أن الضحك يميت القلب، فإن أمر الكراهة هنا ينصب على الإفراط فيه والمبالغة، أو أن يكون سببه كذبة أو فريّة، لقد ورد عن الصادق المصدوق- عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- أنه (كان يضحك حتى تبدو نواجذه)[١].

كما حضّ - عليه السلام- على الضحك الذي من شأنه الترويح عن النفس، والتسرية عنها، حينما قال (روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت)[٢].

ولما استهجن الصحابة- رضوان الله عليهم- مداعبة المصطفى لهم، وميله إلى الفكاهة، وضح لهم منهاجه في الضحك، فعن "أبي هريرة" رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك لتداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقاً)[٣].

ولم ينكر الرسول الكريم- عليه أفضل الصلاة- ضحك الصحابة، وتفكهم المباح، فهذا صاحب "العقد الفريد" يقول (إن محمد بن سيرين كان يضحك حتى يسيل لعابه)[٤].

وقال الحسن البصري- رضي الله عنه- (حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور)[٥].

بل إن الضحك (نعمة من نعم الله على الإنسان ليعبر به عن سروره، وفرحه، وارتياحه، وأنه مُنح له دون سواه من المخلوقات، ليسمو به على غيره)[٦]. وفي معرض ثنائه على أهمية

---

[١] ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٧٩، ص٢١.

[٢] نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤/١ وينظر كذلك سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٢٦٨.

[٣] زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي: غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٨- ١٩٩٧، ص٢٩.

[٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرح عبد السلام هارون وزملائه، المجلد السادس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٨- ١٩٤٩، ص٣٧٩.

[٥] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، القسم الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة د. عبد القادر القط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (بدون تاريخ)، ص١١٦.

[٦] صالح خريسات: سيكولوجية الضحك، دار آفاق، الطبعة الأولى، عمّان (بدون تاريخ)، ص٢٦-٢٧.

الضحك وفائدته، يقول أحد المهتمين بشأن الفكاهة، والأدب الضاحك إن الطرائف (تمثل جانباً من ثقافتنا العربية، وتراثنا العربي، ولغتنا الفصيحة، ونحن نستفيد بفوائد النوادر الكثيرة، إذ أنها حدائق دانية القطوف لمن يجني ثمرها، وملهى للسمع، ومرتع للنظر، وسكن للروح، ولقاح للعقل، وسمير في الوحدة، وأنيس في الوحشة، وصاحب في السفر)[١]. كما أن الفكاهة (أداة خاصة للبراعة واللباقة الاجتماعية، حيث يمكن من خلالها تلطيف غضب الآخرين وهجومهم السلبي، وتحويله إلى حالة إيجابية، ونوع جديد من العلاقة المشتركة)[٢].

وما أحوجنا هذه الأيام- على وجه الخصوص- إلى اللجوء إلى الطرائف الجادة، التي لا ابتذال فيها ولا سفه، حيث تكالبت علينا الهموم، وتقاطرت علينا الأحزان، فبتنا في حاجة إلى ما يسري عن النفس أعباءها، ويمحو عنها قلقها، وتعاستها، حيث أصبح- في حكم المؤكد- أن في الطرائف فائدة للجسم والنفس على السواء، بل إن الضحك الناشئ عن الطرائف (ظاهرة إنسانية، أو هو فضيلة قد اختص بها البشر، وربما يكون الله تعالى، قد جاد بها عليهم حتى يعزّيهم عما لديهم من ذكاء وقدرة عقلية)[٣].ولا غرابة أن نرى بعد ذلك "الجاحظ"- وهو أستاذ من كتبوا حول الأدب الفكاهي- يعلق أهمية كبرى على الأدب الضاحك المسؤول، وذلك في افتتاحية "البخلاء"، حيث يقول (ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك، لما قيل للزهرة والحبرة والحلي والقصر المبني: كأنه يضحك ضحكاً، وقد قال الله جل ذكره: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [٤] فوضع الضحك بمحاذاة الحياة، ووضع البكاء بحذاء الموت، وإنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح، ولا يمنّ على خلقه بالنقص، وكيف لا يكون موضعه من سرور النفس عظيماً، ومن مصلحة الطباع كبيراً، وهو شيء في أصل الطباع، وفي أساس التركيب، لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه، الذي هو علة سروره، ومادة قوته)[٥].

ولقد ذهب "الجاحظ" - في معرض امتداحه للأدب الضاحك- مذهباً جعله ينظر إلى الضحك على أنه وقار ورزانة، يقول (ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي جعل الضحك، صار المزح جداً، والضحك وقاراً)[٦].

---

[١] أحمد عبد التواب عوض: نوادر الأعراب، دار الفضيلة، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٥-٦.

[٢] د. شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٩، مطابع السياسة، الكويت ٢٠٠٣، ص٣٢.

[٣] د. حسن خريوش: أدب الفكاهة الأندلسي، منشورات جامعة اليرموك، الأردن (بدون تاريخ)، ص٦.

[٤] النجم: الآية: ٤٣-٤٤، المعجم المفهرس لكلمات القرآن الكريم، تنقيح مروان نور الدين سوار وزميله، دار الفجر الإسلامي، ط١، دمشق ١٤١١- ١٩٩١.

[٥] الجاحظ: البخلاء، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٦٩، ص١٤.

[٦] السابق، ص١٥.

وقد التفت الشعراء إلى أهمية الدعابة، وبينوا فائدة الفكاهة، وسجلوا رأيهم في كل ما يحدث في هذا الشأن، يقول أبو نواس[١]:

أُروّح القلبَ ببعضِ الهزلِ تجاهــلاً منّي بغـيرِ جهـلِ
أَمْزَحُ فيه مَزَحَ أهلِ الفضلِ والمزحُ أَحياناً جـلاءَ العقـلِ

وأنشد أبو الفتح البستي[٢]:

أَفِدْ طبعَك المكدود بالجدِّ راحةً، يجُـمُّ، وعلّلـه بشـيء مـن المـزحِ
ولكن، إذا أعطيتَه المزحَ، فليكنْ بمقدارِ ما تُعطي الطعامَ من الملْحِ

وقد مدح "أبو تمام" المرح في موضعه، كما مدح الجد في موضعه، يقول[٣]:

الجدُّ شيمتُه وفيهِ فكاهةٌ سُجُحٌ ولا جدٌّ لِمَن لَمْ يَلْعَبِ

ويؤكد على أهمية الأدب الفكاهي الرصين، صاحب موسوعة الأدب الضاحك حينما يقول (إنه مظهر من مظاهر الرقي الأخلاقي والدماثة، وبرهان على صفاء الذهن، وتوقد العبقرية)[٤].

ومن علمائنا الأجلاء الذين أولوا عناية بالأدب الفكاهي، وبكل ما يروّح عن النفس، ويسرّي عنها، "أبو حيان التوحيدي"، قال مدافعاً (وربما عيب هذا النمط كل العيب، وذلك ظلم، لأن النفس تحتاج إلى بشر، وقد بلغني أن "ابن عباس" كان يقول في مجلسه بعد الخوض في الكتاب والسنّة والفقه والمسائل: احمضوا، وما أراه أراد بذلك إلا لتعديل النفس، لئلا يلحقها كلال الجد، ولتقتبس نشاطاً في المستأنس، ولتستعد لقبول ما يرد عليها فتسمع)[٥]. وقد فطن إلى ذلك خاتم الأنبياء- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه- (أن رسول الله كان يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا)[٦]. أي أنه- صلى الله عليه وسلم- كان يتعهد أصحابه بالموعظة بين الحين والآخر، خوفاً عليهم من السآمة والرتابة. وليس هذا فقط، بل إن الضحك الصادق الصادر من القلب (يجدد النشاط، ويدفع الكآبة، ويعبر عن حاجة النفس إلى الانطلاق، والانعتاق من أسرار الكبت، ورتابة الحياة، وملالة الواقع)[٧].

---

[١] نوادر أبي العيناء ومخاطباته من كتاب نثر الدرر في المحاضرات للآبي، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، ط١، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢م، ص٢٨.

[٢] ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب وزميلها، دمشق ١٤١٠- ١٩٨٩، ص٥٩.

[٣] ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، دار المعارف، ط٥، القاهرة (بدون تاريخ)، ص١٠٢.

[٤] علي مروة: موسوعة الأدب الضاحك، دار الشفق، بيروت (بدون تاريخ)، ٩/١.

[٥] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، صححه وضبطه أحمد أمين وزميله، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (بدون تاريخ)، ص٦٠.

[٦] بهجة المجالس، ص١١٥.

[٧] د. يحيى شامي: أبو دلامة وأبو العيناء، دار الفكر العربي، ط١، بيروت ١٩٩٢، ص٥.

وعن طريق الطرائف- وما تحمله في طياتها من سخرية لاذعة وتهكم موجع- واجهت الشعوب المضطهدة المحتلين، حيث أرقت ليلهم، وأقضت مضاجعهم، وأزعجتهم أيما إزعاج، حيث تحولت السخرية في كثير من الأحيان إلى سلاح فتاك، يرهبه العدو، ويحسب له ألف حساب. والسخرية سلاح ناجح، تلجأ إليه الشعوب المحتلة، وتواجه به عدوها الذي يفوقها عدداً وعدة، وهي سلاح المضطهدين وقت الأزمات، توجهه وتشهره في وجوه القتلة والمجرمين، ومصاصي دماء الكادحين، كما أنها خير وسيلة من أجل (رصد سلبيات الواقع والانطلاق من إدراكها ومن الوعي بها وبمسبباتها نحو الفعل الإيجابي الذي يجب أن يكون)(١). ولم يغفل الأطباء وظيفة الضحك، وأهمية الفكاهة، فقالوا بعد التجربة والبرهان (إنه يؤدي إلى الصفاء الذهني، ويساعد على التركيز، ويمكّن الإنسان من مواجهة مصاعب الحياة، ويساعد على حل مشكلاتها، ويذهب الضيق والاكتئاب، ويقوي عضلات الصدر والقلب، ويقي الإنسان من الأمراض العصبية والنفسية).(٢)

ومما جاء في كلام بعض الأدباء: (.... ولنا مذهب في الدعابة جميل، لا يشوبه أذىً وقَذىً، يخرج بنا إلى الأُنس من العبوس، وإلى الاسترسال من القطوب، ويُلحقنا بأحرار الناس، الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء، وأنفوا من التشوف بالتصنع)(٣). فالدعابة- في رأيه- من عوامل اللحاق بالأحرار، وأنها تجنب المرء المداهنة، والرياء، والتصنع.

وبناءً على ما سبق يصبح جمع الطرفة وتحليلها، من أجل التعرف إلى ملامح الشخصية الفلسطينية، والغوص في أعماقها، لأجل الوقوف على النفسية الفلسطينية، والتعرف إلى أخلاق الشعب الفلسطيني، من أهم غايات هذه الدراسة.

## أهمية الموضوع:

لم تحظَ الطرفة العربية في فلسطين- كغيرها من ألوان الأدب- بالعناية، ولم يعرها القائمون على تدوين التراث الثقافي الفلسطيني الاهتمام المطلوب، ولمّا كانت دراسة الطرائف تمثل أولى الخطوات لمعرفة أخلاق الشعوب، وأوجه معاناتها، وواقعها المعيشي، ومن أجل إظهار قيمة الطرائف، وردّ الاعتبار إليها، وبغية حفظ وصيانة هذا الإرث الأدبي الثمين، ولملء فراغ يبدو واضحاً في المكتبة الفلسطينية، وقع الاختيار عليه، ليكون موضوع هذه الدراسة.

(١) د. عبد الرحمن بسيسو: استلهام الينبوع، مؤسسة سنابل، ط١، ١٩٨٣، ص٢٦٥.

(٢) شوقي محمد يوسف: فكاهات وطرائف، دار الفضيلة، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٦.

(٣) د. ظافر القاسمي: الحياة الاجتماعية عند العرب، دار النفائس، ط١، بيروت ١٣٩٨- ١٩٧٨، ص١٢٦.

هذا وقد حظيت الطرفة العربية بالعناية والاهتمام، وعكف على دراستها القدماء، وبعض المحدثين من الكتاب والأدباء، فتركوا لنا إرثاً تباهي به المكتبة العربية الإسلامية، من ذلك "الجاحظ" في كتابه الشهير "البخلاء"، و"ابن الجوزي" في كتابيه "أخبار الحمقى والمغفلين"، و"أخبار الظراف والمتماجنين"، وقد أفرد غيرهما فصولاً كاملة، جعلوها للأدب الفكاهي، من ذلك - على سبيل المثال - "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، و"العقد الفريد"، لابن عبد ربه، والأغاني للأصفهاني، و"تاريخ بغداد" للبغدادي، وكتاب "وفيات الأعيان" "لابن خلكان"، و"مروج الذهب" "للمسعودي"، و"جمع الجواهر في الملح والنوادر" للثعالبي، و"نكت الهميان ونكت العميان" "للصفدي"، و"زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري القيرواني، و"الهوامل والشوامل"، و"الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي"، و"روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" لمحمد بن حبان البستي، و"بهجة المجالس"، لابن عبد البر القرطبي، و"المستطرف" للأبشيهي، وغيرهم من القدماء. ومن المحدثين كتاب "جحا الضاحك المضحك" للعقاد، و"أقاصيص ونوادر أشعب" للحكيم، و"الفكاهة في مصر" للدكتور شوقي ضيف، والفكاهة في "الأدب" لأحمد الحوفي، و"أدب الفكاهة عند الجاحظ" للدكتور أحمد عبد الغفار عبيد، و"المختار" للأديب عبد العزيز البشري، وكتاب "النكتة السياسية" لعادل حمودة، وكلهم ينتمون إلى الجنسية المصرية. أما في الأردن فقد تناول الموضوع الدكتور "حسن خريوش" في كتابه الموسوم بـ "أدب الفكاهة الأندلسي"، وفي لبنان سُخّر أكثر من قلم لمعالجة الأدب الفكاهي، مثل كتاب "الفكاهة عند العرب" لأنيس فريحة، وكتاب "بغية العارف من مختار الحكم والأمثال والطرائف"، لحجر عاصي، وكتاب "أنت والفكاهة"، للكاتب آنف الذكر، وهناك كتاب "موسوعة الأدب الضاحك" لعلي مروة، وكتاب "نوادر أعلام الفكاهة" ليوسف مروة وغيرهم، كما لم يغفل الطرائف كذلك كتّاب المغرب العربي من أمثال الكاتب "بو علي ياسين" في كتابه "بيان الحد بين الهزل والجد"، وفي العراق نصادف كتاب "سجل الفكاهة العربية" للكاتب "خالد القشطيني"، وأما في فلسطين فلم تنل الطرائف نصيبها من الرعاية والاهتمام، ولم يُنظر إليها بعين الجدية والمهابة، "اللهم إلا في بعض المقالات الصحفية التي اشتملت عليها مجلة التراث والمجتمع، وبعض الصحف المحلية التي نشرت الطرفة - أحياناً -بقصد إثارة السخرية، ونقد الواقع، دون شرح أو تحليل في معظم الأحيان، يضاف إليها فصل من كتاب "الدار دار أبونا" للدكتور شريف كناعنة[1]. واستجابة لحاجة المكتبة العربية الفلسطينية لدراسة الطرائف، وتحليل مضامينها، سيبذل الباحث قصارى جهده للبحث عن الطرائف في مكامنها - سواء أكانت شعراً أم نثراً - حيث سيستجلي مضامينها ودلالاتها، ويتعرف إلى شخصيات قائليها، معتمداً المنهج التكاملي الذي يتناسب وهذه

[1] د. شريف كناعنة: الدار دار أبونا، مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية، ص٤٩٢.

الدراسة التي ستأخذ من المنهج النفسي ما يساعد على كشف جوانب الشخصية الفلسطينية، وتحديد ملامحها، ولن يغفل الباحث المنهج الاجتماعي وغيره من مناهج. وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، حيث وضح الباحث في المقدمة أهمية الطرائف في التعرف إلى شخصيات الأمم وثقافاتها وأخلاقها، وتحدث الباحث في التمهيد عن الطرفة في بعض الآداب العالمية، ثم أشار إلى العلاقة بين الطرفة وغيرها من العلوم، وأما الفصل الأول فقد شمل الحديث عن مفهوم الطرفة وبواعثها وعلاقتها بقضايا المجتمع، وخُصص الفصل الثاني للطرائف الفلسطينية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وجاء الفصل الثالث مقصوراً على الحديث عن مقومات الطرفة كالسرد والحوار والإيجاز والحذف والسخرية والرفض والمفارقة. وفي الفصل - ما قبل الأخير - تناول الباحث السمات الفنية للطرفة مشيراً إلى البنية اللغوية والإيقاعية والتصويرية للطرائف، وقُصر الفصل الخامس والأخير على الشخصية الفلسطينية وملامحها من خلال الطرائف، وفيه أَبان الباحث الدافع النفسي الفردي وسيكولوجية الضحك، والباعث الجمعي وعلاقته بالنقد الساخر، كما تناول - كذلك - النقد الهادف وأشكال الرفض وعلاقتيهما بالتفاؤل والتشاؤم، كذا الطرائف والملامح العامة للشخصية الفلسطينية.

وقد توصل الباحث بعد تمام هذه الدراسة إلى العديد من النتائج الهامة، يذكر منها:

أن الطرفة تدل على صاحبها، فمن خلال الطرائف يمكن معرفة سمات الشعوب وملامح الشخصيات. كما ثبت وقوف الأنظمة الظالمة في وجه الطرفة التي تستهدف الحكام بالنقد والتعرية. وثبت كذلك افتقار المكتبة الفلسطينية إلى الكتب التي تبحث في الشأن الفكاهي الفلسطيني. ومنها أيضاً أن العلاقة حميمة بين الطرائف وبين كثير من العلوم كعلم الاجتماع وعلم المخابرات وعلم النفس وغيرها من العلوم.

# التمهيد

**أولاً: الطرفة في الآداب العالمية.**

**ثانياً: علاقة الطرفة بالعلوم الأخرى.**

**ثالثاً: علاقتها بأشكال التعبير الأدبي.**

## الطرفة في الأدب العربي (العصر الإسلامي):

ميل المرء إلى الفكاهة والتندر، وشغفه باللهو والسمر، وحبه للانطلاق، أمور تعود كلها إلى الفطرة والغريزة، والثابت أن العرب أمة ضاحكة من القدم، فعرب الجاهلية عرفوا الأسواق التجارية كسوق "عكاظ"، الذي كان مخصصاً للتجارة، وإنشاد الشعر، وأغلب ظني أن هذا السوق كان عالج- بطريقة أو بأخرى- بعض ما عرفه عرب الجاهلية من نوادر، وحكايات مرحة، صحيح أنهم كانوا بدواً، ولكن البداوة لا تقف عائقاً أمام الفكاهة، لكن الثابت أيضاً، أن الفكاهة في العصر الجاهلي كانت شحيحة، ومنحسرة، وقليلة. ولكم حاول الباحث العثور على فكاهة جاهلية بالقدر الذي يسمح بالحديث عنها منفردة، ولكنه لم يفلح، وكل ما استطاع العثور عليه، هو ما ألفاه في "موسوعة الأدب الضاحك"، حيث أشار المؤلف إلى أن العرب كانوا (يحبون الضحك، ويهشون للضاحكين، وقد سموا أبناءهم: بالضحاك، وبسام، ووضاح، وبشر، وجذلان، وفرحان، وكانوا إذا مدحوا رجلاً قالوا: هو ضحوك السن، بسام العشيات، هش إلى الضيف، وإذا ذموه قالوا: هو عبوس الوجه، جهم المحيا، كريه المنظر، حامض الوجنة، كأنما وجهه بالخل منضوح، وكأنما أسعط خيشومه بالخردل، وهو كالح، وقطوب، وهو كريه، ومنقبض الوجه)[1]. الأمر الذي يجيز للباحث أن يحسب العصر الإسلامي هو أول عصور الفكاهة عند العرب، حيث راجت فيه الفكاهة البريئة وانتشرت، ولم تصطدم بأي عوائق تحد من تدفقها، أو تحاول اعتراضها، يقول عبد الغني العطري (راجت سوق الضحك في صدر الإسلام رواجاً عظيماً، وصار للظرفاء والضاحكين شأن أي شأن، فقد أخذ الخلفاء والأمراء والأثرياء، يدنون من مجالسهم أهل الظرف والنادرة، ليمتعوا أنفسهم بالنكتة الحلوة، والجواب اللاذع، والفكاهة التي تنتزع الضحك من الوجوه العابسة)[2]. ومن الذين اشتهروا بالفكاهة في هذا العصر "نعيمان الأنصاري"، وقد كان خفيف الظل، ظريفاً، وكان يلقى التشجيع من الرسول- عليه الصلاة والسلام- وقد أورد كتاب "نهاية الأرب" له هذه الطرفة التي نصها: (أنه أهدى إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جرّة عسل اشتراها من أعرابي، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: خذ الثمن من هاهنا، فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم- نادى الأعرابي: ألا أُعطى ثمن عسلي؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- "إحدى هَنَات نعيمان" وسأله لِمَ فعلت هذا؟ فقال: أردت برّك يا رسول الله، ولم يكن معي شيء، فتبسم -النبي صلى الله عليه وسلم- وأَعطى الأعرابي حقه)[3]. نعم لقد اشترى العسل للرسول- عليه السلام- وجعله يدفع ثمنه. ومن طرائفه كذلك ما رواه الدكتور "ظافر القاسمي" قال (وخرج

---

(1) موسوعة الأدب الضاحك، ١٠/١.

(2) عبد الغني العطري: أدبنا الضاحك، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٤، ص٥٥.

(3) نهاية الأرب، ٤/٤.

نعيمان هو "وسويبط ابن عبد الُعزَّى" و"أبو بكر الصديق" في تجارة قبل وفاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعامين، وكان "سويبط" على الزاد، فكان "نعيمان" يستطعمه فيقول حتى يجيء "أبوبكر"، فمرّ بركب من "نجران" فباعه "نعيمان" على أنه عبد له بعشر قلائص، وقال لهم: إنه ذو لسان ولهجة، وعساه يقول لكم: أنا حر. فقالوا: لا عليك، وجاؤوا إليه فوضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به، فلما جاء أبو بكر أُخبر بذلك، فردّه وأعاد القلائص إليهم، فضحك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سنة من ذلك).[1] لقد باع "نعيمان" "سويبطاً" لأهالي "نجران"، كما تباع العبيد، ليس لسبب إلا لأنه رفض أن يعطيه طعاماً إلا في حضرة أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- مما يدل دلالة قاطعة على أن نعيمان كان ممن يجيدون فن المقالب. وقد كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يتمازحون في حضرة النبي- صلى الله عليه وسلم- دونما تبرم أو إنكار (عن ربيعة بن عثمان، قال: دخل أعرابي على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- لنعيمان الأنصاري لو عقرتها فأكلناها، فإنا قد قرمنا إلى اللحم، وغرم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال: فعقرها نعيمان، فخرج الأعرابي، فرأى راحلته فصاح: واعُقْراه يا محمدّ! فخرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: من فعل هذا؟ فقيل له: نعيمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وقد حُفرت فيها خنادق، وعليها جريد، فدخل نعيمان في بعضها، فمرَّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يسأل عنه، فأشار إليه رجل ورفع صوته: ما رأيته يا رسول اللهّ وأشار بإصبعه حيث هو، قال: فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد سقط على وجهه السعف، وتغير وجهه، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلوك عليّ يا رسول الله هم الذين أمروني، قال: فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يمسح وجهه ويضحك، قال: ثم غرمها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- للأعرابي)[2]. وبهذا أُسدل الستار على مقلب آخر مضحك من مقالب هذا الصحابي الجليل.

ومن فكاهات السلف الصالح ما يروى (قال "عمرو بن العاص" "لمعاوية" رأيت البارحة في المنام كأن القيامة قد قامت، ووضعت الموازين، وأحضر الناس للحساب، وأنت واقف قد ألجمك العرق، وبين يديك صحف كأمثال الجبال، فقال "معاوية": فهل رأيت شيئاً من دنانير مصر؟)[3]. والمغزى أن عمْراً عرض لذنوب "معاوية" الكثيرة، و"معاوية" عرض باستغلال "عمرو بن العاص" لولايته على مصر.

---

[1] الحياة الاجتماعية عند العرب، ص١٢٤ "وينظر كذلك سجل الفكاهة عند العرب"، ص١٤٠.

[2] غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، ص٣٢.

[3] السيد عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر، ط١، ليبيا ١٣٩٧- ١٩٨٨، ص٦٩ وينظر كذلك موسوعة الأدب الضاحك، ٤٠/٦.

ومن مشاهير الفكاهة وأعلامها في العصر الإسلامي "ابن أبي عتيق"، ومن طريف ما يروى عنه أنه (لقي عمته السيدة عائشة وهي على بغلة، فقال لها: إلى أين يا أماه؟ قالت: لأصلح بين حييّن تقاتلا، فقال: عزمتُ عليك ألا رجعتِ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل، حتى نرجع إلى يوم البغلة)[١]. في إشارة إلى موقعة الجمل بين أنصار "علي" وأنصار "معاوية".

## الفكاهة في العصر الأموي:

بظهور "أشعب" قفزت الفكاهة العربية إلى الأمام قفزات، لقد كان "أشعب" تابعياً، أدرك بعض الصحابة- رضوان الله عليهم- وإذا كان هناك اتفاق على أنه كان مولىً، فهناك اتفاق كذلك على أنه كان اعتنى برواية الأحاديث النبوية الشريفة، ومن بديع ما يروى له في ميدان الأحاديث ما جاء في "نهاية الأرب" حيث (قيل له: قد لقيتَ رجالاً من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- فلو حفظتَ أحاديث تتحدث بها! فقال: أنا أعلم الناس بالحديث. قيل: فحدثنا. قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس- رضي الله عنهم- قال: خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة، ثم سكت فقيل له: هاتِ، فقيل له: ما الخلتان؟ قال: نسي عكرمة إحداها ونسيت أنا الأخرى)[٢]. وقد عُرف أشعب بشدة طمعه، حتى ضربت الأمثال بهذه الشدة، فقيل "أطمع من أشعب"، وقد أورد "ابن عبد ربه" في "العقد الفريد" ما يدل على شدة هذا الطمع (قيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتساران، إلا ظننتهما يأمران لي بشيء)[٣].

ومن نوادره اللطيفة كذلك ما ذكره حينما سُئل (ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زفت بالمدينة امرأة لزوجها، إلا كنست بيتي رجاء أن تهدي إليَّ)[٤].

ومنها كذلك (أنه مرَّ برجل وهو يعمل طبقاً، فقال له أشعب: اجعله واسعاً، لعلهم يهدون إلينا فيه).[٥] لقد مثّلت نوادر أشعب الحياة الاجتماعية في العصر الأموي أصدق تمثيل، كما عكست هذه النوادر ما تخلل عصره من فقر وجوع، وما جُبلت عليه نفسه من إيثار للطمع، وغرام فيه. ذُكر أنه قال: (ما رأيت اثنين يتساران في جنازة إلا قدرت أن الميت أوصى لي بشيء)[٦]. ويقيني أن هذا الرجل كان عُرف بصفة غير الطمع، ألا وهي الكسل، ودليلها ما رواه "توفيق الحكيم" حينما قال: (وحمله معه رجل من التجار، يسافر وحده على جمل، فلبث

---

[١] السابق، ص٦٩، "وينظر كذلك النكتة العربية، ص٣٨".

[٢] نهاية الأرب، ٢٦/٤ "وينظر كذلك بهجة المجالس، ص٥٥٦".

[٣] العقد الفريد، ص٢٠٥.

[٤] الحياة الاجتماعية عند العرب، ص١٣٣.

[٥] السابق، ص١٣٣ "وينظر كذلك سجل الفكاهة العربية، ص١٤١".

[٦] سجل الفكاهة العربية، ص١٤٣.

أشعب معه طول الطريق ينزلان ويقومان، والرجل في كل يوم يحضر الطعام ويجهزه، وأشعب لا يصنع شيئاً، فقال له الرجل ذات يوم: "قُم اليوم فاطبخ"، فقال أشعب: لا أُحسن ذلك، فطبخ الرجل، ثم قال لأشعب: قم فأثرد، فقال أشعب: والله كسلان، فثرد الرجل، ثم قال قم فاغرف، فقال أشعب: أخشى أن ينقلب على ثيابي فغرف الرجل، ثم قال لأشعب: قم الآن فكل، فنهض أشعب قائلاً: "قد والله استحييت من كثرة خلافي عليك، وتقدم إلى الأكل فقام فيه مقام رجلين)[1]. إنه الكسل الممزوج بالدعابة والظرف.

ومن طريف ما يروى له كذلك (كان أشعب الطماع كثير الإلمام بسالم بن عبد الله بن عمر، فأتاه يوما وهو في حائط مع أهله، فمنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله، وقال: إنهم يأكلون. فمال عن البواب، وتسور عليهم من الحائط، فلما رآه سالم قال: سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تتسور؟ فقال له: لقد علمتَ ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد، فقال له: انزل يأتك من الطعام ما تريد)[2].

كما أن الباحث كان وجد له طرفة أخرى، مبثوثة في ثنايا كتاب سجل الفكاهة العربية، ومفادها (وتسلل يوماً مع ابنه لوليمة، فلمح ابنه يشرب الماء، فضربه قائلاً: "أتملأ معدتك بالماء، ودونك كل هذا الطعام؟ فأجابه الولد البار قائلاً: "إنه إنما كان يشرب الماء ليزيح ما أكله، ويفسح المجال للمزيد، فتأمل أشعب في القول ثم ضربه ثانيةً وهو يقول: "ولِمَ لَمْ تخبرني بذلك من قبل، وأنت تعرفه يا ابن الفاعلة؟")[3]. والنادرة الأخيرة تزيد المرء قناعة بأن أشعب كان خير مَنْ مَثّل الطمع، والتطفل في زمانه.

ومن أعلام الفكاهة وأبطال النوادر في العصر الأموي "مزبد المديني"، غير أن شهرته لم تطبق الآفاق كما هو الحال لدى أشعب، وقد ارتبطت حكاياته بالكثير من المجون، والخروج على المألوف، واتسم بعضها بالملاسنة، مثلما حدث له مع رجل يبيع النعال، ذكر ذلك الكاتب "خالد القشطيني" قائلاً: (ساوم مزبد إسكافياً على نعل، فقال له الإسكافي إن ثمنهُ عشرة، فأجابه مزبد لو كانت من جلد بقرة بني إسرائيل ما أخذتها بأكثر من درهم، فقال له الإسكافي: "لو كانت دراهمك من دراهم أصحاب الكهف ما بعتها لك)[4]. وفي القصة ما يعكس ثقافة دينية لدى كل من مزبد والإسكافي، حيث بقرة بني إسرائيل وأصحاب الكهف. وقد ورد ذكر "مزبد المديني" في كتاب "أخبار الحمقى والمجانين، وصنّفه "ابن الجوزي" على قائمة الحمقى لا على

---

[1] توفيق الحكيم: أقاصيص ونوادر أشعب، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣م، ص٦١-٦٢.

[2] بهجة المجالس، ص٥٥٦ "وينظر كذلك أدب وطرب في مجالس العرب، ص١٤٢".

[3] سجل الفكاهة العربية، ص١٥.

[4] السابق، ص١٤٥.

قائمة الظراف، وأورد له صاحب الكتاب المتقدم الرد التالي (ومن الحمقى مزبد واسمه أبوإسحاق المدني، قال أبو زيد: قيل لمزبد: إن فلاناً الحفار قد مات، فقال: أبعده الله، مَن حفر حفرة وقع فيها)[1]. وردّه يعكس فهماً خاطئاً لمن يحفرون قبور الموتى. ومن ردوده المستظرفة، ما ورد حينما سُئل (ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو المنزل، وحمير الناس إلى منازلها أسرع؟ قال: لأنه يعرف سوء المنقلب)[2]. وهذا يعني أن صاحبنا ما كان يكرم حماره كما تكرم الحمير عند أصحابها، لذا فقد كان الحمار يخشى العودة إلى منزله. ويبدو أن "مزبد المديني" لم يكن على علاقة طيبة مع زوجته، وأن توتراً ما شاب العلاقة بينهما، وقد توصل الباحث إلى تقرير هذا الأمر من خلال هذه الطرفة (اشترى مزبد رأسين، وجاء بهما للأكل في بيته، فأخذت الزوجة أحدهما، ووضعته خلفها، وقالت: هذا لأُمي، وأسرع مزبد فأخذ الرأس الآخر وأخفاه خلفه، وقال هذا لأبي، قالت: فماذا نأكل؟ فأجابها "ضعي رأس أمك، وأضع رأس أبي")[3]. وهو خبر يُذكّر بما كانت عليه العلاقة غير الحميمة بين كل من أشعب وجحا من وجهة، وزوجتيهما من وجهة أخرى.

وفي مرتبة متأخرة عن كل من "أشعب" و"مزبد" يقف "مطيع بن إياس الكناني"، وقد ذكره "النويري" في نهاية الأرب حينما قال (وكان ظريفاً، حلو العشرة، مليح النادرة، وكان مولده ومنشؤه بالكوفة، وكان منقطعاً إلى "الوليد بن عبد الملك"، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد)[4]. ومن طريف ما يروى عن "مطيع" (قيل سقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصحابه: احمد الله على السلامة، قال: احمد الله أنت إذ لم ترْعك هدّته، ولم يصبك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه)[5].

ومن الظراف الذين عرفهم العصر الأموي، شاعر يدعى "حمزة بن بيض الحنفي"، وكان كوفياً، خليعاً ماجناً، انقطع إلى "المهلب بن أبي صفرة" وولده، كما ذكر ذلك "شهاب الدين النويري" في موسوعته، وكان فيه ما يدل على ظرف ودعابة، ومما رواه بنفسه (قال: ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك، فلما مثلت بين يديه قلت:

رأيتُك في المنامِ شنَنْتَ خزًّا ... عليّ بنفسجاً وقضيت دَيْني
فصدِّق يا فدتكَ النفسُ رؤيا ... رأتْها في المنام لديك عيني

---

[1] أخبار الحمقى والمغفلين، ص٤٨.

[2] نهاية الأرب، ٤/٢٤ "وينظر كذلك سجل الفكاهة العربية، ص١٤٥".

[3] سجل الفكاهة العربية، ص١٤٥.

[4] نهاية الأرب، ٤/٥٧.

[5] السابق، ٤/٥٨.

قال سليمان: يا غلام، أدخله خزانة الكسوة، واشتن عليه كل ثوب خز بنفسجي، فخرجتُ كأني مشجب. ثم قال: كم دَيْنك؟ قلت: عشرة آلاف، فأمر لي بها)[1].

والمؤكد- بعد ما رواه- أنه لم يكن ظريفاً فحسب وإنما كان داهية يعرف من أين تؤكل الكتف.

## الفكاهة العربية في العصر العباسي:

ازدهرت الفكاهة في هذا العصر كأحسن ما يكون الازدهار، وانتشرت كأفضل ما يكون الانتشار، وليس غريباً على عصرعُرف بالترف والقوة، أن تعم فيه الفكاهة وتنتشر فيه النوادر.

لقد توافرت عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وفكرية، عززت هذا الانتشار، ومن هذه العوامل امتزاج الشعوب وتآلفها، مما قاد إلى تداخل في اللغات والعادات، وكان سبباً في إنتاج الكثير من المفارقات في استخدام اللغة العربية، وطريقة نطقها. ومنها كذلك الشعوبية التي عكست الصراع الاجتماعي والسياسي بين العرب وغيرهم، وبخاصة- الفرس- وقد نتج عن هذا الصراع الكثير من المفارقات المضحكة، وكذلك الغنى والفقر كانا ساهما في ذيوع الفكاهة، يضاف إلى ذلك انتشار القيان والجواري والمغنيات في هذا العصر حيث كان له بالغ الأثر في انتشار الفكاهة.

جاء حول الظرفاء والفكاهة في العصر العباسي (لقد ضحك العرب كثيراً من فكهين محترفين، حيث كانوا على فئتين: فئة يضحك منها الناس لغرابة في شكلها الجسماني: قصر أو طول، أو قباحة في ملامح الوجه، أو أنف كبير أو احديداب في الظهر، وكانت هذه الفئة تضفي على ما بها من غرابة في الخلقة مسحة من التهريج في ملابسها. وفئة أخرى تُضحك الناس بسرعة الخاطر التي تبديها في القول والفعل والحركة، أي أن رأس مال الفئة الثانية العقل والذكاء، وموهبة لخلق المضحك، وهؤلاء كانوا على كثير من الثقافة)[2].

ومن مشاهير الفكاهة في هذا العصر أبودلامة، وأبو العيناء، وجحا، وأبو نواس، والجاحظ.

## أبو دلامة:

أجمعت الكتب التراثية القديمة على أنه كان شاعراً ظريفاً، أسود اللون، مقرباً من خلفاء بني العباس، ينادمهم، ويحيي ليلهم، ويملأ أجواء قصورهم بالأنس والسرور، جاء في "الأغاني" (كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً فقال له: سلني حاجتك، قال أبو دلامة: كلبٌ أتصيد به، فقال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه، قال: وغلامٌ يصيد بالكلب ويقوده.

---

[1] السابق، ٦٨/٤.

[2] د. أنيس فريحة: الفكاهة عند العرب، مكتبة رأس بيروت، بيروت ١٩٦٢، ص٧١.

قال: أعطوه غلاماً. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه. قال أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها. قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أعطيتك مائة جريب عامرة، ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه. فقال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد، فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبّل يدك. قال: أما هذه فدعها، قال: والله ما منعتُ عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها)[1]. ومكمن الضحك في الطرفة المتقدمة، في إلحاح أبي دلامة، وكثرة طلبه، فقد بدأ بالكلب، وانتهى بالضيعة، ثم حينما أقطع الخليفة مساحة ضخمة من الأرض لا تفيد المرء ولا تنفعه، وأخيراً في ردّه على رفض الخليفة تقبيل يده.

ومن جميل دعاباته ما ورد في ديوانه حيث (دخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور فأنشده:

إنّي رأيتُكَ في المنا ... مِ وأَنتَ تُعطيني خيارَهْ
مملوءَةً بدراهمٍ ... وعليكَ تفسيرُ العِبارَهْ

فقال له المنصور: امضِ، فأتني بخيارة املؤها لك دراهم، فمضى فأتى بأعظم دباءة توجد. فقال: ما هذا؟ قال: يلزمني الطلاق إن كنتُ رأيت إلا دباءة[2]، ولكني نسيت فلما رأيت الدباءة في السوق ذكرتها)[3] ولما رأى أبو دلامة تساهل الخليفة غيّر أقواله وبدّل رؤياه، لقد رأى دباءة لا خيارة.

ويبدو أن علاقة الشاعر - كشأن الكثير من الظرفاء- بزوجته لم تكن على خير ما يرام، تؤكد ذلك هذه الطرفة التي ذكرها "علي مروة"، ومما جاء فيها (حجت "الخيزران"، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة، قالت: سلوه ما أمره، فقالوا له: ما أمرك؟ فقال: أدنوني من محملها، قالت: أدنوه. فأُدني. فقال: أيتها السيدة: إني شيخ كبير، وأجرك فيّ عظيم. قالت: فمه؟ قال: أتهبين لي جارية من جواريك تؤنسني وترفق بي، وتريحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، وقد عاف جلدي جلدها، وتمنيت بعدها، وتشوقت فقدها، فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت. فلما رجعت تلقاها وذكّرها وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى سئم، ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى "الخيزران" فيها:

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، المجلد العاشر، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت (بدون تاريخ)، ص٢٤٨- ٢٤٩ "وينظر نهاية الأرب ٣٧/٤.

[2] الخضار المعروف بالقرع.

[3] ديوان أبي دلامة، شرح وتحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٤- ١٩٩٤، ص٦١ "وينظر أبو دلامة وأبو العيناء، ص٢٢".

أبلغي سيدتي باللهِ يا أمَ عبيده
أنها أرشدها الله وإن كانتْ رشيده
وعدتني قبلَ أن تخرجَ للحجّ وليده
فتأنيتُ وأرسلتُ بعشرينَ قصيده

كلما أَخلفتُ أخلفـــ ـــتُ لها أخرى جديده
ليسَ في بيتي لتمهيد فراشـــي من قصيـــده
غيرَ عجفاءَ عجوزٍ ساقُهـــا مثـــلُ القـــديـــده
وجهُها أقبحُ من حو تٍ طري في عصيده
ما حياةٌ مع أنثى مثلُ عرسي بسعيده

وتقول القصة إن الخيزران بعثت إلى أبي دلامة جارية جميلة، ولم يكن في الدار عندئذ، فغضبت أم دلامة وقالت لابنها دلامة إنه أحق بهذه الجارية من أبيه ... فأخذها وتزوجها. غير أن أبا دلامة شكاه إلى "المهدي" فضحك طويلاً، وأهداه جارية غيرها!)[1] والقصة من الوضوح بمكان بحيث لا تحتاج إلى تحليل وتعليق.

وقد رُوي عن أبي دلامة استخفافه- أحياناً- بأداء الصلاة جماعة في المسجد، كما روي عنه ولعه بشرب الخمر، ولقد أورد له الدكتور "يحيى شامي" قصة طريفة تدل على ظرفه من وجهة، وعلى غرامه بالشراب من وجهة أخرى، ومما جاء في القصة (قصد أبو دلامة حانـــة فسكر، فلقيه العسس ليلاً، فُحمل إلى أبي جعفر المنصور، وفي الطريق قالوا له: من أنت، وما دينك؟ فقال مرتجزاً:

ديني على دين بني العباسِ ما خُتم الطينُ على القرطاسِ
إني اصطبحتُ أربعاً بالكاسِ فقد أدارَ شربُها براسي
فهل بما قلتُ لكم من باسِ

فخرق العسس ثيابه، وأمر المنصور بحبسه مع الدجاج في بيت مهجور، فلما أفاق مـــن سكره جعل ينادي غلامه وجاريته فلا يجيبه أحد، وما سمع غير صوت الدجاج والديوك، فقال له السجّان: ما شأنك؟ قال: ويلك، من أنت، وأين أنا؟ في الحبس، وأنا فلان، الـــسجان، قـــال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس، فطلب من السجان دواة وقرطاساً وقلماً، فكتب في القرطاس إلى أبي جعفر المنصور:

أميرَ المؤمنين فـــدتِك نفـــسي علامَ حبستني وخرقتَ ســـاجي
أمِنْ صفراءَ صافيةِ المـــزاجِ كأنَّ شـــعاعَها لهـــبُ الـــسّراجِ

---

[1] موسوعة الأدب الضاحك، ٣١/١.

وقد طُبِختْ بنـــارِ اللهِ حتـــى ... لقد صارتْ من النُّطَفِ النّضاجِ
تَهُشّ لها القلــوبُ وتــشتهيها ... إذا برزتْ تَرَقْرَقُ في الزَجــاجِ
أُقَادُ إلى السجونِ بغيرِ جُــرمٍ ... كأني بعــضُ عمَــالِ الخــراجِ
ولوَ معَهم حُبستُ لكان ســهلاً ... ولكني حُبــست مَــعً الــدَجاجِ
وقد كانتْ تُخبرنـــي ذنــوبي ... بأنّي مِن عقابــكَ غيــرُ نــاجِ
على أنّي وإن لاقيــتُ شــراً ... لخيرِكَ بعــدَ ذاكِ الــشّرِ راجِ

فدعاه المنصور وقال له: أين حُبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: كنتُ أقومُ معهنّ حتى أصبحت. فضحك المنصور وخلّى سبيله)(١).

وقد استطاع أبو دلامة- على ضخامة جرمه- بظرفه، ولين كلامه، اســترقاق الأميــر واستعطافه حتى أطلق سبيله، وكما عُرف الرجل بظرفه وخفة روحه، كان عُرف أيضاً بحسن الحيلة، حتى أنه لم يتورع عن هجاء نفسه، رغبة في التخلص من المأزق الذي وجد نفسه فيــه على غير المتوقع، وهذا ما تشير إليه الطرفة التالية التي عثر عليها الباحث في أكثر من مرجع ومصدر، تقول الطرفة (دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد، وعيــسى بــن موسى، والعباس بن محمد، ومحمد بن إبراهيم الإمام، وجماعة من بني هاشم، فقال لــه: أنــا أعطي الله عهداً لئن لم تهج واحداً ممن في البيت لأقطعنّ لسانك- ويقال إنه قــال: لأَضــربنّ عنقك- فنظر إليه القوم، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه، قال أبــو دلامــة: فعلمت أني قد وقعت، وأنها عزمة من عزماته، لا بد منها، فلم أرَ أحداً أحق بالهجاء مني، ولا أدعى للسلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألا أبلِــغْ لــديكَ أبــا دلامــهْ ... فليس من الكــرامِ ولا كرامــهْ
إذا لبس العمامة كــان قــرداً ... وخنزيــراً إذا نــزع العمامــهْ
جَمعتُ دمامةً وجمعتُ لؤمــاً ... كذاك اللــومُ تتبعُــهُ الدّمامــهْ
فإن تكُ قد أصبتَ نعيمَ دنيــا ... فلا تفرحْ فقــد دَنَــتِ القيامــهْ

فضحك القوم، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه)(٢). علماً بأن هجاء النفس، والسخرية منها، تُعــدّان من أرقى أنواع الفكاهة، وتقفان في موقع متقدمٍ من الأدب الضاحك.

## أبو العيناء:

شخصية فكاهية عرفها العصر العباسي، غير أنها لم تنل حظها من البحث والتنقيب، حتى ليكاد المرء لا يعرف من أعلام الفكاهة العرب، إلا أشعب وجحا، وأبو العيناء هو (محمد بــن

(١) أبو دلامة وأبو العيناء، ص٢٨-٣٠ وينظر كذلك النكتة العربية ص٢٤-٢٦.

(٢) ديوان أبي دلامة، ص١٠٩-١١٠ "وينظر نهاية الأرب، ص٤٣-٤٤".

القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ويكنى بأبي عبد الله)[1]. (وأصل قومه من بني حنيفة من أهل اليمامة، ولحقهم سباء في أيام المنصور، فلما صار ياسر في قيده، أعتقه فولاؤهم لبني هاشم)[2]. وتشيع في هذا المجال رواية تقول (إن المنصور طلب رجالاً، ليكونوا بوابين له، فقيل: إنه لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول، أنذال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له واليه على اليمامة مائتي غلام منها، فصير بعضهم بوابين، وبقي الباقون: فكان ممن بقي خلاد جد أبي العيناء)[3]. وقد تخصص أبو العيناء في الردود الساخرة الجاهزة.

وقد عُرف بخفة الروح، وحلاوة الحديث، لذا فقد كان الناس يتوقون حضور مجالسه، والاستمتاع بنوادره وطرائفه، ولم يتوقف الأمر عند حدود العامة، بل امتد ليشمل الخلفاء، والأمراء، والسلاطين، والحكّام، مثل الخليفة "المتوكل"، وقد كان الرجل كفيفاً لا يرى، وتميز بحدة لسانه، وكان ممن أجادوا الرد الساخر الجاهز، كما عُرف كذلك بالذكاء والفطنة، ومن طرائفه التي تشير إلى حدة لسانه، ما يروى من أنه كان (لقي أبا الجماز يوماً على حمار صغير، فقال له: لقد ساءني حين اضطرك الدهر إلى ركوب أصغر أولادك)[4]. وكذلك (قال له المتوكل: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ")[5].

ومما يدل على تمتعه بلسان سليط (قال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى: "إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ")[6] ولأنه كان أعمى فقد أورد له "الصفدي" في كتابه "نكت الهميان ونكت العميان" العديد من النوادر والطرائف، وذكر الكثير من ردوده المفحمة الملجمة، وهذا واحد منها (قالت لأبي العيناء قينة يوماً: يا أعمى فقال: ما أستعين على وجهك بشيء أصلح من العمى)[7]. وهو رد غاية في القسوة والتحدي.

---

[1] المسعودي: مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨م، ١٧٠/٤ "وينظر كذلك وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨م، ٧١٩/١".

[2] نهاية الأرب في فنون الأدب، ٨٤/٤.

[3] الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت)، ١٧١/٣ "وينظر كذلك معجم الأدباء لياقوت الحموي، طبعة رفاعي ١٩٣٥م، ٣/٣-٤.

[4] نوادر أبي العيناء ومخاطباته، ص٥٣.

[5] السابق، ص٢٣.

[6] السابق، ص٥٣.

[7] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: نكت الهميان ونكت العميان، وقف على طبعه أحمد زكي بك، دار المدينة، (بدون تاريخ)، ص٦٧.

وقد أحب الخليفة "المتوكل" أبا العيناء، وكان يُصاب بالوحشة حينما تطول غيبته، وقد أشارت الكتب القديمة إلى العلاقة بينهما حيث (قيل لأبي العيناء إن المتوكل قال: لولا إنه ضرير البصر لنادمته، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلّة، وقراءة نقش الفصوص، فأنا أصلح للمنادمة)[١]. والمغزى أن المنادمة لا تتطلب قدرة على رؤية الأَهلة، وتبيّن نقوش الخواتيم، وهو رد مقنع إلى أبعد الحدود. ومن ردوده السريعة المفحمة التي أشار إليها كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" ما أورده القيرواني (زحمه رجل بالجسر على حماره فضرب بيديه على أذني الحمار، وقال: يا فتى قل للحمار الذي فوقك يقول: الطريق!)[٢].

## جحا:

أشهر شخصية فكاهية عرفها الأدب العربي، وبطل النوادر - بلا منازع- في أدبنا العربي وفي غيره من آداب، وقد دار جدل حول شخصية "جحا"، ذلك أن هناك من اعتقدوا بخيالية واصطناع شخصيته، ولكن الثابت أن هناك جحا العربي وجحا التركي، وجحا الألماني الذي يدعى بـ "أولين شبيجل"، وجحا الأرمني والمالطي وغيرهم، وأضحى في حكم المؤكد أن لكل أمة جحا الخاص بها، حيث تصوغ على لسانه كل ما يخشى المرء التصريح به، خوفاً من سطوة الحاكم. وأما جحا العربي (فترجح الروايات أنه أبو الغصن وأنه ظهر في فجر الدولة العباسية، التي جاءت على أنقاض الدولة الأموية، وتقرن جحا بأبي مسلم الخراساني الذي مكّن للعباسيين من الغلبة والاستقرار، وقد تقرنه أيضاً بما يمكن أن يسمى بالعصر الذهبي عند المسلمين وهو عصر هارون الرشيد...)[٣].

وكان الأديب "العقاد" قد ترجم له في كتابه الموسوم بـ "جحا الضاحك المضحك"، فراح يقول (هو رجل من فزارة كان يكنى أبا الغصن، ومن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمي، مرّ به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له: مالك يا أبا الغصن؟ قال: إني قد دفنت بهذه الصحراء دراهم، ولست أهتدي إلى مكانها، فقال عيسى: كان ينبغي أن تجعل عليها علامة. قال: قد فعلت، قال: ماذا؟ قال سحابة في السماء كانت تظللها، ولست أرى العلامة)[٤]. وما دام الأمر هكذا، فقد كان فيه شيء من الغفلة، وإلى ذلك أشار "ابن الجوزي" حينما قال (ومنهم جحا

---

[١] أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية (بدون تاريخ)، ص٢٨٥. وينظر أيضاً نكت الهميان ص٦٧.

[٢] السابق، ص٢٨٢ وينظر نوادر أبي العيناء ومخاطباته، ص١٠٠.

[٣] د. عبد الحميد يونس: دفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، ص٢٠٠.

[٤] جحا الضاحك المضحك، ص٩٧.

ويكنى أبا الغصن وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، إلا أن الغالب عليه التغفيل، وقد قيل إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات)[1]. ومن بديع ما يروى عن غفلته أنه (مـرّ يوماً بصبيان يلعبون ببازي ميت، فاشتراه منهم بدراهم، وحمله إلى البيت، فقالت له أمه: ويحك ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: اسكتي، فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم)[2].

ومما يروى عنه أيضاً (هبت ريح شديدة، فاجتمع الناس يدعون الله ويتوبون، فصاح جحا: يا قوم، لا تعجلوا بالتوبة، فإنما هي زوبعة وتسكن!)[3]. وفي النادرة ما يعكس شيئاً غير قليل من غفلة "جحا" بقيم الدين. وأما الثانية- وهي معروفة في المجتمع الفلسطيني- فمفادها (الناس: يا جحا الأعداء هجموا على البلد.

- جحا: بعيد عن حارتي.
- الناس: هجموا على حارتك.
- جحا: بعيد عن بيتي.
- الناس: هجموا على بيتك.
- جحا: بعيد عن طيزي!)[4]. وهي تشير إلى الاتكالية، وعدم الاكتراث بشئون الغير، كما تعكس اهتمام الكثيرين بأنفسهم، ولشهرة هذه النادرة فقد تحولت- في المجتمع الفلسطيني- إلى ما يشبه المثل.

ومن مقالب جحا- إن جاز التعبير- هذه النادرة (أحبت مجموعة من الخبثاء أن يورطوا جحا في مأدبة عشاء، تظاهر جحا بالموافقة، وصمم على أن يرد مقلبهم بمقلب آخر أشد، حتى إذا أتوه، وخلعوا نعالهم بالباب، واستقر بهم الجلوس على وسائده، جمع أحذيتهم، وأسرع إلى السوق وباعها، واشترى بها طعاماً، ولما فرغ الأصحاب من الوليمة الموعودة، أخذوا يبحثون عن أحذيتهم بلا طائل، فلم يعثروا على أثر لها، فأقبلوا مذعورين على جحا يسألونه في لهفة، فيجيبهم بكل هدوء ساخراً منهم: "أحذيتكم في بطونكم"!!!)[5]. وفي النادرة ما يدل على أن "جحا" لم يكن مغفلاً في كل الأوقات.

## الجاحظ:

عُرف بميله إلى المرح والانبساط، وتميز بعدم سخطه وتبرمه بالحياة، عالج المشكلات بالضحك والابتسامة، وجابه أشد المواقف بالاستهزاء والسخرية، وواجه خصومه بالهزء

---

[1] أخبار الحمقى والمغفلين، ص٤٤.

[2] السابق، ص٤٧.

[3] علي الخليلي: النكتة العربية، انفجارات في الأرض اليابسة، منشورات الأسوار، ط١، عكا ١٩٧٩، ص٧٥.

[4] السابق، ص٧٢.

[5] فاطمة محمود: جحا حول العالم، دار الطلائع للنشر، القاهرة (بدون تاريخ)، ص١٣.

والاستهانة، وعلى الرغم من دمامته، فإنه لم يكن متشائماً، بل كان مرحاً طروباً متفائلاً، وكان دائم التنكيت على نفسه دون أي حساسيات، حكى عن نفسه متهكماً (ما أخجلني قط إلا امــرأة، أخذت بيدي إلى نجار، وقالت مثل هذا ومضت، فعجبت وسألت النجار عن قولها، فقال: أتــت إليّ وقالت: أن أصنع لها صورة تخوّف بها أولادها، وأتت بك مثالاً!!!)(١). ولم يجد الجــاحظ فيها أي حرج، على الرغم من أنها تتناوله شخصياً. ومن طرائفه التي لا تكــاد تبتعــد عــن سابقتها، ما رواه "السيد عبد الحليم محمد حسين"، حيث (دخل غلامه عليه يوماً، فوجده يجتهــد في الدعاء، فقال: "ما بك يا مولاي؟ قال: وجدت نفسي أني صرت هزوءاً للناس، فأنا أدعو الله أن يصلح ما بي من العيوب، فقال: أيسر عليه أن يصنعك جديداً!!)(٢).

وقد استغل كثرة انشغاله بالعمل، واتخذ منها وسيلة للتنكيت على نفسه، قال: نسيت كنيتي ثلاثة أيام، حتى أتيت أهلي فقلت لهم: بِمَ أكنى؟ فقالوا: بأبي عثمان!)(٣).

ومن حلو دعاباته، وجميل حديثه، الطرفة التالية (طرق رجل بابه فسأل مِن داخل البيــت مَن الطارق؟ فقال الرجل: أنا، فأجابه الجاحظ انصرف، أنا لا أعرف مِن اسمه أنا!!!)(٤).

ورجاه أحد الثقلاء أن يكتب له توصية، كي يقدمها إلى رجل له عنــده مهمــة، فــرفض الجاحظ، ثم بعد إلحاح كتب التوصية، وسلمها إلى ذلك الثقيل، فلما خرج الأخير من بيته فتحها، فوجدها تقول: "كتابي إليك مع من لا أعرفه، ولا أوجب حقه، فإن أنت قــضيت حاجتــه لــم أحمدك، وإن رددته لم أذمك)(٥). وقد أشارت التوصية إلى إعلان براءة كاتبها منهــا، وعــدم اهتمامه بصاحبها.

## أبو نواس:

يبدو أن تأدّب الشاعر العباسي المشهور "أبي نواس" على يد رجل عطار - كــان يتميــز بالفجور - وهو والبة بن الحباب، كان له أثر واضح فيما عُرف به "أبو نواس" بعد ذلــك مــن مجون وخلاعة، ولما كان انتحال الطرائف، وسرقة النكات - الخليعة خاصــة - أمــوراً شــبه متعارف عليها في عالم الفكاهة والإضحاك، -ولتميز شاعرنا بالمجون - فقد انتُحلت الكثير من النكات الماجنة، ونسبت زوراً وبهتاناً إلى "أبي نواس"، ولقد دفع الرجل ثمن جرأته وجسارته، فألصقت به كل نكتة مجهولة، وكل طرفة بذيئة. (رأى بعضهم أبا نواس يصلي فــي جماعــة،

---

(١) السخرية في أدب الجاحظ، ص٣٧.

(٢) السابق، ص٣٧.

(٣) سجل الفكاهة العربية، ص١٦٠.

(٤) السابق، ص١٦١.

(٥) السابق، ص١٦١.

فقالوا له: ما هذا؟ فقال: أردت أن يرتفع إلى السماء خبر طريف!)[1]. اعتراف ضمني بأنه كان تاركاً للصلاة، وهو ما كان يلقى هوىً من كل مَن كان يغمز "أبا نواس". وقريباً منها - ولكنه أكثر مروقاً وجرأة على التعاليم الدينية - ما ذكره كتاب "النكتة العربية"، ومما جاء في الطرفة (قال سائل لأبي نواس: هب لي هذه الجبة، فقال لا أملك غيرها، قال السائل: إن الله تعالى يقول: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" فقال أبو نواس: هذه الآية نزلت في شهر تموز في حق أهل الحجاز، ولم تكن نزلت في شهر كانون في حق أهل بغداد!)[2]. حيث ينم تأويله للقرآن عن استهتار، ويشير إلى مجون وخلاعة شديدتين.

وبعيدً عن التهتك والمجون، روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، ومقدرة على حسن التخلص من كل مأزق وضيق. جاء في كتاب "أدب وطرب" ما مفاده (حُكي عن الشاعر أبي نواس أنه دخل على "الرشيد" فوجده جالساً وإلى جانبه جارية سوداء تُدعى "خالصة"، وعليها من الحلي وأنواع الجواهر واللآلئ ما لا يوصف، فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهو عن استماعه، فلما خرج كتب على الباب:

لقد ضاعَ شِعري على بابِكم ... كما ضاع عقدٌ على خالصَهْ

فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبروه بها، فغضب لذلك، وأمرهم بإحضاره، فلما وصل أبونواس إلى الباب، مسح ذنب العين في لفظة ضاع، وأُحضر بين يديه، فقال له: ما كتبت على الباب؟ قال: كتبت:

لقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء عقد على خالصه

فأعجب بذلك، وأنعم عليه، وخرج وهو يقول: لله درك من شعر قُلعت عيناه فأَبصر)[3].

## ابن الرومي:

تميز "ابن الرومي" بالتطير، واشتهر بالتشاؤم، فقد مُني بوفاة أبيه وهو في مقتبل عمره، وريعان شبابه، ثم فَقَدَ أخاه، ثم امتحن بوفاة أولاده الثلاثة وأُمّهم، مما أعاده إلى حياة العزوبية مرة أخرى، وانتظر حتى ضاق ذرعاً بالحياة، فتزوج ولكن سرعان ما توفيت زوجته الثانية، كما مات ولده منها، ويقيني أن هذه الحوادث كانت قد انعكست على مزاجه وفلسفته، فأضحى ميّالاً إلى الهجاء والسخرية، مفضلاً إياهما على غيرهما، وإذا كان غيره من الشعراء قد سخر وهجا، فهو تميّز عن غيره ببراعة عجيبة، ومقدرة مدهشة، جعلته يحوّل الكلمة إلى كاريكاتير

---

[1] النكتة العربية، ص٨٣.

[2] السابق، ص٨٣.

[3] اسكندر الخوري البيتجالي: أدب وطرب في مجالس العرب، دار النشر العربي، الطبعة الثالثة ١٩٧٦، ص١٠٩-١١٠.

ساخر من أعدائه وخصومه، قال راسماً صورة ساخرة لمغنٍّ يُدعى "جحظـة"- كـان عُـرف بجحوظ عينيه-[1]:

| | |
|---|---|
| تخالُه أبداً من قُـبحِ منظـره | مُجاذباً وتراً أو بالعـاً حجـرا |
| كأنه ضفدعٌ في لجـة هـرم | إذا شدا نغماً، أو كرّر النظـرا |

حيث جعل صورة "جحظة" أشبه ما تكون بالإنسان الذي بلع حجراً، كما شبهه في قبح منظـره بالضفدع.

وقال ساخراً من اسم رجل يدعى "ابن الدجاجي" وكان اشتهر بالبخل والتقتير[2]:

| | |
|---|---|
| أعدى دجاجـاً عنـدَه بخلُـه | ولؤم تلـكَ الـشيمه الجاحـدَهْ |
| فأصـبحتْ عِـشْرُ دجاجاتـه | تبـيضُ فيمـا بينهـا واحـدَهْ |
| وصـار لا يعلفُهـا ذَرّةً | تُعْلَـم إلا فـضلةً المائـدَهْ |
| بل فضلة المعدة وهي التـي | تثيرُها معدتُه معـدتها الفاسِـدَهْ |

لقد انتقلت عدوى البخل إلى دجاجاته، حتى أصبحت دجاجاته العشر لا تبيض إلا بيـضة واحدة، فقد منع عنها الطعام، وبالكاد كان يلقي لها ما يزيد عن معدته.

وعُرف على عهده رجل يسمى "عيسى" بالبخل الشديد، والشح الذي لا نظير له، فرسـم "ابن الرومي" - بشعره- صورة كاريكاتورية مضحكة له فقال[3]:

| | |
|---|---|
| يَقْتُـر عيـسى علـى نفـسِه | ولـيسَ ببـاقٍ ولا خالـدِ |
| فلـو يـستطيعُ لتقتيـرِه | تـنفّس مِـن مُنْخِـرٍ واحـدِ |

## أبو صدقة:

ومن الشخصيات الفكاهية غير المشهورة التي ظهرت إبان العصر العباسي "أبو صدقة"، ولم يغفله "النويري"، فأورد له الترجمة التالية (اسمه مسكين بن صدقة، من أهل المدينة، مولى لقريش، وكان من أكثرهم نادرة، وأخفهم روحاً، وأشدهم طمعاً، وألحهم مسألة، قيل: إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صـدقة، وابنتي فاقة، وابني صدقة، فمَن أحق بهذا مني؟)[4]. وهو تبرير مقبول لديه وذلك مـن أجـل الإلحاح في المسألة.

---

[1] سجل الفكاهة العربية، ص١٥٨.

[2] ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، الجزء الثاني، مطبعة دار الكتب، القـاهرة ١٩٧٤، ص٧٥٨-٧٥٩.

[3] سجل الفكاهة العربية، ص١١٩.

[4] نهاية الأرب، ٤٨/٤ "لمزيد من أخبار أبي صدقة ينظر نهاية الأرب ٤٩/٤ وما بعدها.

## أدب الطرفة في العصر المملوكي:

انتشرت الفكاهة إبان العصر المملوكي كأوسع ما يكون الانتشار، ذلك لأَن البلاد كانت انتهت - تقريباً - من الحروب الصليبية، فعم الازدهار، وركن المصريون إلى الدعة والرخاء، فشاعت شتى صنوف اللهو والتفكه واللعب، وكثرت الدعابات، وتفجرت ينابيع الفكاهة على ألسن الشعراء الظرفاء، حيث طالت نوادرهم السلاطين والحكام من المماليك، ومن هذه الدعابات (لمَا قُتل السلطان "حسن"، وكان فيه ميل للهو وحب النساء، قال بعض الشعراء متهكماً[١]:

لَمَّا أتى "للعاديات" و"زلزلت" حَفِظَ "النساء" وما قرا "للواقعه"

وفي البيت سخرية بالسلطان، وسيرته غير العطرة، كما احتوى على تورية في كلمة الواقعة، ذلك أنه لم يقصد السورة القرآنية، وإنما أراد حادثة مقتله.

وقد شغف الشعراء في هذا العصر بالتوريات، وانصبت سخرياتهم على بعض الحكام، كي ينفسوا عما بداخلهم من كراهية وحنق وضيق، قال أحدهم في وزير يسمى "البباوي"[٢]:

قالوا البباوي قد وَزَرْ فقلتُ كَلا، لا وَزَرْ
الدهر كالدولاب لا يدورُ إلا بالبقرْ

حيث يلاحظ التهكم الواضح، والسخرية المباشرة، كما أن في البيتين إشارة إلى سورة "القيامة".

وقد توسّع شعراء الفكاهة في هذا العصر في التورية، ولكأنهم كانوا أعجبوا بما فيها من خفاء واستتار، يحجب عنهم العقوبة والأذى، أو يكون مجلبة للإضحاك، وكان ممن أولعوا بها "السراج الوراق" و"الحمامي"، و"ابن نباته". ومن أظرف توريات "الوراق"، ما قاله في أحد أصدقائه الذين كان دعاهم لتناول الطعام في داره، وكان الطعام يشتمل على الخضار المعروف باسم (الرجله) حيث قال[٣]:

وأحمقٍ أضافنا بِبَقْلِهِ قد مَدَّ في وجهِ الضيوفِ (رِجْله)

والتورية في (رجله)، حيث لم يقصد أنه مدَّ قدمه في وجه الضيوف، وإنما قدم لهم الرجله، ومدّها في وجوههم.

ومن التوريات اللطيفة للشاعر "ابن نباته"، وكان أحد أصدقائه قد أهدى إليه مجموعة من الديكة قوله[٤]:

---

[١] د. شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ص٥٤- ٥٥.

[٢] السابق، ص٥٥.

[٣] السابق، ص٦٠.

[٤] السابق، ص٦٠.

وصلتْنا ديوكُ بِـرّكِ تَزهـو بوجـوه جميلـةٍ مُـستجاده
كلُّ عُرفٍ يروقُ حُسناً وإنـي أرتجي أن تكون (عرْفا) وعاده

والتورية تكمن في (عرف)، ذلك أنه لم يقصد بها عرف الديك، وإنما قصد أن تظل عُرفاً وناموساً.

وفي يوم تلقى "ابن نباته" هدية من أحد أصدقائه، وكانت عبارة عن تمر فاسد، فأرسل إليه بهذين البيتين[1]:

أرسلتَ تمراً بل نـوى فقبْلتُـه بيدِ الودادِ فمـا عليـكَ عِتـابُ
وإذا تباعـدتِ الجـسومُ فوُدنـا باقٍ ونحنُ على (النّوى) أَحبـابُ

ولا يخفى اشتمال البيتين على الجناس في "نوى- النوى"، والأولى هي نوى الثمار، وأما الثانية فهي بمعنى الفراق والبعد.

ومن الشعراء الظرفاء الذين عرفهم الأدب الفكاهي في العصر المملوكي الشاعر "أبوالحسين الجزار"، وكان خفيف الظل، حلو الدعابة، وَصَفَ القطايف والكنافة- على عادة الظرفاء- قائلاً[2]:

فما لي لا أرى وجهَ الكنافةِ مُغـضباً ولولا رضاها لم أرد رمضانها
عجبتُ لها في هجرها كيف أظهرتْ عليّ جفاءً صَـدَّعَنّي جفانهـا
ترى اتّهمتنـي بالقطـايف فاغتـذتْ تَصدُّ اعتقاداً أنَّ قلبـي خانهـا
وقد قاطعتني مـا سـمعتُ كلامَهـا لأنَّ لساني لم يخـالط لـسانَها

حيث يبدو أن شاعرنا كان مغرماً بالكنافة والقطايف، لكنه دفع ثمن الخيانة والمراوغة، ثم تاب توبة نصوحاً، وسجّل ذلك في الأبيات السابقة.

وقد امتدت سخريات "الجزار" إلى بيته وطعامه، بل وإلى نفسه، يقول واصفاً داره وصفاً مضحكاً[3]:

ودارٍ خرابٍ بها قـد نزلـتُ ولكـن نزلـتُ إلـى الـسابِعَهْ
فلا فرقَ ما بين أنّـي أكـونُ بها أو أكـونُ علـى القارِعَـهْ
تـساورها هفـواتُ النـسيمِ فتـصغي بـلا أذن سـامِعَهْ
وأخشى بها أن أقيمَ الـصلاةَ فتـسجدَ حيطانُهـا الراكِعَـهْ
إذا ما قـرأتُ "إذا زلزلـت" خشيت بـأن تقـرأ "الواقِعَـهْ"

---

[1] السابق، ص٦١.
[2] سجل الفكاهة العربية، ص٢٢.
[3] الفكاهة في مصر، ص٦٢.

وفي الأبيات إشارات إلى أسماء بعض السور القرآنية، مثل "القارعة"، و"الزلزلة"، و"الواقعة".

وكان للشاعر "الجزار" أب تزوج وهو طاعن في السن، وكانت زوجته امرأة مسنّةً كبعلها، فقال مداعباً والده العريس[1]:

تزوّج الشيخُ أبي شيخةً ... ليست لها عقلٌ ولا ذِهْنُ
لو برزتْ صورتُها في الدُّجى ... ما جسرت تبصرُها الجِنُّ
كأنها في فراشها رِمّةٌ ... وشعرُها من حولها قُطْنُ
وقائلٍ قال فما سنُّها ... فقلتُ ما في فمِها سِنُّ

وهي صورة مضحكة حقاً رسمها "الجزار" لزوجة أبيه، ومما زاد في جمالها، الجناس الذي تضمنته بين سنها- والسن، فالأولى بمعنى العمر، الثانية هي الأسنان المعروفة.

## الفكاهة العربية في العصر الحديث:

توسعت الفكاهة العربية في العصر الحديث توسعاً ملحوظاً، وظهر لها نجومها ومشاهيرها في أنحاء عديدة من الوطن العربي- وعلى رأسهم مصر بالطبع- غير أن الباحث لن يتمكن من الإحاطة بكل أطراف هذا الموضوع المترامي وذلك لسببين، الأول أنه معني بالطرفة في الأدب الفلسطيني، والثاني أن عملاً ضخماً كهذا يحتاج إلى أكثر من بحث وباحث، وحسبه أن يلقي الأضواء على عدد مختار من أهل الظرف والدعابة في وطننا العربي، مراعياً في اختيارهم أن يكونوا ممن يتعاطون الكتابة والتأليف.

## إبراهيم المازني:

من الأدباء الذين عرفوا بالمزاج الساخر، كما تميز بالظرف وخفة الروح، له مجموعة من المقالات الأدبية الساخرة تسمى بـ "صندوق الدنيا"، وهي مقالات ساخرة في غالبيتها، حيث يلمس المرء فيها دعاباته المستملحة، وفكاهاته العذبة. كان قصير القامة، عليل الصحة، أعرج، هزأ من نفسه، وسخر منها قائلاً[2]:

انظرْ إلى وجهي الشتيم اللعين ... وأَحمد على وجهك ربَّ الفنون
أُقسم إنّ الله ما صاغَني ... كذاكَ إلا رغبةً في المجون

ومما جاء في صندوق الدنيا، ما نراه في قول المازني (وقعت لي هذه الحادثة في الريف منذ سنوات، وكنت أنا الجاني على نفسي فيها، فقد عرض عليَّ مضيفي أن أستعمل موساه، فأبيت، فحذرني مضيفي، وأنذرني ووعظني، ولكني ركبت رأسي، فجاء الحلاق بعد ساعات

---

[1] السابق، ص٦٢.

[2] هاني الخيّر: مشاهير وظرفاء القرن العشرين، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٩٣، ص٢٦.

يحمل ما ظننته مخلاة شعير، وسلّم وقعد، وشرع يحييني ويحادثني، حتى شككت في أمره، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر، وأن هذا الجالس أمامي ليس سوى طلائعه، فدنوت من أذنه، وسألتُه هل في القرية فيل؟ فقال: فيل لماذا؟ فأشرت إلى المقص، فضحك وقال: هذا مقص حمير ولا مؤاخذة... ثم قال اجلس على الأرض، قلت: ولماذا بالله؟ قال: ألا تريد أن تحلق؟ قلت ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسي؟ .... ثم شرع يقول باسم الله، الله أكبر، كأنما كنت خروفاً، ويبصق في كفه، ويشحذ الموسى على بطن راحته ... ثم جاء هذا السفاح بطست يغرق فيه كبش، ووضعه تحت ذقني، وصب مادة على وجهي، وفي صدري، وعلى ظهري، ليغسل الدم الذي أراقه، وأخرج من مخلاته منشفة هي بممسحة الأرض أشبه ....)[١]. أسلوب وصل الذروة في التهكم والسخرية.

**حافظ إبراهيم:**

عُرف بسرعة الخاطر، وحضور البديهة، وأشارت المصادر الحديثة إلى كثير من نوادره الحلوة، ودعاباته الطريفة. لمّا تزوجت أُمه وهو صغير، انتقل إلى بيت خاله، الذي كان ينفق عليه بصعوبة، فغضب "حافظ" وكتب له البيتين التاليين[٢]:

ثَقُلت عليكَ مؤونتي ... إني أراها واهيهْ
فافرحْ فإنّي ذاهبٌ ... مُتوجِّهٌ في داهيهْ

وقد كان بين حافظ وشوقي مداعبات كثيرة، منها قوله[٣]:

يقولونَ إن الشوقَ نارٌ ولوعةٌ ... فما بال شوقي اليومَ أصبحَ باردا

فرد عليه أحمد شوقي قائلاً:

وحمّلنا إنساناً وكلباً أمانةً ... فضيّعها الإنسانُ والكلبُ حافظُ

وقد تضمن كل بيت تورية، فالأولى في "شوقي" حيث المقصود الحبيب أو المعشوق، والثانية تضمنتها كلمة "حافظ" حيث لم يكن المقصود "حافظ إبراهيم " وإنما هي بمعنى "المؤتمن". وأراد "شاعر النيل" دخول حفلة ذات يوم، كانت "الأزبكية" مسرحاً لها، ولم يكن معه ثمن التذكرة، فدار حول القاعة عله يرى أحد معارفه فيستلف ثمن التذكرة، وفجأة شاهد زميلاً له يدعى "رياض"، وكان من القائمين على تنظيم الحفلة، فلما علم بحاله، وافق على إدخاله، لكنه اشترط عليه صياغة رجائه شعراً فارتجل "حافظ" هذين البيتين[٤]:

---

(١) الفكاهة في مصر، ص٢٠٠-٢٠٣.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم، شرحه أحمد أمين وزميلاه، ج١، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص٥٨.

(٣) فكاهات وطرائف، ص٢٥.

(٤) سجل الفكاهة العربية، ص٣٤.

رياضُ الأزبكية قد تحلّت بفتيانٍ كرامٍ أنتَ منهمْ
فهبْها روضةً فُتحت لخيرٍ وأَدخلني مَعَ المعفوِّ عنهُمْ

وأما جبّته اليتيمة- غير القابلة للتغيير- فلها حكاية لا تخلو من طرافة (يروى عنه أنه كان يلبس بذلة لا يغيرها، فقال له أحد أصدقائه: لماذا لا تغير البذلة؟ فأجاب على الفور، لأن فيها صفتين عزيزتين القدم والوحدانية)[١]. فلما كان الأمر هكذا، فقد تصدق عليه أحد المحسنين بجبة جديدة، فلم يتمالك نفسه من الفرحة والسرور، وأنشأ يقول فيها مادحاً، وفي القديمة مشنّعاً[٢]:

لي كساءٌ أنعِم بهِ من كساءِ أَنا فيهِ أَتيهُ مثل الكسائي
حاكه العِزُّ من خيوطِ المعالي وسقاه النعيمُ ماءَ الصفاءِ
فكأنّي- وقد -أَحاطَ بجسمي- في لباسٍ من العُلا والبهاءِ
تكبر العينُ رؤويتي وتراني في صفوفِ الولاةِ والأمراءِ
صحبتني قبل اصطحابك دهراً بذلةٌ في تلوّنِ الحرباءِ
نسبوها لطليسانِ (ابن حربِ) نسبةً لم تكن بذاتِ افتراءِ
كَسَفَ الدهرُ لونَها واستعارت لونَ وجه الكذوبِ عندَ اللقاءِ

وأخيراً فقد (دُعي على مائدة بعض الأثرياء مع صاحبه عبد العزيز البشري، وكان الطعام سمكاً، فلاحظ أن البشري يأكل وليس أمامه شوك متبقٍّ مما يأكله، وكانت الفاكهة عنباً نباتياً، فتعجب حافظ، وسأله: أتبلع الشوك، أو أن أمامك سمكاً نباتياً لا شوك فيه؟)[٣]. مما يعني أن الشيخ البشري كان يأكل السمك بما فيه من أشواك.

## عبد العزيز البشري:

شيخ أزهري، وأديب اشتهر بالظرف والدعابة، ومما نسب إليه هذه الطرفة (كان ركب المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري سيارة أحد الأصدقاء، فتعطلت بهما السيارة لخلل طرأ على أسلاكها الكهربائية، فهبط الشيخ من العربة، وسار في طريقه لا يلوي على شيء، فسأله صديقه: رايح فين يا شيخ عبد العزيز؟ فأجابه الشيخ: رايح أركب سيارة حسنة السيرة والسلوك)[٤].

---

[١] الفكاهة في مصر، ص١٨٢.
[٢] ديوان حافظ إبراهيم، ص٢٠٥-٢٠٦.
[٣] الفكاهة في مصر، ص١٨٢- ١٨٣.
[٤] سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص١٨٤-١٨٥.

وللعلاقة الحميمة التي ربطت الشيخ "البشري" "بحافظ إبراهيم"، انعكاس فيما روي من الطرائف، من ذلك: (كان عبد العزيز البشري وحافظ إبراهيم مدعوين إلى رحلة، ودخل البشري على حافظ في غرفة النوم، وطلب إليه أن يرتدي ملابسه بسرعة، فقال حافظ:

- أنا لسه ما غسلتش وشي.

فقال له البشري: وشك مش عايز غسيل .... نفضه كفاية)[١].

كما يروى عنهما: (كان حافظ إبراهيم جالساً في حديقة داره بحلوان، ودخل عليه عبدالعزيز البشري وبادره قائلاً:

- شفتك من بعيد فتصورتك واحدة ست.

فقال له حافظ:

- والله يظهر أن نظرنا ضعف، أنا كمان شفتك وأنت جاي افتكرتك راجل)[٢].

وقد تميز قلم البشري بالسخرية، وخفة الروح، وصف ذات مرة أحد الساسة المصريين ويدعى "زيور باشا"، وكان مفرطاً في البدانة، ميالاً للمرح والظرف، قال في وصفه (أما شكله الخارجي، وأوضاعه الهندسية، ورسم قطاعاته، ومساقطه الأفقية، فذلك كله يحتاج في وصفه وضبط مساحته، إلى فن دقيق وهندسة بارعة، والواقع أن "زيور باشا" رجل- إذا صح هذا التعبير- يمتاز عن سائر الناس في كل شيء، ولست أعني بامتيازه في شكله المهول، طوله ولا عرضه، ولا بعد مداه. فإن في الناس من هم أبدن منه، وأبعد طولاً، وأوفر لحماً، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحداً، أما صاحبنا، فإذا اطلعت عليه أدركت- لأول وهلة- أنه مؤلف من عدة مخلوقات ...... )[٣].

وعلى الرغم من أنه كان شيخاً أزهرياً، إلا أنه كان من المشايخ المتحررين الذين يدعون إلى التجديد، وترك التزمت، وفي هذا الشأن رويت له الطرفة التالية (خرج يوماً للنزهة مع ابنتيه، وكان هو لابساً الجبة والعمة، وكانت ابنتاه تلبسان البرنيطة، ولفت هذا التباين انتباه أحد البلديين فقال: شوفوا البنات لابسات برانيط، فقال له الشيخ: امال يعني عاوزهم يلبسون عمم؟)[٤].

ومما رواه "شوقي ضيف" في كتابه الفكاهة في مصر، يورد الباحث هذه الطرفة، التي تدل على خفة الظل والروح، وهي تقول (كان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري الأديب المعروف صاحب نكتة، من ذلك أن رجلاً من العوام استوقفه ليقرأ له خطاباً، فوجده طويلاً،

---

[١] النكتة السياسية: عادل حمودة، الفرسان للنشر، القاهرة ١٩٩٩، ص١٠٩.

[٢] السابق، ص١٠٩.

[٣] السخرية في أدب الجاحظ، ص١٢٢.

[٤] سجل الفكاهة العربية، ص١٧٤.

فقال له: إنني لا أعرف القراءة، فتعجب العامي، وقال له: كيف ذلك، وأنت تلبس هذه العمامة الكبيرة؟ فأمسك بعمامته، ووضعها على رأس الرجل وقال له: اقرأ)[١].

## الطرفة في الآداب العالمية:

عرفت الطرائف غالبية شعوب الأرض، شرقاً وغرباً، ويقف العرب في مقدمة من عرف الأدب الفكاهي في الشرق، ومعهم الأتراك والفرس والهنود، وأما في الغرب، فنال نصيب الأسد الإنجليز، والفرنسيون والألمان إلا أن حظهم- إذا ما قيس بغيرهم من الأمم الغربية- أقل، مضافاً إليهم اليابانيون، ويعلل الباحثون انحسار الفكاهة لدى كل من الشعبين الألماني والياباني، بميل كل إلى الجد والعمل والاجتهاد. ولقد ظل الباحث- وعلى مدار أكثر من سنة من البحث والاستقصاء- يحاول أن يعثر على جذور للأدب الفكاهي لدى الأمة الهندية، إلا أن الحظ لم يحالفه، وأما بالنسبة للفرس فلم يعثر إلا على طرفتين يتيمتين ساقتهما إليه الصدفة.

## الطرفة في الأدب التركي:

تعود شهرة الأتراك في ميدان الأدب الضاحك، إلى معرفتهم "بجحا" التركي وهو "خوجه نصر الدين"[٢].

ويؤكد ذلك الأديب "العقاد" حينما يقول (ويرجح لدينا أن الخوجة نصر الدين شخصية تركية، غير منقولة عن الأمم الأخرى، أنه نشأ في آسيا الصغرى، حيث تنتشر جماعات الدراويش الدينيين من قبل الإسلام، والخوجة نصر الدين مشهور بكراماته، وكرامات ضريحه في مقبرة آمد شهر....)[٣]. ومن طرائفه التي تحمل مضموناً وهدفاً، ما رواه "العقاد": (سأله تيمورلنك الطاغية المشهور: أين ترى يكون مثواي في الآخرة يا خوجة نصر الدين؟، فقال جحا ولم يتردد: وأين ترضى أن تكون، إن لم تكن مع "جنكيز خان" و"الاسكندر" و"فرعون" و"النمرود")[٤]. جرأة متناهية، ورد سريع صادق. ومن طرائفه المصبوغة بصبغة سياسية أيضاً مع تيمورلنك قولهم: (اصطحب تيمورلنك الخوجة نصر الدين إلى الحمام، وهناك خلع تيمورلنك ثيابه إلا مئزراً شده حول وسطه- على عادة المستحمين – ويظهر أن تيمورلنك كان مغرماً بسؤال جحا في كل مناسبة وفي أي موقف، حتى ولو كان في الحمام، وبالفعل سأله، بكم تشتريني الآن لو عرضت عليك في السوق هكذا؟ قال: بخمسين ديناراً. قال تيمورلنك: ويحك، إن ثمن هذا المئزر فقط يساوي خمسين ديناراً. قال جحا: "نعم وهذا هو

---

[١] الفكاهة في مصر، ص١٦٩.

[٢] عاصر ونادم تيمورلنك ١٣٣٦-١٤٠٥- الفاتح المغولي، المنطلق من عاصمته سمرقند غازياً فارس والهند وسوريا والعراق وآسيا الصغرى، حيث هزم العثمانيين في موقعة أنقرة، النكتة السياسية، ص٧٠.

[٣] جحا الضاحك المضحك، ص١٣٨-١٣٩.

[٤] السابق، ص١٠٧ وينظر النكتة العربية، ص٧٣.

الثمن الذي حسبته")[1]. رد يقطر شجاعة وجسارة وسخرية بالظالمين القساة. وإذا كان قد روي له طرف سياسية، فقد ورد على لسانه ما يدل على غفلة وحمق وبلاهة حيث (دخل جحا أحد المحال التي تبيع الحلوى والفطائر، وطلب من البائع أن يعطيه قطعة من الحلوى، لم تعجب الحلوى جحا فطلب من البائع أن يستبدلها بقطعة من الفطير، أخذ جحا قطعة الفطير، وانصرف دون أن يدفع ثمنها، نادى البائع على جحا وقال له: لم تدفع ثمن الفطيرة يا جحا، فقال جحا: ولكنني أعطيتك قطعة الحلوى بدلاً منها، فقال البائع: ولكنك لم تدفع ثمن الحلوى أصلاً، فقال جحا: وهل أخذت الحلوى وأكلتها حتى أدفع ثمنها؟)[2].

ومن النكات التي تدل على بلاهة جحا التركي، الطرفة التالية (قيل إن جحا توضأ للصلاة، ولكن الماء لم يكفه لإتمام وضوئه، وبقيت رجله اليسرى بغير وضوء، وقام يصلي برجله اليمنى ولا يضع اليسرى على الأرض فسألوه: "ما بالك تقف على رجل واحدة؟"، قال: الأخرى غير متوضئة)[3].

وأما الطرفة التالية فتمثل غفلته، وذروة سذاجته، وقد ألفاها الباحث في أكثر المراجع التي أولت عناية بشخصية "جحا".

تقول (حاول جحا أن يبيع بقرة له فأعياه بيعها، فرآه دلال في السوق تكفل بالبيع، وأخذ الدلال ينادي على البقرة، ويذكر منافعها ومحاسنها، ومنها أنها حبلى في ستة أشهر. ثم جاء الخواطب إلى داره يخطبون بنته، ويتطلعون إلى محاسنها، فتذكر الصفة التي روجت سوق البقرة وقال للخواطب: هي كما ترون وزيادة .... إنها حبلى في شهرها السادس)[4].

## الطرفة في الأدب الفارسي:

أشار الأديب "محمود عباس العقاد" إلى وجود جذور للأدب الفكاهي لدى الفرس، وقرر أن هناك طرائف فارسية قديمة[5]، ولكنه لم يذكر شيئاً منها، وفي هذا المقام يذكر الباحث هاتين الطرفتين، تقول الأولى (قيل إن سائلاً أتى باب رجل من أغنياء "أصفهان"، فسأل شيئاً، فسمعه الرجل فقال لعبده: يا مبارك قل لعنبر، وعنبر يقول لجوهر، وجوهر يقول لياقوت، وياقوت يقول لألماس، وألماس يقول لفيروز، وفيروز يقول لمرجان، ومرجان يقول لهذا السائل يفتح الله

---

[1] سجل الفكاهة العربية، ص١٦٩ وينظر جحا الضاحك المضحك، ص١٠٧، والنكتة العربية، ص٧٢.

[2] نوادر جحا الكبرى، ترجمة حكمت شريف الطرابلسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٨، ص١٠.

[3] سجل الفكاهة العربية، ص١٧٠ وينظر جحا الضاحك المضحك، ص١١٣.

[4] النكتة العربية، ص٧٣-٧٤ وينظر جحا الضاحك المضحك، ص١١٣-١١٤، وكذلك سجل الفكاهة العربية، ص١٧٠-١٧١.

[5] ينظر كتاب "جحا الضاحك المضحك".

عليك، فسمعه السائل فرفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب قل لجبرائيل، وجبرائيل يقول لميكائيل، وميكائيل يقول لدرادائيل، ودرادائيل يقول لكيكائيل، وكيكائيل يقول لإسرائيل، وإسرافيل يقول لعزرائيل، بأن يقبض روح هذا البخيل، فخجل التاجر ومضى السائل إلى سبيله)[١]. وهي تعالج- دون أدنى شك- البخل المتفشي لدى الكثير من الأغنياء.

وأما الطرفة الثانية فجاء فيها (قيل إن كسرى أنوشروان ملك الفرس، كان يستعمل كلمة "زه" كثيراً، وكان من عادته أن يعطي مَن يقولها له أربعة آلاف درهم، ويحكى أنه مرّ يوماً بشيخ يغرس شجرة زيتون فقال له: ما بالك تغرس هذه الشجرة البطيئة الثمر وأنت شيخ هرم؟ فقال: أيها الملك قد غرس مَن قبلنا فأكلنا، ونحن نغرس ليأكل من بعدنا، فقال الملك "زه"، وأمر له بالمال. فقال: أرأيت أيها الملك ما أسرع ثمرة غرسي، فقال: "زه" وأمر له كذلك. فقال: يا ملك إن الغرس يثمر مرة في السنة، وغرسي قد أثمر في الساعة مرتين، فقال "زه" وأمر له كذلك. قال الملك لأصحابه انصرفوا بنا فإننا إن وقفنا بإزائه لا يكفيه كل ما في خزينتنا)[٢]. والمتأمل للطرفة السابقة لا يجدها ذا مغزى، وكل ما تثيره في النفس لا يتعدى التسلية والترويح والإمتاع، ذلك أن الملك كان وقع في كمين- إن جاز التعبير- غير مقصود مما يجعله يخسر كل أمواله.

## الطرفة في الأدب الإنجليزي:

يعج الأدب الإنجليزي بالسخرية الهادفة، والتهكم الموجع، ويكاد يكون مرد ذلك في اعتقاد الباحث راجعاً إلى ما اشتهر به الاسكتلنديون من بخل شديد، نُسجت حوله الكثير من الطرائف المضحكة، ثم ظهور الكاتب الأيرلندي الشهير "برناردشو"، الذي غذى الأدب البريطاني بالعديد من المسرحيات الساخرة، حول بخل الاسكتلنديين تقول أولى طرائفهم (عشرة من الأسكتلنديين دخلوا حانة وطلبوا كوب ليمون وعشر مصاصات)[٣].

ويروى كذلك (حدث أن سقطت سيارة تكسي في النهر، فطلب الراكب- وكان اسكتلندياً- من السائق أن يوقف العداد)[٤]. ويروى أيضاً (كتب قارئ غاضب من "أدنبرة"، إلى صحيفة كبرى في لندن يقول: إني أحذركم .... إذا لم تتوقفوا عن نشر النكات السخيفة حول بخل الاسكتلنديين المزعوم، فسوف أتوقف عن اقتراض جريدتكم بعد اليوم)[٥]. ومن طرائف البخل التي تنسب إلى الاسكتلنديين ما ورد في كتاب "الفكاهة والضحك رؤية جديدة" حيث (ذهب رجل

---

[١] المُلَح، إعداد وتحقيق يوسف قزما خوري، ج٢، ط١، دار الحمراء، بيروت ١٩٩٣، ص٥٨٥.

[٢] السابق، ١٦/١.

[٣] النكتة السياسية، ص١٠٢.

[٤] السابق، ص١٠٢.

[٥] السابق، ص١٠٢.

اسكتلندي إلى مقهى في بوليفارد بفرنسا، وسأل عن سعر كأس من النبيذ. فقال الساقي: أربعة فرنكات. فرد الاسكتلندي: هذا كثير. الساقي: حسناً، لا تشرب ولا تجلس في الشرفة، إنك إذا وقفت على قدميك في ذلك الركن سيكلفك الأمر فرنكين ونصف الفرنك فقط. الاسكتلندي: آه، وكم يكلفني الأمر كي أشرب وأنا واقف على ساق واحدة؟)[١]. ودلالة هذه الطرائف واضحة بحيث لا تحتاج إلى تعليق.

وأما الأديب "برناردشو" فيروى عنه أنه (جلس يوماً في حفلة عشاء إلى جوار فتاة جميلة، فدار بينهما حديث، قالت خلاله الفتاة للفيلسوف: لو تزوج رجل مثلك يا مستر شو بامرأة مثلي، لكان لنا بلا شك أذكى الأبناء وأجملهم، فما كان من برناردشو سوى أن رد عليها بقوله: ومن يدري يا آنستي، فربما ورث أبناؤنا حظي من الجمال، وحظك من الذكاء!!!)[٢]. وهو رد قاس، يحرم الآنسة من الجمال، ويثبت لها الذكاء الذي لم تكن تبحث عنه.

وفي موسوعة الأدب الضاحك، وجد الباحث له النكتة التالية (اتفق لبرناردشو أن راقص إحدى السيدات، فلما انتهيا من الرقصة، وعادا إلى مكانيهما، مالت عليه السيدة قائلة: جميل منك أن تراقص سيدة مسكينة غريبة مثلي! فأجابها "شو" وهو يبتسم: هه ... ألسنا يا سيدتي في حفلة خيرية؟)[٣]. ولولا أنهما في حفلة خيرية لما راقصها. إنه رد قاسٍ آخر يوجهه "برناردشو" لسيدة كانت تؤمل إجابة لطيفة، ورداً حلواً.

وكذلك (طلبت امرأة متقدمة في السن من الكاتب البريطاني الساخر "برنادرشو" أن يقدر عمرها، فأجابها: من النظرة الأولى أظنك ابنة ثمانية عشر، ومن نظري إلى عينيك، أظنك ابنة عشرين، ومن نظري إلى شعرك، ابنة خمسة وعشرين، وبسعادة بالغة سألته: ولكن كم عمري الحقيقي؟ أجابها: هو مجموع هذا كله!!!)[٤].

## الطرفة في الأدب الفرنسي:

أورد صاحب كتاب "المُلح في مجلة الجنان البيروتية" مجموعة من الطرائف المنسوبة إلى الفرنسيين، وقد حملت كلٌ منها مضموناً ومغزىً، وملخص الأولى (مرضت امرأة من أهالي قرية "بواتو"، واشتدت عليها أعراض المرض، حتى أغمي عليها فظن زوجها وأقاربها أنها ماتت، فوضعوها في كفن، وأودعوها نعشاً، وحملوها ذاهبين بها إلى الكنيسة لاحتفال الجناز، وبينما كانوا سائرين بها وذلك بين بساتين القرية، صادف النعش سياجاً من شجر

---

(١) الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٢٣٨.

(٢) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٢٠٤.

(٣) موسوعة الأدب الضاحك، ١١٣/٥.

(٤) سليمان شاهين: موسوعة طرائف ونوادر، دار أسامة، ط١، عمّان ٢٠٠٠، ص١٤-١٥.

العوسج، فأصاب جسم الميتة، فاستفاقت من غشيتها، وشهقت طالبةً الرجوع إلى حيث أتوا بها، وبعد أن مضى عليها أربع عشرة سنة، بعد هذا الحادث، توفاها الله، فذهب بها أهلها إلى كنيسة القرية المعهودة، وعندما اقترب حاملوها من سياج ذلك البستان أخذ زوجها يصرخ قائلاً: إياكم أن تدنوا من السياج، السياج، السياج)[1]. وهي طرفة تعالج قضية اجتماعية حساسة، وتعكس توتراً وخللاً في العلاقات الزوجية، لذا كثر صياحه وكرر "السياج" أكثر من مرة، حتى لا يكون السياج سبباً في عودتها إلى البيت مرة أخرى.

## الطرفة في الأدب الأمريكي:

الطرائف الأمريكية التي استطاع الباحث العثور عليها قليلة نسبياً، ويكاد يشك الباحث في صحة نسبها وصدقيتها، وأن بعضها - على الأقل - موضوعة لأهداف ومرامٍ في نفوس واضعيها، ولكم حاول الباحث العثور على كتب مترجمة ولكن دون جدوى، فاضطر إلى الاعتماد على المراجع الحديثة التي يشك في مادتها، وعلى كل حال فإن هذه الطرائف تمتاز بأمر وهو إما أن تكون طرفة هادفة، تلامس قضايا، وتعكس هماً، وإما أن تكون طرفة تسلية وإمتاع وتسرية. تقول أولى الطرائف الأمريكية (كان أصغر أبناء الرئيس الأمريكي الأسبق تيودور روزفلت ١٨٥٥-١٩١٩ يقود سيارته في أحد الأيام بسرعة جنونية، وفجأة أفلتت عجلة القيادة من يده، واصطدم بشجرة كبيرة، وكاد يتسبب في مصرع طفلين صغيرين كانا يسيران وحدهما في الطريق! وقبض رجال البوليس على الشاب الطائش، وقدم للمحاكمة. ولكن قبل أن ينطق القاضي بالحكم، وهو يقضي بحبسه شهراً، وتغريمه مبلغ ألف دولار، طلب الابن أن يتصل بأبيه في البيت الأبيض الأمريكي لإعفائه من عقوبة الحبس والاكتفاء بتغريمه. ووافق القاضي، وتم الاتصال بين الابن ووالده، وراح الأب ينصت حتى انتهى الابن من حديثه، ثم قال له: أعطني القاضي لأحدثه، وتكلم الأب، فقال: اسمع يا سيدي... لقد حكمت على ابني بالسجن شهراً، وبغرامة ألف دولار .... وحيث أنه لا يملك من هذه الألف سنتاً واحداً، ونظراً لأنني غير مستعد على الإطلاق لدفع هذا المبلغ بالنيابة عنه، لذا أقترح أن يدفعه هو شهوراً أخرى يقضيها في السجن، وانتهى الحديث، وابتسم القاضي ابتسامة عريضة، وقال للابن الذي كان يقف - وقد بدت على وجهه علامات الارتياح الشديد -: "اسمع يا بني، لقد أعفاك والدك من دفع الغرامة، ولذلك فسوف تقضي في السجن ثلاثة أشهر بدلاً من شهر واحد)[2]. والمغزى أن أمريكا بلد النزاهة والعدل والديمقراطية، حيث لا يستطيع الرئيس فيها استغلال منصبه، والتدخل في سير القانون.

---

[1] الملح، ٤٦٩/٢.

[2] موسوعة الأدب الضاحك، ١٠٦/٤.

وطرفة أخرى تروي (سرق شخص أمريكي رغيفاً من الخبز، ولما أُلقي القبض عليه ومثل أمام القاضي، دار بينهما الحوار التالي:

- سرقت؟
- نعم سرقت رغيفاً!
- ولماذا سرقته؟
- لأنني كنت جائعاً.
- ولماذا كنت جائعاً؟
- لأنني عاطل عن العمل.
- هل كنت تعرف أن نتيجة السرقة السجن؟
- نعم كنت أعرف ... ولكن الجوع كافر!
- ولكن القانون لا يرحم.
- أنا أعرف ذلك.
- والقانون يقضي بأن أغرمك مبلغ عشرة دولارات، وحيث أنك عاجز عن دفعها، فإني أتبرع بدفعها عنك.
- شكراً لك يا سيدي القاضي!.

وهنا أخرج القاضي عشرة دولارات من جيبه وقال للسارق: إن القانون يعطيني حق إعفائك من الغرامة، وقد أعفيتك منها، فأصبحت هذه الدولارات لك بموجب الإعفاء فخذها، واندهش المشاهدون، وتقدم المتهم بحياء وأخذ الدولارات من يد القاضي الممدودة إليه، ثم أمر حاجب المحكمة إقفال الباب على الحاضرين، وطلب من كل منهم أن يتبرع بدولار للشاب الجائع وهو يقول لهم: إني حزين جداً لأنني في هذا العصر وفي الولايات المتحدة الأمريكية أرى أناساً يسرقون لكي يأكلوا خبزاً، وأرجوكم التبرع له، وانهالت عليه التبرعات ولكن القاضي قال للسارق: إياك أن تعتبر هذا العمل تشجيعاً لك على السرقة)[1].

والطرفة لها أكثر من دلالة وغرض، فهي تريد أن تقول إن أمريكا بلد القانون، وإن الشعب الأمريكي شعب الرحمة والشفقة، وإنه يندر أن تجد شخصاً يسرق من أجل أن يملأ معدته، كما أنها تطرقت لعلاج مشكلة تفشي البطالة والفقر.

ومن طرائفهم التي تحمل روح العمل الجماعي، وتعكس موقفاً تضامنياً بين زملاء المهنة الواحدة، ما يروى (حُكم على نجار في ولاية "أركانساس" في أمريكا بالقتل شنقاً، فلم يوجد مشنقة في محل الحكومة، وطلب الحاكم إلى نجاري ولايته بأن يصنعوها فرفضوا ذلك، وأجابوا الحاكم: بأنهم لا يصنعون آلة لقتل أحد أهل حرفتهم)[2].

---

[1] السابق، ٧١/٤.

[2] الملح، ٤٠٨/٢.

## الطرفة في الأدب الروسي:

عثر الباحث على طرفتين روسيتين اثنتين، كان "عادل حمودة" قد أوردهما في كتابه الموسوم "النكتة السياسية"، وقد لامستا قضايا وأمراضاً اجتماعية خطيرة، وأول هذه الأمراض النفاق، تقول الطرفة (عُرِف عن الزعيم السوفيتي الأسبق "نيكيتا خروشوف" أنه صياد ماهر.... وكان يفخر بذلك .... وذات يوم دعا بعض الوزراء إلى رحلة صيد.... فلما طارت أول بطة، صوب إليها، وأطلق النار، ولكنه لم يصبها فصاح أحد الوزراء: إنها معجزة حقاً!... هذه أول بطة- على ما أعلم- تستمر في طيرانها وهي ميتة)[1]. تأكيد كاذب، ونفاق واضح، فالبطة لم تصب ولكن نفاق الوزير هو الذي أُصابها.

ويروى كذلك (في الاتحاد السوفيتي أيضاً .... لكن في عهد "ليونيد بريجنيف" سأل مواطن عن عنوان طبيب أنف وأذن وعيون معاً... فقيل له:

- هذا التخصص لا وجود له... الموجود أنف وأذن وحنجرة.
- لكني أحتاج إلى طبيب أنف وأذن وعيون.
- ولِمَ هذا الإصرار؟
- لأن ما اسمعه في هذا البلد غير الذي أراه!)[2]. والمقصود أن الدولة تكذب على مواطنيها، فما يسمعه المواطن شيء، وما يراه ويلمسه شيء آخر مختلف تماماً.

## الفكاهة في إيطاليا:

تنتشر في إيطاليا- تقريباً- كل ألوان الفكاهة، وعلى رأسها:

١- **الفكاهة العدوانية**: حيث يقوم مقدمو الفكاهة في المراقص والنوادي الليلية والملاهي بمهاجمة الجمهور، كما توجه الفكاهة العدوانية في هذا البلد ضد الأقليات كاليهود والسود، وضد فئات معينة مثل أساتذة الجامعات، ورجال الشرطة، ورجال الدين.

٢- **الفكاهة الجنسية**: يمتاز سكان جنوب إيطاليا بالاحتشام والمحافظة على الشرف، لذا تطالهم الكثير من النكات الجنسية، (وفي كثير من النكات والقصص والأفلام، تظهر شخصية الزوج المخدوع، والنكات الجنسية أمر مألوف في إيطاليا)[3].

٣- **الفكاهة الاجتماعية**: بعد أن وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها، انتشرت السخرية السياسية في إيطاليا، حيث حرّم ذلك النظام الفاشي الذي امتد من عام ١٩٢٤- ١٩٤٥م، وهناك عدد من الصحف والمجلات المتخصصة في النقد السياسي.

---

(١) النكتة السياسية، ص٧٩.

(٢) السابق، ص٧٩.

(٣) الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٢٥٢.

٤ - **الفكاهة وسيلة دفاعية**: من الميزات الإيجابية للشعب الإيطالي، أنه يجيد نقد نفسه، ويتقبل ذلك، ويعترف بأخطائه، ولا يجد غضاضة من الضحك والسخرية منها.
٥ - **الفكاهة العقلية**: وهي منتشرة على نطاق واسع (وذات تراث مكتوب طويل يمتد من بوكاشيو وحكاياته إلى بيرانديللو ومسرحياته، وتعد إيطاليا في طليعة المستخدمين للفكاهة اللامعقولة والعبثية، التي تقوم على أساس اللعب بالكلمات)[١].

## علاقة الطرفة بالعلوم الأخرى:

للطرفة علاقات وثيقة ببعض العلوم مثل علم المخابرات، وعلم الاجتماع وعلم النفس، وعلم الجمال وغيرها من علوم.

## علاقة الطرفة بعلم المخابرات:

تنبئ الطرفة بنبض الشارع، كما أنها تعكس مزاج الناس، وهي تشبه- إلى حد كبير- البارومتر حيث يُعرف عن طريقها مدى رضا الشعب أو سخطه، ومدى ولائه للحاكم، أو تذمره منه، لذا تتسابق الأنظمة جميعها- والظالمة منها على وجه الخصوص- على جمع الطرائف، وتحليلها، ومعرفة محتوياتها. لقد أمست الطرائف تُدرّس ضمن العلوم المخابراتية، وهناك تقارير شهرية- إن لم تكن يومية- ترفع إلى الحكام، كي يكونوا على دراية بكل ما يدور حولهم، حيث يولي الحكام المعروفون- بالبطش والتنكيل- اهتماماً ملحوظاً بأمر الطرائف، التي تسمى بلغة اليوم النكات، ويجنّدون لسماعها والتقاطها وإيصالها آلاف المخبرين، وجيوشاً من المتعاونين السريين، ويجعلون لكل مهمته، فأحدهم يرصد، وغيره يكتب، وثالث يحلل، ويرفع للجهات العليا، التي تقوم بعمل تقرير من نسخة واحدة، ويُكتب عليه سري للغاية، وتُرفع منه صورة للحاكم، وزيادة في الحيطة- ولضمان عدم التسرب- يقوم أحد المعروفين لدى الجهات العليا بكتابة التقرير. ولأن الطرائف- بالطبع- تسبب إزعاجاً للحاكم[٢] المتسلط، فإن أجهزته تدأب على مطاردتها، ومحاصرتها، والحيلولة دون انتشارها، وتوسعها خوفاً من آثارها ونتائجها. من غريب ما يروى عن قسوة وتسلط الأجهزة الأمنية في بعض الدول العربية ما يقال (إن ضابطاً عربياً في نظام ديكتاتوري عربي، طلبوا منه اصطياد قرد من غابة خلال أربعة أيام، وبعد انتهاء المدة وجدوه يُقيِّد حماراً في شجرة، ويضربه قائلاً: اعترف بأنك قرد!)[٣]. والمقصود أن الاعترافات تنتزع بالقوة والتعذيب. وطرفة أخرى أشد

---

[١] السابق، ص٢٥٢.
[٢] ينظر كتاب "النكتة السياسية" عادل حمودة.
[٣] السابق، ص١٧١.

وأنكى حيث (قال الحاكم العربي لأصدقائه: أريد وشّاماً ماهراً يرسم لي صورة القدس على يدي، فقال النديم: وإذا رجعت القدس يا سيدي. قال الحاكم: اقطع يدي!)[1]. تأكيد وجزم من الحاكم العربي بأن القدس لن تعود إلى أصحابها مرة أخرى.

وطرفة أخيرة حول هذا الأمر مفادها (أَمسكَ ملكا الحساب بعراقي مات فجأة في حادث تصادم ليحاسباه على ما فعل في دنياه .... وسُئل: ديانتك ... قال: بعثي، وإلهك؟ "ميشيل عفلق"، ونبيك؟ الرئيس "أحمد حسن البكر"، فحار الملكان (ناكر ونكير) فإنهما لم يسمعا عن هذه الديانة من قبل، فأبلغا النبأ إلى مَن هو أعلى منهما مقاماً، فاستدعى الرجل وسأله: ما ديانتك؟ فقال الإسلام، وإلهك؟ الله، ونبيك؟ محمد عليه السلام، ولماذا لم تقل ذلك منذ البداية؟ قال: افتكرت اللي بيسألني من رجال الأمن)[2].

## علاقة الطرفة بعلم الاجتماع:

اهتم علم الاجتماع بدراسة الشخصية، وشاركه الاهتمام علوم أخرى مثل علم النفس، والسياسة، والاقتصاد، والأنثربولوجيا، والخدمة الاجتماعية، والتربية وغيرها.

وحينما يشير الباحث إلى اهتمام علم الاجتماع بالشخصية، فإنه يعني الشخصية بالمفهوم الاجتماعي، أي الإنسان الذي يحيا داخل جماعة، وضمن نطاق مجتمع، ويتفاعل من خلال سلوكيات معينة، حيث يؤثر ويتأثر بمختلف القيم، والسمات، والأنماط الاجتماعية والثقافية، ولكن ماذا يُعنى بالشخصية؟ يجوز لنا تعريف الشخصية بأكثر من طريقة، فالشخصية هي (هذا النسق المنظم للسلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم وغيرها من السمات أو الخصائص التي تميز الفرد)[3]. وهو أيضاً عبارة عن (سمات وخصائص الناس التي تعظم مشاعرهم حول أنفسهم واتجاهاتهم نحو المواقف المختلفة وميولهم اتجاه العمل)[4]. كما يمكن تعريفها كذلك بأنها (الأنماط الثابتة الواضحة من التفكير، والمشاعر، والأفعال التي تعد نموذجية بالنسبة للفرد)[5]. ويظهر من خلال التعريفات السابقة للشخصية، أنها ليست مجموعة من الصفات أو الأنماط أو السمات المستقلة، بل هي عبارة عن وحدة متماسكة من الصفات، التي تكمل بعضها بعضاً، وتتفاعل مع بعضها البعض، بحيث يتمخض عن هذا التفاعل وحدة متكاملة من الصفات، أو الملامح التي تميز الفرد عن غيره من أفراد المجتمع، وهنا يلتقي علم الاجتماع مع

---

(١) النكتة العربية، ص٩٦.

(٢) النكتة السياسية، ص١٧١.

(٣) د. طلعت إبراهيم لطفي: مدخل إلى علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة (بدون تاريخ)، ص١٢٤- ١٢٥.

(٤) السابق، ص١٢٥.

(٥) السابق، ص١٢٥.

الطرائف، ذلك أنه عن طريق الطرفة، يمكـن تبـيّن ملامـح شخـصيات البـشر، وسـمات الشخصيات، وعلاماتها، وأهم مميزاتها، والتوغل داخل هذه الشخـصيات لمعرفـة مزاجهـا وتركيبها ونوازعها.

## علم الاجتماع والثقافة:

وإذا كانت شخصيات الناس تختلف، وتتباين، سواء ما كان منها على المستوى الجماعي، فهذا الاختلاف مرده (الثقافة وذلك لأن الشخصية هي نتاج التفاعل بين الفرد ومجتمعه وثقافته، حيث تختلف الثقافة في كل، أو بعض سماتها ومكوناتها وأنماطها، حيث من الثابت أنه لا توجد ثقافتان متطابقتان تماماً، وأن هناك نوعاً من الاختلاف يتسع أو يـضيق مـداه، سـواء علـى المستوى المحلي، أو على ما فوق ذلك من المستويات)[1]. ولا أحد ينكر تأثير الثقافـة علـى شخصية الإنسان، وعليه فإن تمايز الشخصيات بين الأفراد يكون نتيجـة طبيعيـة لاخـتلاف وتمايز الثقافات، ومن هنا عُرف لكل شخص ثقافته، ولكل فرد شخصيته المتميزة، ومرة أخرى يتقاطع علم الاجتماع مع الأدب الفكاهي، فمن خلال الطرائف يمكن تبيّن ثقافات الأفراد والأمم والشعوب، وإذا كان علم الاجتماع يدرس الثقافات، فإن الطرفة تفسر هـذه الثقافـة، وتحـدد سماتها، وتبرز معالمها، وتوضح خصائصها.

## علم الاجتماع ودراسة السلوك والمشاكل الاجتماعية:

تزايد في الآونة الأخيرة اهتمام علماء الاجتماع بدراسة المشكلات الاجتماعية، وهذا يعني أن علم الاجتماع يطمح لمعرفة العوامل الرئيسة المرتبطة بالسلوك الاجتماعي، صحيح أن علم الاجتماع يهتم بصفة رئيسة بدراسة الظواهر الاجتماعية، إلا أنه (يحتاج دراسـة المـشكلات الاجتماعية باعتبارها جوانب معينة للسلوك الاجتماعي)[2]. ويمكن تصنيف هذه المشاكل بحيث تنحصر في ثلاث مجموعات: أولاها المشكلات الناجمة عن التكيـف مـع البنيـة الخارجيـة الطبيعية والإنسانية على السواء، وثانيها تتعلق بإشباع الاحتياجات الإنسانية الفرديـة لأفـراد المجتمع البشري، وثالثها يتعلق بعدم مقدرة الإنسان على البقاء في بيئته دون حياة اجتماعيـة. كما أن دراسة سلوك الناس- خاصة السلوك الشاذ والمنحرف- يعد من صلب اهتمامات علـم الاجتماع، علماً بأن السلوك المنحرف لدى أمة من الأمم، ربما لا يعدّ كذلك لدى أمة أخـرى، والسبب اختلاف الثقافات، وتباينها من مجتمع لآخر، وهنا يلحظ الباحث التقاءً بـين كـل مـن الطرفة وعلم الاجتماع، فعن طريق الملح والدعابات والنوادر، يمكننا أن نغوص فـي أعمـاق

---

[1] د. صلاح الفوال: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ١٩٩٦، ص١٢٣.
[2] د. فادية الجولاني: مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣، ص٤٣٥.

الشخصية الإنسانية، وأن نسبر أغوارها، ونستجلي العوالم النفسية للأفراد، ذلك لأن الطرائف تحلل طبائع البشر، وتقف على دوافع سلوكهم ونزعاتهم، حيث تنقلب الطرفة هنا إلى مرآة صادقة، يرى المرء فيها سلوكيات البشر ونفسياتهم.

## علاقة الطرفة بأشكال التعبير الأخرى:

ما من أمة إلا ولها تراثها الشعبي، الذي يبرز ملامحها، ويحافظ على كيانها، ويعزز وحدتها، ويحفظها من الاندثار والضياع، وكل أمة من أمم الأرض حريصة على تدوين مأثوراتها الشعبية، وذلك من باب المحافظة على الهوية الوطنية من الطمس والتزوير، وكل شعب له أمثاله، وحكاياته، وأساطيره، وخرافاته، ومعتقداته، وطرائفه، وألغازه، وأغنياته، وأهازيجه، ومأكله، ومشربه.

وفي ظني أن العلاقة بن الطرفة وبين كل هذه الأشكال المشار إليها آنفاً، علاقة حميمة، ذلك أنها جميعاً تنتمي إلى أصل واحد، وهو ما يسمى عند البعض بالفولكلور.

## علاقة الطرفة بالأمثال الشعبية:

تكاد تكون علاقة الطرفة بالأمثال- خاصة- أشد التصاقاً، وأكثر قوة من غيرها من ألوان التراث أو الفولكور، تقول إحدى الباحثات الفلسطينيات في تعريف المثل (والأمثال عادة هي جمل قصيرة ولكنها نتجت عن خبرة طويلة، وقد ثبّت صحتها الزمن، ودوّنها في سجلاته، ليصدرها في الوقت المناسب حكمة للشارع وانتقاداً لاذعاً للحياة)[١]. وعلق "د. يوسف حداد" على أهمية الأمثال بقوله إنها (تلقي الدروس بأسلوب من المرح الحاذق، وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة، والحكمة العملية، والعدالة والمشاركة العاطفية، ثم السخرية اللاذعة الذكية)[٢]. ويكفي للتدليل على العلاقة الحميمة جداً بين الطرفة والمثل، أن طرائف فلسطينية عدة ذهبت مذهب الأمثال، حيث جمعت خصائص كل من المثل والطرفة، وهناك أمثال فلسطينية عديدة مبنية على التناقضات والسلبيات البشرية، يتداولها الفلسطينيون في المناسبات جلباً للضحك، ورغبة في الابتسام ومنها (زبال وحامل وردة- بعدما شاب ودوه على الكتّاب- مجنون يحكي وعاقل يسمع- يا ميخذ القرد على ماله، يروح المال ويبقى القرد على حاله- قرد موالف ولا غزال مخالف- السكافي حافي والحايك عريان- الميت كلب والجنازة حامية- حاميها حراميها- من فوق رخام ومن تحت سخام)[٣]. ومنها أيضاً (باب النجار مخلع- أجا الأقرع تيونسنا كشف عن قرعته وخوفنا- الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة)[٤].

---

[١] د. يسرى جوهرية عرنيطة: الفنون الشعبية في فلسطين، ط٣، فلسطين ١٩٩٨، ص١٨٧.

[٢] د.يوسف حداد: المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصة،مركز الأبحاث م.ت.ف، ط١ ١٩٨٥، ص٢٠٦.

[٣] السابق، ص٢١٠-٢٢٨.

[٤] الدار دار أبونا، ص١٥٦-١٥٠-١٥١ على التوالي.

## العلاقة بين الطرفة والحكاية المرحة:

تلتقي الطرائف مع الحكايات المرحة في أن كلاً يوفر الأنس والمرح والترويح والتسلية، كما أن كلاً منهما يلامس مشاكل اجتماعية تلقي بظلالها على المجتمعات، وقد ظهرت الحكاية المرحة الخيالية (زمن القهر والبطش حينما كانت الشعوب ترزح تحت ظلمة الحكام واستبدادهم، ولم يكن الشعب قادراً على التصريح بما يجول في خاطره من كراهية للحاكم، أو حقد عليه، فلجأ إلى هذه الحكايات كنوع من أنواع النقد المبطن، والسخرية بأناس يتصرفون عكس ما توحي به مظاهرهم، أو عكس ما يفترض أن يتصرفوا به)(١). بمعنى ظاهرها الترويح، لكن باطنها التنفيس عما يعتمل في القلوب من مواقف اجتماعية.

وكان وضع لها الكاتب "الكزاندرهجرتي كراب"- المتخصص في علم الفولكور- تعريفاً جاء فيه (إنها تلك الأحدوثة القصيرة المنثورة، أو المنظومة، التي تحكي نادرة، أو سلسلة من النوادر، وتنتهي إلى موقف فكه مرح)(٢). غير أن وظيفتها لا تنتهي عند الفكاهة والمرح فحسب، وإنما تحتوي على قدر كبير من السخرية والتهكم بالحكام والطواغيت، أو ربما كانت السخرية فيها موجهة إلى بعض الأمراض الاجتماعية التي يكثر انتشارها مثل الغرور، والحمق، والأنانية، والجبن.

وإذا كان هناك تشابه بين الطرفة والحكاية المرحة أو كما يسميها البعض الحكاية الهزلية، فإن بينهما أيضاً اختلافاً، فالحكاية تختلف عن الطرفة في حيزها الزماني، فالحيز الزماني للحكاية المرحة أطول من الحيز الزماني الذي تستغرقه الطرفة، ولا غرابة في ذلك، فالإيجاز من أهم صفات الطرفة، فهي لو بُولغ فيها، فلن تؤدي غرضها المنشود، ولن يكون لها ذلك التأثير القوي الغالب، هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى، فإن الحل الذي ينتهي إليه كل منهما يتباين، ففي حين نجد أن الحل في النكتة (يأتي عن طريق تقاطع خطين، نجد أن الحل في الحكاية المرحة، يبرز في نهاية خط واحد، وطبيعي أن هذا مبعثه اختلاف المجال النفسي الذي ينسجم عن خلق كل نوع)(٣).

ومن أشهر الحكايات المرحة المتداولة في الأدب الفلسطيني الشعبي حكاية "عيشة وأم عيشة"، فالمرح الذي تخلفه هذه الحكاية قد جاء بهدف السخرية من عقول البسطاء والسذج من الناس (فلمجرد أن مسمار الباب أمسك بعباءة الرجل الذي يعتزم زيارة ابنته، قرر أخذ الباب معه، اعتقاداً منه أن الباب هو أيضاً مشتاق لمقابلة "عيشة"، وكذلك أخذوا معهم الطابون، أما

---

(١) نمر سرحان: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ١٩٧٤، ص٩٣.

(٢) الكزاندرهجرتي كراب: علم الفولكور، ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي للنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٩٤.

(٣) د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٤، ص٢١٠.

الغنم التي تجتر فقد ظنها الرجل الساذج وزوجته تقوم بمضغ اللبان، وخاطبها طالباً نصيبه ممَّا تمضغ، وبالطبع فلم تجب العنزة فقتلها، وفي طريق العودة لفع "أبو عيشة" وزوجته الشجرة بالقماش الذي أهدته ابنته إليهما شفقة منه على تلك الشجرة التي ترتجف من البرد القارس، وكذلك أسقى الأرض المتشققة جرة الزيت التي أعطته إياها ابنته اعتقاداً منه بأن الأرض عطشى).[١]

## العلاقة بين الطرائف والألغاز:

إذا كانت الطرائف تفضي إلى الضحك، وتؤدي إلى الابتسام، فإن كثيراً من الألغاز تكون نهايتها ابتسامات على الثغور، وذلك حينما لا يتمكن المرء من الإجابة على اللغز، ويستغرق ذلك وقتاً غير قصير، فيضطر السائل إلى إعلان الإجابة الصحيحة هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى، فإن من السمات المشتركة بين كل من اللغز والطرفة، أن الطرفة في بعض الأحيان تكون في حاجة إلى ذكاء حتى يتمكن المرء من اكتشاف ما فيها من مفارقات، وما ترمي إليه من أهداف وأغراض، وأما اللغز فإن روحه تقوم على الذكاء الذي يسعف صاحبه في الاهتداء إلى الإجابة السديدة.

واللغز رافد من روافد التراث الأدبي الشعبي، يعتمد على الإيجاز، والجناس، وهو وسيلة من وسائل التسلية والتسرية عن النفوس، وإزجاء وقت الفراغ، بما يعود على الإنسان بالخير والفائدة، ويمارس أكثر ما يمارس في السهرات التي تجمع صغار الأسرة بكبارها، فتكون مناسبة لحث الأطفال على التفكير والتدبر، وتعليمهم ملكة الربط بين الأشياء.

وتكاد تنحصر الألغاز الشعبية الفلسطينية في مجموعة لا تزيد عنها، وقد استقى الباحث هذه الألغاز من أكثر من مرجع متخصص، ومن الألغاز المشهورة: (شيء قد الكف يقتل مئة وألف- شئ يقوم من بطن أمه ويحك ظهر أبيه)[٢].

ومن الألغاز الفلسطينية كذلك (حامل ومحمول ونصفه ناشف ونصفه مبلول- أسود ليل ما هو ليل، خزق الدار ما هو فار أكل شعير ما هو حمار- من بره جنة ومن جوه نار، ومنها نتسلى كبار وصغار بناكلها فاكهة وهي من الخضار- على قصر عالي حطوني وفي الحرير مشوني- عبد الله حلو وظريف، مسكته من خصره شلح القميص)[٣]. وأحياناً يأخذ اللغز شكل السؤال، وإلى هذا النوع تنتمي الألغاز التالية: (ما هو الشيء الذي يسقط دائماً ولا ينكسر؟- ما

---

[١] الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص٩٦.

[٢] المشط- عود الكبريت، النكتة العربية، ص١١٧.

[٣] مجلة اضحك، إعداد محمد بدارنة، حيفا، الطبعة الأولى أيار ١٩٩٥، ص٦٨- ٧٥ وإجابة الألغاز: السفينة، النملة، البطيخة، المقص، الترمس.

الشيء الذي يسلك كل يوم طريقاً ولا يعود إلى القهقري أبداً؟ – ما هو الشيء الذي له رجلان لكنه لا يمشي؟ – أنا شيء منظور غير مأكول لا أحترق بالنار ولا أتأثر بالماء ولا أقبل الكسر ولا أموت بإطلاق النار فمن أنا؟)[1]. ومن الألغاز الفلسطينية ما يتطلب ثقافة دينية، ويعكس التزاماً بالدين، واهتماماً بالعقيدة، والتاريخ الإسلامي، ومن هذا اللون الألغاز التي تقول (أًصابه الله بضر في العيال والأموال وكان مثالاً للصبر فغير الله الأًحوال، وأكثر له العيال، وعوضه عن الأًموال، فمن هو؟ – أوتي العلم والملك والحكمة ولان له الحديد، كانت له نعمة صنع المسامير وله المزامير؟ – فلق البحر بعصاه، وأنقذ اليهود لكنهم عصوه، جاء بالألواح من عند الفتاح فمن هو؟" – جاء بعد آدم صديقاً نبياً، خط بالقلم وعلم الأسماء، ورفع إلى السماء مكاناً علياً- نادى على العباد ليحرموا الفساد، فأنقصوا في الميزان، وغشوا في المكيال، فجاءهم العذاب من كل الأبواب فمن هو؟)[2].

---

[1] السابق، ص٦٩- ٨٠، والإجابة: الشلال، الشمس، البنطلون، الخيال.

[2] السابق، ص٨٨-٨٩، والإجابة: أَيوب، داوود، موسى، إدريس، شعيب عليهم السلام.

# الفصل الأول

أولاً: مفهوم الطرفة.

ثانياً: بواعث الطرفة.

ثالثاً: علاقتها بقضايا المجتمع.

**مفهوم الطرفة:**

الطرفة كلمة استخدمها العرب منذ القدم، للدلالة على كل شيء مستحدث مستحسن، من ذلك ما يعكسه قول ابن منظور" ( ... شيء طريف، طيب غريب، وأطرف فلان إذا جاء بطرفة، واستطرف الشيء: عدّه طريفاً، واستطرفت الشيء استحدثته ... والطرفة كل شيء استحدثته فأعجبك)[١].

وكذلك تعريفها في معجم مقاييس اللغة بأنها (الشيء المستحدث)[٢].

وفي المعجم الوسيط (كل شيء مستحدث عجيب)[٣].

وفي أساس البلاغة (... طرفة من الطرف: للمستحدث المُعجِب، وقد طرُف طرافة، وأطرفته كذا: أتحفته به)[٤]. وإذا كان المعنى اللغوي للطرفة يتمحور حول الجديد المستحسن، فإن معناها الاصطلاحي يشرح أسباب الاستحسان، ويربطها بما يشيع أجواء الأنس والبهجة، ويجلب الضحك والبسمة، ويروح عن القلب، ويزيل عنه الهم والحزن، ويخفف من أثقال الحياة، ويقلل من أعباء الواجبات، ويصرف الألم والمشقة، ويسري عن النفس، ويزجي أوقات الفراغ، ويبحث عن التفاؤل والأمل والسمر، ويعيد الصفاء، كما يمتد المعنى الاصطلاحي أيضاً ليشمل ما هو أهم من الضحك حيث معالجة قضايا الأمم والشعوب، وتصوير حجم معاناة الناس، وتسليط الأضواء على ما يؤرق الجماهير، ولفت نظر الحاكم إلى هموم ومعاناة الرعية، وتصوير الحياة الاجتماعية، والتعرض لما تعانيه المجتمعات من متاعب وأزمات، ولفت الأنظار إلى ضرورة تخليص الأمة من الرذائل والفساد، ومحاولة القضاء على الجور والبطش والاضطهاد، والتعبير عن قضايا الشعوب، وتسجيل الأحداث تسجيلاً صادقاً، ومحاولة التعرف إلى ملامح الشخصيات وأمزجتها، وجوهر طباعها، وسبر أغوار النفس البشرية، والوقوف على دوافع السلوك، وتفسير الأخلاق والمعتقدات، وأماني الشعوب وتطلعاتها ومتاعبها، ورصد سلبيات الواقع، ومواجهة الأعداء وتعرية الحكام المستبدين، ومحاربة التجبر والعبودية، خاصة وأن للطرائف مفاهيم سيكولوجية واجتماعية عديدة، كما أن لها مفاهيمها الفكرية والسياسية التي لا تخفى على كل ذي عين بصيرة.

---

[١] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ٢١٣/٩ – ٢٢١.

[٢] أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، المجلد الثالث، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١١-١٩٩١، ص ٤٤٨ – ٤٤٩.

[٣] المعجم الوسيط: ج٢، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، ص ٥٥٥.

[٤] الزمخشري: أساس البلاغة، ج٢، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ص ٦٨ – ٦٩.
(للتوسع ينظر "المنجد" ط٢٨، ص ٤٦٤، وكذلك "القاموس المحيط" ١٧٢/٣ وما بعدها).

## الطرفة في الأدب الرسمي:

اختلفت وجهات نظر الباحثين في شأن الأدب الفكاهي، حول المقصود بالأدب الرسمي والأدب العامي، غير أن أكثرهم على أن الطرائف التي وصلتنا بالفصحى، تدخل ضمن نطاق الأدب الرسمي، أما ما وصلنا منها مصوغاً بالعامية المحكية الدارجة، فهو يصنف ضمن الأدب العامي، والمتتبع لأمر طرائفنا العربية، يجد كل ما ورد منها في الكتب الموسوعية القديمة "كالبخلاء" و"العقد الفريد" و"بهجة المجالس" و"الأغاني" وغيرها، قد ورد بالفصحى، وأما الكتب المعاصرة الحديثة، فقد وردت الطرائف فيها باللهجة العامية، إضافة إلى الفصحى.

وقد تنبه "الجاحظ" إلى هذا الأمر منذ القديم، والتفت إلى مشكلة الفصحى والعامية في الفكاهة، بل لم يكن من العسير لديه أن يتحلل المرء –أحياناً- من قواعد اللغة، وأن يتنصل من النحو والإعراب عندما يسرد النادرة، ذلك لأن سردها بالفصحى يسلبها حلاوتها وطلاوتها، جاء في "البيان والتبيين" حول هذه النقطة (إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطعام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو أن تتخير لها لفظاً حسناً، أو أن تجعل لها من قبل مخرجاً سرياً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، الذي أردت لها، ويذهب استطابتهم إياها، واستملاحهم لها)(١).

وفيما يختص بالطرائف الفلسطينية، فقد لاحظ الباحث أن الجزء الأكبر منها ورد بالفصحى، وأن جزءاً ورد – على الألسنة- عامياً دارجاً. وفي هذا المضمار يشير الباحث إلى أنه سيراعي في إيراد النماذج التنوع في الهدف والمضمون والدلالة.

## الطرفة الفلسطينية الفصيحة:

*(قال الراكب لعامل بالسكة الحديد: هل هذا قطاري؟

- لا إنه ملك لشركة السكك الحديدية.
- أنا لا أقصد ذلك، هل أستطيع أن آخذه إلى بئر السبع؟
- لا، إنه ثقيل جداً !!!)(٢). وكل ما يلاحظ عليها أنها جاءت فصيحة، واعتمدت على التلاعب بالألفاظ في كلمة "آخذه".

*(الشرطي: لماذا تجري بهذه السرعة؟ في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة.

فرد السائق من داخل سيارته قائلاً: في العجلة الأمامية، أم الخلفية؟)(٣).

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ١٩٩١، وينظر سجل الفكاهة العربية، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٢) اضحك، ص٢١.

(٣) السابق، ص ٤٦.

وقد اشتملت على تورية تضمنتها كلمة "العجلة".

*(معلمة من "عكا" سألت تلميذتها: لماذا أنت شعرك أسود، وأختك شعرها أشقر؟ قالت التلميذة: أمي ولدتني قبل ما تصبغ شعرها باللون الأشقر!!!)[١]. وهي بالإضافة إلى ورودها بالفصحى – تنم عن براءة التلميذة.

*ومن الطرائف الفلسطينية التي أوردها الكاتب "على الخليلي" في كتابه الموسوم بـ "النكتة العربية" اختار الباحث هذه الطرفة الفصيحة التي تقول (ذهب الفيل والنملة إلى القاضي ليتزوجا، قال القاضي: كيف يكون ذلك؟ هو فيل وأنت نملة! فاقتربت النملة من أذن القاضي، وقالت هامسة: أرجوك ارحم الفيل الذي في بطني!!!)[٢] والطرفة –دون أدنى شك- تتبع طرائف التسلية والترويح.

*(بعد الانتهاء من أداء امتحان الرياضيات، سأل الأول الثاني عن حلوله، فأجابه: كانت سيئة.

-الأول: ولماذا لم تكتب الحلول على كم قميصك؟

-الثاني: فعلت ذلك، ولكني نسيت وارتديت قميص الكيمياء!!!)[٣] ومن دلالتها لجوء الطلاب إلى الغش.

*(وزّن رجل نحيف نفسه فوجد أن وزنه ١٢٠ كيلو غرام، فتعجب كثيراً إلا أنه تذكر أن في جيبه صورة صديقه السمين !!!)[٤]. مما يوحي بغفلته الشديدة.

*(كانت سيدتان تشاهدان نشرة الأخبار، فقالت الأولى للثانية: لقد طالت نشرة الأخبار اليوم كثيراً. فأجابتها الثانية: من يدري ... ربما كانت الحلقة الأخيرة!!!)[٥].

*(الأولى: شعرت بالإحراج الشديد عندما طلبوا مني أن أخلع قناع المهرج عن وجهي في الحفلة التنكرية.

-الثانية: لماذا؟

-الأولى: لأني لم أكن مرتدية أي قناع !!!)[٦] الأمر الذي يشير إلى أنها كانت قبيحة المنظر.

*(على شاطئ "يافا" قال الأول للثاني:

-لماذا لا تنزل إلى البحر؟

-لأن الطبيب أخبرني أن صحتي كالحديد.

---

[١] السابق، ص ١٧.

[٢] النكتة العربية، ص١١٧.

[٣] موسوعة طرائف ونوادر، ص٧.

[٤] السابق، ص ١١.

[٥] السابق، ص١١.

[٦] السابق، ص٢٠.

-وما الضرر في ذلك؟
-أخشى أن أنزل في الماء فأصدأ !!!)[١]. مع وجوب ملاحظة العلاقة بين الماء والحديد والصدأ.
*(المجنون الأول: هل تستطيع أن تمشي على خيط الدخان المنبعث من سيجارتي؟
-المجنون الثاني: وهل أنا مجنون، افرض أنك أطفأت سيجارتك، ماذا يحدث لي عندئذ!!!)[٢].
*(شخص عمل حادث بسيارته ... شاهده رجل "أحول" أخذه على الميكانيكي، وأخذ السيارة على الطبيب !!!)[٣] والدلالة أنه لم يكن يرى بصورة صحيحة.
*(الابن: كم أساوي عندك يا أبي؟
-الأب: ملايين الدنانير يا ولدي.
-الابن: طيب أعطني عشرة دنانير تحت الحساب !!!)[٤] طرفة تترجم خفة ظل الابن.
*(البخيل الأول: اشتريت زجاجة يود وانكسرت.
-البخيل الثاني: يا خسارة كيف عوضتها؟
-الأول: جرحت يدي ووضعتها على اليود، حتى لا يذهب اليود سدى !!!)[٥]. والمقصود أنه شديد البخل.
*(القاضي: كيف تقول لم أسرق بقرة، وقد وجدناها عندك في المنزل؟
-اللص: أنا يا سيدي سرقت حبلاً.
-القاضي: حبلاً فقط.
-اللص: نعم .. وبآخره بقرة !!!)[٦] لص ظريف.
*(القاضي للص: هل أنت نادم على جريمة السرقة؟
اللص: نعم يا سيدي، فقد وجدت النقود مزيفة !!!)[٧].
*(الزبون: أين صاحب المطعم لأشكو له من سوء الطعام عندكم؟
-عامل المطعم: إنه في المطعم المجاور يتناول العشاء !!!)[١]. والدلالة أن أصحاب المطاعم لا يهتمون بجودة الطعام المقدم لزبائنهم.

---

[١] اضحك، ص١٧.
[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص ٧٠.
[٣] مجلة فتيان الإيمان، العدد الرابع، (بدون تاريخ)، ص ١٦.
[٤] السابق، ص ١٦.
[٥] اضحك، ص ٣٩.
[٦] النكتة العربية، ص٦٤.
[٧] موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٧.

*(الأم: لماذا ضربت هذه الطفلة يا وسام؟
-الطفل: لتعرف أني مهذب.
-الأم: وكيف ذلك؟
-الطفل: بعد أن ضربتها قلت لها آسف !!!)[٢]. براءة وشقاوة أطفال.
*(وجد الفيل ثقباً فدخل، ولم تدخل النملة، لماذا؟ لأنها كانت حبلى !!!)[٣].
*(كسر أحدهم طبلة كي يعرف ما الذي يُحدث كل تلك الضجة !!!)[٤] والمغزى أنه كان رجلاً مغفلاً.
*(أخذت الطفلة تجري نحو والدها وهي خائفة:
-أسرع يا أبي ... أخي الصغير يأكل الجريدة.
-الأب: غير مهم ... هذه جريدة الأمس !!!)[٥]. والدلالة أنه رجل مغفل.

## الطرفة الفلسطينية العامية:

لاحظ الباحث تنوعاً في الطرائف الفلسطينية التي وصلت باللغة الدارجة، وذلك من حيث المضمون والدلالة، فمنها ما تناول شريحة السذج، ومنها ما عرض للحمقى، ومنها ما أشار إلى المتسولين غير المحتاجين الذين يستغلون طيبة البعض إلى غير ذلك.
*(سعيد: في شمسيتك ثقوب كثيرة يا صالح.
-صالح: أنا عارف ومرتاح من هالشغلة.
-سعيد: كيف، وليش مرتاح؟
-صالح: لأني هيك بعرف ايمتى بسقط المطر !!!)[٦]. وهي إجابة توحي بسذاجة صاحبها.
*(فلاح مسكين راح يحج، فسكن في مخيم النساء، ولما سُئل عن السبب، قال عشان أحج عن أمي !!!)[٧].
*(كان في واحد ماسك دجاجة وقاعد بضربها ويقول لها، يا بنت الكلب كل يوم بيض بيض، مفيش يوم جبنة !!!)[١]. صنيع يدل على سذاجة متقدمة.

---

[١] السابق، ص١٠.
[٢] السابق، ص ١٩٥.
[٣] النكتة العربية، ص ١١٧.
[٤] مجلة فتية الإيمان، ص١٦.
[٥] اضحك، ص ٤٠.
[٦] السابق، ص٣٥.
[٧] نشرة "فرح" صادرة عن البرلمان الفلسطيني الصغير، العدد الثاني، بدون تاريخ وصفحات.

*(واحد اتصل على ناس قائلاً: دار فلان، فقالوا: لا، فقال: طيب ليش بتردوا)[٢].

* ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني متناولاً هذه الشريحة، هذه الطرفة "واحد ساذج سأل صاحبه: ليش بيحطوا الحليب على الشاي؟ فقال له صاحبه: عشان التفل يرضع !!!"

*وكذلك "في اتنين سذج ماشيين في صحراء، فقال الأول للثاني: تسمح لي بكلمة على انفراد".

*(واحد ساذج قال لصاحبه: ليش القطار مهم؟ رد صاحبه: لأنه تحته خطين !!!).

*"واحد ساذج دخل صيدلية، وقال للصيدلاني: أعطيني ساندويتش فلافل، فرد الصيدلي بعصبية: هادي صيدلية مش مطعم، وعندها دخل ساذج آخر مستفسراً عمّا بهما، ولمّا أخبره الصيدلي بما دار بينهما، قال للصيدلي: سيبك منه، أعطيني أنا ساندويتش شاورمة!!!".

*(اثنان من السذج، واحد يقول للثاني: شايف الشمس ما أحلاها!

-الثاني: هادي مش شمس، هادا قمر. وكاد يحدث بينهما شجار، فرأوا شخصاً فسألوه ليحسم لهما الخلاف: فقال: أنا متأسف لأني مش من هالبلد !!!".

*وفي مجلة "اضحك" الصادرة في حيفا، عثر الباحث على عدد من الطرائف الفلسطينية التي تخللتها بعض الكلمات العامية، تقول الأولى (طلب المفتش من أحد التلاميذ أن يقوم ليكتب جملة على اللوح، فسأل التلميذ: أنو لوح فيهم؟ فرد المفتش: "ليش كم لوح في الصف؟" فأجاب التلميذ: ما هو الأستاذ بقلنا في لواح كتيرة هون!!!)[٣] وقد اتكأت الطرفة على التورية في كلمة "لوح"، حيث تعني بالعامية شيئين السبورة والشخص الغبي.

*(وقف أحد المحامين يدافع عن شقي معروف، فقال: إن موكلي رجل شريف، طاهر، مستقيم، فقاطعه المتهم قائلاً: هيه .. هيه هل أحضرتك لتدافع عني أم عن شخص آخر !!!)[٤]. وقد اشتملت على كلمة عامية تستخدم في مواقف الاستهجان والاستغراب، وهي كلمة "هيه"، ومن دلالات الطرفة عدم اكتراث اللصوص بالسجون والعقوبات، حيث لم يرق له أن يوصف بالطهارة والاستقامة.

*(قرأت سيدة على صدر شحاذ لوحة كتب عليها: "أخرس وأطرش وحسنة لله! فسألته متأثرة: يا حرام أصحيح أنك أخرس وأطرش؟ فأجابها: شو ما بتعرفي القراية !!!)[٥].

والدلالة أن الشحاذ كان كاذباً.

---

[١] النشرة السابقة.

[٢] النشرة السابقة.

[٣] اضحك، ص ٥٩.

[٤] السابق، ص ٦٢.

[٥] السابق، ص٦٣.

*وهذا كهربائي فلسطيني فيه شيء من الحمق، تروي –بالعامية- خبَره، الطرفة التالية (السيدة:
-أنت ليش ما جيتش امبارح عشان تصلح جرس الباب؟
-الكهربائي: أنا جيت، وضربت الجرس ثلاث مرات، لكن محدش رد !!!)[١].

*وطرفة أخرى وصلت بالعامية المحكية، طرفاها طبيب ومريضه، تقول أحداثها (المريض: أنا بأتعب كتير يا دكتور لما أمشي، ما تعرفش حاجة آخدها عشان ما أتعبش؟
-الدكتور: خد تكسي !!!)[٢]. وقد اعتمدت التلاعب بالألفاظ في كلمتي "اخدها – خد".

*ومن كتاب "النكتة العربية" آثر الباحث اختيار هاتين الطرفتين، لاشتمالهما على كلمات عامية يكثر استخدامهما كثيراً في الحياة اليومية، جاء في الأولى (قال الدكتور للمريض: خذ نَفَساً، فقال المريض: ما فيش تمباك !!!)[٣]. ولا أعتقد أنه يغيب عن البال العلاقة بين النفس والتمباك.

*وجاء في الثانية (قال الدكتور: تحتاج إلى راحة، فقال المريض: ما فيش بسكوت!!!)[٤]. وسرُّ الإضحاك فيها كامن في التورية، التي حملتها كلمة "راحة" فهي تعني الراحة البدنية، كما تعني الحلوى المعرفة "بالحلقوم".
*ومن الطرائف العامية التي يكثر ترديدها في المجتمع الفلسطيني، والتي تقتصر أهدافها على التسلية والترويح، الطرائف الآتية: "رجل كان بده يبني مستقبله، راح اشترى اسمنت وحجار!!!" مع ملاحظة العلاقة بين كل من البناء من جهة، والأسمنت والحجارة من جهة أخرى.

*وأيضاً "كان في رجل طويل خالص قام انطعج!!!"

## بواعث الطرفة:

كثيرة هي دواعي قول الطرائف، وإطلاق النكات، ولا يكاد المرء يجد كبير فارق بين دواعي إطلاق الطرائف قديماً عنها في العصر الحاضر.

---

(١) السابق، ص٣٠.
(٢) السابق، ص ٢٠.
(٣) النكتة العربية، ص ١١٦.
(٤) السابق، ص ١١٦.

**بواعث الطرفة العربية:**

**أولاً: - البواعث التي عالجت سلبيات المجتمع ونفرت منها، ويقف على رأسها:**

١-ذم البخل: عُرف العربي –منذ القدم- بكرمه وجوده، حيث امتُدح الكرماء وأُشيد بسخائهم، وأما البخلاء المقترون فكانوا –في كل زمان- موضع سخرية وتندر، حيث لم يسلموا من غمز الشعراء ولمزهم، فهذا الشاعر العباسي المشهور "أبو نواس" يسخر من بخل "الفضل" وتقتيره قائلاً[١]:

| | |
|---|---|
| رأيتُ الفضلَ مكتئباً | يناغي الخبزَ والسمكا |
| فأسبل دمعَه لمّا | رآني قادماً وبكى |
| فلما أن حلفتُ له | بأني صائمٌ ضحكا |

فهو لشدة بخله يناغي الطعام مناغاة، ويبكي حينما يرى الضيف، فإذا ما تيقن أنه صائم ابتسم.

ومن أخبار عتاة البخلاء، ما أورده "الجاحظ" في كتابه "البخلاء"، حيث (زعم سري بن مكرم، وهو ابن أخي موسى بن جناح، قال: كان موسى يأمرنا ألا نأكل ما دام أحدنا مشغولاً بشرب الماء وطلبه، فلما رآنا لا نطاوعه، دعا ليلة بالماء، ثم خط بإصبعه خطاً في أرزة كانت بين أيدينا، فقال هذا نصيبي، لا تعرضوا له، حتى أنتفع بشرب الماء)[٢].حرص لا يضاهيه حرص، وبخل ما بعده بخل. وطرفة أخرى لا تقل عن سابقتها غرابة واستهجاناً، تقول (قال ابن حسان، كان عندنا رجل مقل، وكان له أخ مكثر، وكان مفرط البخل، فقال له يوماً أخوه: ويحك، أنا فقير معيل، وأنت غني خفيف الظهر، لا تعينني على الزمان، ولا تواسيني ببعض مالك، ولا تتفرج لي بشيء؟ والله ما رأيت قط، ولا سمعت، بأبخل منك. قال: "ويحك، ليس الأمر هكذا كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل لا في اليسر، والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها خمسمائة ألف درهم، يا هؤلاء فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل؟)[٣] مع ملاحظة أنه استخدم حرف "لو" الذي يفيد الامتناع، وبالتالي ظل عطاؤه مجرد وعد، وبقي بخله دونما تغيير.

٢-ومن البواعث كذلك اتخاذ الإضحاك وسيلة للتكسب والعيش، ويكاد الباحث يزعم أن اتخاذ الإضحاك وسيلة عيش ورزق، كان من أهم بواعث اللجوء إلى إطلاق الطرائف والملح، فقد كان الظرفاء محبوبين لدى الأمراء والخلفاء، وكانت لهم عندهم حظوة، وكان الأمراء

---

[١] سجل الفكاهة العربية، ص ١٥٢.

[٢] البخلاء، ص ١٧٥.

[٣] السابق، ص ١٧٣.

حريصين على حضور مجالسهم بما يتخللها من سمر وإمتاع وتسلية، وكان الشاعر الظريف "أبو دلامة" من الشعراء الذين تكسبوا من وراء الظرف، ومثله كان الشاعر "أبو نواس"، فقد لزم "هارون الرشيد" حتى عدّ مضحاكه بلا منازع. ومن جميل دعابات "أبي نواس" في هذا الجانب ما يروى من أنه (خرج يوماً من دار الخلافة، فتبعه الشاعر "الرقاشي" وقال له: "أبشر أبا علي، إن الخليفة ولاك في هذه الساعة ولاية، فقال له أبو نواس: وما هي؟ فأجابه الرقاشي على القردة والخنازير، فقال أبو نواس: إذاً فأسمع وأطع)[1].

ومن طريف ما يُروى عن شعراء التكسب، ما ذكره "على مروة" في موسوعته حيث (اجتمع على باب الأمير "نصر" جماعة من الشعراء، وامتدحوه فتأخرت صلته عنهم، وكان قد أجاز الشاعر المعروف "بابن حيوس" بصلة كبيرة، فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها، وسيرت الورقة إليه، وفيها هذه الأبيات:

على بابك المحروس منّا عصابة ... مفاليسُ فانظرْ في أمور المفاليسِ
وقد قنعتْ منك الجماعةُ كلُّها ... بعُشر الذي أعطيتَه لابن حيوسِ
وما بيننا هذا التفاوتُ كُله ... ولكنْ سعيدٌ لا يُقاسُ بمنحوس

فلما وقف عليها الأمير "نصر" أطلق لهم مائة دينار)[2].

٣-ومن البواعث أيضاً دخول حفلات الطعام والولائم، حيث كانت تُنسج الطرائف –أحياناً- من أجل إفساح المجال لحضور مثل هذه الحفلات، وأكثر الذي قيل في هذا المجال من نوادر مستحسنة، وكلام ظريف، وحكايات لطيفة، كان قد رُوي عن الثقلاء والطفيليين الذين كانوا يتوجهون إلى الأعراس والولائم دونما دعوات، وقد كان لهؤلاء الثقلاء والطفيليين قدرات عجيبة، على انتزاع اللقمة، والمشاركة في الوليمة، وكان للطفيليين زعيم يوجههم، ويبصرهم بكيفية دخول الولائم، ويرسم لهم الخطط حتى لا يُكتشف أمرهم، وسُمي هذا الزعيم بطفيل العرائس، وإليه يُنسب الطفيليون، قال –ذات مرة- لأصحابه مرشداً وناصحاً (إذا دخل أحدكم عرساً فلا يلتفت تلفت المريب، وليتخير المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة، فإذا كان البواب غليظاً، فتبتدأُ به، وتأمره وتنهاه، من غير أن تعنف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال)[3].

---

[1] النكتة العربية، ص ٨٣. وينظر سجل الفكاهة العربية، ص ١٥٣.

[2] موسوعة الأدب الضاحك، ٥٧/١.

[3] العقد الفريد، ١٥٩/٦.

ويبدو أن شهوة الطعام كانت تسيطر على هؤلاء الطفيليين، فغطت عندهم على كل شيء، بحيث بات الطعام شغلهم الشاغل، وهمهم الوحيد. وتكاد تمتلأ بطون الكتب التراثية القديمة بأخبار الثقلاء والطفيليين، وتفننهم في الحصول على الطعام، ومنها (قيل لبعض الطفيليين: كم اثنين في اثنين؟ قال: أربعة أرغفة)[1] فالأرقام عنده مرتبطة بالأرغفة، ولا شيء غير الأرغفة.

ولم يأبه هؤلاء الطفيليون بكراهية الناس لهم، ولا بسوء المعاملة التي كان يلقونها، لقد ضحوا بكل شيء بما فيه عزتهم وكرامتهم في سبيل ملء بطونهم، يروى أن طفيلياً (دخل على قوم يأكلون فقال: ماذا تأكلون؟ فقالوا من بُغضه: سماً، فأدخل يده وقال: الحياة بعدكم حرام)[2].

وقد تمتع بعضهم بذكاء شديد، وقدرة فائقة على الرد السريع الذي يمهد له الطريق لدخول الوليمة، أو العرس، واستطاعوا بحيلهم وألاعيبهم ومكرهم أن يتصدروا موائد الطعام، يروى (عثر طفيلي على عرس في جانب المدينة، واقتصرت الحفلة –كما يقال- على الأقارب والمعارف، فحار في أمره وتساءل، حتى اكتشف أن للعريس أخاً مسافراً، فأخرج ورقة من جيبه، وطبقها على شكل رسالة، وطرق الباب قائلاً: إنه صديق للأخ الغائب، وجاءهم برسالة منه، ففتحوا له الباب، وعندما وجد العريس أن الرسالة كانت ورقة خالية لم يكتب عليها شيء، قال له الطفيلي: نعم لقد كان أخوك مشغولاً جداً، ولم يجد الوقت ليكتب لك شيئاً)[3] لقد تم اكتشاف الحيلة، ولكن بعد فوات الأوان.

ومن طرائفهم المضحكة أيضاً ما يقول (دخل طفيلي على قوم، فقالوا له: ما دعوناك، فما الذي جاء بك؟ قال: إذا لم تدعوني ولم آت وقعت وحشة، فضحكوا وقربوه)[4].

ومن مشاهير الطفيليين "أشعب –وقد أشير إليه عند الحديث عن الفكاهة في العصر الأموي- الطماع، الذي استطاع بفذلكاته الحصول على الطعام، وحضور المآدب والولائم، والتطفل على الأعراس، ومن غريب طمعه وتطفله، ما رواه صاحب كتاب "أدب وطرب"، حيث (تغدى أعرابي مع أشعب، فسأل "أشعب" الأعرابي: كيف مات أبوك؟ فأنشأ الأعرابي يقص عليه حادثة وفاة أبيه، بينما كان "أشعب" يلتهم الطعام بسرعة، حتى فطن الأعرابي إلى حيلة أشعب، فقطع قصته وقال لأشعب: وأنت كيف مات أبوك؟ فأجاب أشعب: فجأة ... واستمر في أكله)[5].

---

[1] بهجة المجالس، ص٧٤١.

[2] العقد الفريد، ١٦١/٦.

[3] سجل الفكاهة العربية، ص ١٦.

[4] نهاية الأرب، ٣٢٨/٣.

[5] أدب وطرب، ص ١٤٢.

وأما نوادر الثقلاء، فإنها لا تقل طرافة وتشويقاً عن طرائف الطفيليين، يقول فيلسوف هندي واصفاً قلة أدبهم وحيائهم وثقل دمهم (النظر إلى الثقلاء يورث موت الفجأة)[١]. بل قال "الحسن البصري" –رضي الله عنه- في تفسير قوله تعالى ("فإذا طعمتم فانتشروا"[٢] إنها نزلت في الثقلاء)[٣].

وكذلك يروى عنهم (قيل لبشار بن برد: ما أذهب الله كريمتي مؤمن إلا عوضه الله خيراً منهما، فبم عوضك؟ فقال: بعدم رؤية الثقلاء مثلك)[٤].رد مسكت وملجم، ولكن لا يُدرى كيف كان تأثيره على ذاك الثقيل، وقد عُرف "الأعمش" بشدة نفوره من الثقلاء، ذلك أنه يروى (دخل عليه ثقيل يعوده فقال: ما أشد ما مر بك في علتك هذه؟ قال: دخولك عليَ)[٥].

٤-تصوير الحياة الاجتماعية باعث وجيه آخر من بواعث إطلاق الطرائف وشيوعها، حيث تصور الطرائف ما يجري داخل البيوت تصويراً دقيقاً، وتشخص شكل العلاقة بين أفراد البيت الواحد، سلبية كانت أو إيجابية.

٥-ومن البواعث السلبية أيضاً، ملامسة قضايا الناس، وإظهار حجم معاناتهم، ومما يروى على صعيد المعاناة الاقتصادية (أن مواطناً مصرياً كان يمشي، عندما وجد طابوراً طويلاً، فسارع ليقف فيه ... وبعد ساعة لم يتحرك الطابور، فسأل الذي يقف أمامه:

- هو الطابور ده، طابور أيه؟
- والله ما أعرف.
- كيف وأنت واقف فيه.
- أيوه، لأني حاشتري أي حاجة، علشان أنا محتاج لكل حاجة.

ومضت ساعة أخرى، ولم يتحرك الطابور ... فراح كل شخص يسأل الذي قبله عن السر، حتى وصلوا إلى أول شخص في الطابور، وعندما سُئل:

- مفيش حد بيبيع حاجة هنا، أنا وقفت أربط الجزمة، فوجدت الطابور ورايا.
- طيب ليه فضلت مكانك.
- قلت لنفسي يمكن يبيعوا حاجة، أسيب دوري ليه، وأنا في أول الطابور؟)[٦].

---

[١] بهجة المجالس، ص ٧٣٣.

[٢] الأحزاب: الآية ٥٣، المعجم المفهرس.

[٣] بهجة المجالس، ص ٧٣٢.

[٤] نكت الهميان ونكت العميان، ص ٦٦.

[٥] موسوعة الأدب الضاحك، ٥٠/٨.

[٦] النكتة السياسية، ص ٢٤٨.

غلاء، جنون أسعار، ندرة مواد تموينية أساسية، تجعل المواطن العربي المطحون يخترع الكذبة ثم يصدقها.

**ثانياً: البواعث الإيجابية لإطلاق الطرائف العربية، ويذكر الباحث منها:**

١-إشاعة الأنس والبهجة، والترويح عن النفس، ورسم الابتسامة على الشفاه.
٢-التخفيف من أثقال الحياة، والتقليل من أعباء الواجبات، وصرف الألم والمشقة عن الإنسان.
٣-إزجاء وقت الفراغ بما يعود على النفس بالنفع والفائدة.
٤-محاولة البحث عن التفاؤل والأمل.
٥-الهروب من عناء الواقع.
٦-الاستمتاع بلذة الحياة.
٧-إعادة الصفاء والإشراق.
٨-التسرية عن النفوس التي أضناها الهم والحزن.
٩-الرغبة في الضحك.

## بواعث الطرفة الفلسطينية:

لا تكاد تختلف بواعث إطلاق الطرفة في فلسطين –سلبية كانت أم إيجابية- عن مثيلاتها في الأقطار العربية، ولا أخال نفسي مغالياً عندما أقول إن بواعث هذا الإطلاق يكاد يكون متشابهاً على مستوى البشر جميعاً، ومن البواعث السلبية –على المستوى الفلسطيني- لنسج الدعابات، وإطلاق الملح والنوادر:

١-التنفير من البخل: تقول الطرفة الفلسطينية التي تنفر من هذا الداء المكروه (طلب أحد البخلاء من ابنه أن يغسل سيارته، وحتى يشجعه على العمل: قال له: إذا نظفت السيارة جيداً، سأصحبك إلى بائع الفاكهة لترى التفاح بعينك)[1].

*وغيرها –ولكن في ذات السياق- وأما تفاصيلها، فهي كالتالي (الخادم: ألم تعدني بأنك ستزيد من راتبي بعد مضي عام؟

-السيد: نعم، ولكن بشرط ألا تغضبني.

-الخادم: وهل حدث أن فعلت أو قلت ما يغضبك؟

-السيد: إنك تغضبني الآن بطلبك هذا !!!)[2]. ومن دلالتها الواضحة أن هؤلاء البخلاء لا يغضبون إلا إذا أحسوا أن نقودهم ستُمس بسوء.

---

(١) "اضحك"، ص ٣٧.

(٢) السابق، ص ٦٢.

*ومما يروى كذلك (-سمعت أنك ذهبت البارحة لمشاهدة المباراة الكبرى في كرة القدم، فهل كانت البوابة منخفضة؟

-البخيل الثاني: منخفضة: لقد كانت من أكبر البوابات التي تسلقتها منذ بدأت في تشجيع الكرة)[1]. وهي تعكس تعوده تسلق بوابات الملاعب –منخفضة كانت أو غير منخفضة- تهرباً من شراء التذكرة.

٢-تصوير الحياة الاجتماعية –خاصة الجانب السلبي منها- ومعرفة ما يدور داخل البيوت، والوقوف على شكل العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة.

وأكثر الطرائف الفلسطينية التي عثر عليها الباحث في هذا الصدد، جاءت مصورة للحموات، منتقدة تصرفاتهن، حيث يدأبن على التدخل المباشر في شئون البيت، مما يفسد العلاقة بين الزوج وزوجته، ويؤدي -في كثير من الأحيان- إلى حدوث أبغض الحلال إلى الله.

*ومما يروى في البيئة الفلسطينية حول الحموات (كان الزوج يقود السيارة وبجانبه زوجته، وفي المقعد الخلفي جلست أمها.

-الزوجة: أسرع قليلاً.

-الحماة: على مهلك من فضلك.

-الزوجة: اسبق السيارة التي أمامك.

-الحماة: سر بجوار الرصيف ... أرجوك.

وهكذا كانت كل منهما تناقض الأخرى، حتى اضطر الزوج إلى التوقف، وقال لزوجته: يا حبيبتي يجب أن نقرر من يقود السيارة أنتِ أم أمك؟)[2].

*ومن نكات الحموات كذلك، ما روي (المدرس للأب: ابنك ذكي وناجح ومجتهد.

-الأب: مثل أبيه.

-المدرس: لكنه كثير الجدال وعنيد.

-الأب: مثل أمه.

-المدرس: ويحرض زملاءه على النزاع والخصومة.

-الأب: مثل جدته ... حماتي !!!)[3].

---

(١) موسوعة طرائف ونوادر، ص ٢٠.

(٢) السابق، ص ١٢٨.

(٣) اضحك، ص ٤٢.

ولا تقف الطرفة الفلسطينية عند حد انتقاد الحماة، ذلك أن بعضها يصف ما يجري بين الزوج وزوجته من مشاجرات ومطاحنات، يكون بعضها بالأيدي، والبعض الآخر بما هو أسوأ من الأيدي، إلى ذلك ذهبت الطرفة التالية (ذهب الطالب إلى مدرسته متأخراً، فقال له المعلم: لماذا تأخرت؟ فقال الولد: إن أبي وأمي كانا يتقاتلان، أما أنا فكنت أناولهم الحفايات)[١]. وبقدر ما في الطرفة من تصوير صادق ودقيق لما يجري –أحياناً- في بعض البيوت، بقدر ما تثير الحزن والاستغراب.

وأحياناً تنبئ الطرفة عن شكل النظرة التي يرى المجتمع من خلالها المرأة، فهي سلعة تباع وتشترى، وهي لا تزيد عن خادمة مهضوم حقها، وفي هذا المجال يشير الباحث إلى طرفة جديدة مفادها:

*(توفي الزوج فقامت المرأة تلطم عليه بشدة، فقيل لها: لماذا هذا العويل واللطم؟ فقالت: أنا لا أبكي عليه، بل أبكي على حالي، لقد تركني لا عجرة ولا مستوية)[٢] والمغزى أن مصيرها قاتم، فهي ليست من بعده عذراء يمكن الزواج منها، وليست عجوزاً على حافة القبر، فتودع مصيرها المأساوي بالموت. إنه تصوير غاية في الدقة لحال المرأة الفلسطينية المظلومة، ولكيفية النظر إليها.

*وطرفة أخيرة في الشأن نفسه (الزوجة: هناك صوت في المنزل ربما يكون لصاً.

-الزوج: اذهبي أنتِ ... فربما كانت لصة !!!)[٣] ومن مضامين الطرفة جبن بعض الرجال وشدة خوفهم، كذا الاتكالية وإلقاء المسئولية على النساء.

٣-ومن البواعث السلبية لوضع الطرف في المجتمع الفلسطيني، رصد المعاناة المادية، وإظهار حجم المشكلات الاقتصادية التي يواجهها المواطنون، حيث تندر الوظائف، ويعز إيجاد الشغل، وتنتشر البطالة، وترتفع أسعار السلع، وفي هذا الشأن يشير الباحث إلى هاتين الطرفتين الفلسطينيين، تقول أولاهما (الأول: بماذا تشتغل الآن يا صديقي؟

-الثاني: في الصحافة.

-الأول: وأي باب تحرر؟

-الثاني: أحرر باب الإعلانات، فأنشر كل يوم إعلاناً أطلب فيه عملاً !!!)[٤].

---

[١] السابق، ص ٦٤.

[٢] النكتة العربية، ص١٠٧.

[٣] السابق، ص ١٠٧.

[٤] اضحك، ص ٥٥.

وهذا مواطن فلسطيني ينتقد مبالغة الأطباء في الأسعار، كأجرة المعاينة، وإجراء العمليات الجراحية وغيرها، يقول محتوى الطرفة (قال الطبيب: لقد كان مرضك شديداً، ولولا ثقتك بنفسك، وإيمانك بالله، لما شفيت.

-المريض: أرجو أن تتذكر هذا وأنت تقدم فاتورة الحساب!!!)[1].

لقد أصبح لزاماً على الفقير الذي يريد إجراء عملية جراحية، أن يتخلى عن كل أصناف الطعام –تقريباً- كي يكون قادراً على تسديد فاتورة الطبيب، تحكي هذه الأحداث كلها، الطرفة التالية (الطبيب للمريض: يجب أن تتخلى عن تناول الدجاج والسمك واللحوم والفواكه والحلويات.

-المريض: لماذا يا دكتور؟

-الدكتور: لتوفر أجرة العملية التي سأجريها لك !!!)[2].

**وأما البواعث الإيجابية المتسببة في نسج الطرائف الفلسطينية، فهي على النحو التالي:**

١-التسرية عن النفوس، والترويح عنها، وإشاعة أجواء الأنس والبهجة والسرور، ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني لأجل غرض التسلية والترويح، الطرفة التالية "بيت لحم تزوج بيت فحم خلفوا مشاوي". مع ملاحظة العلاقة التي تربط كلاً من اللحم والفحم والشواء.

وكذلك "واحد أعمى كان ماشي في الطريق، صدمته سيارة فقال: اصدمه، اصدمه، الله لا يرده!!!" والمقصود أن بعض الناس لا يعبأون بالمكفوفين.

*ومن طرائفنا الشعبية المضحكة والمتداولة، ما يروى "كتب أحد أصحاب المطاعم على بوابة مطعمه: كل واشرب مجاناً، فدخل رجل فأكل وشرب، ولما أراد الخروج، استوقفه صاحب المطعم طالباً ثمن الطعام، ولما لم يكن يحمل نقوداً، فقد ضربه "شلوت وكف"، ثم دخل رجل آخر وأكل وشرب، ولما لم يكن معه نقود، فقد قام صاحب المطعم بضربه شلوت فقط، فبقي واقفاً، لم يتحرك ولما سأله صاحب المطعم عن سبب وقوفه، قال: "باستنى في الكف" إجابة تنم عن ظرف وخفة روح.

*ومنها كذلك ما يشاع حول "فيل أراد الزواج من نملة، فرفضت أمها، فأمسك الفيل بالنملة ووضعها في يده وقال غاضباً –وهو يضربها- والله غير أتزوجها ... والله غير أتزوجها".

*وكذلك الطرائف التالية: "زلمة بحب الهدوء، اشترى شريط كاسيت فارغ".

*"الضابط: ما هي أهم فنون الدفاع عن النفس؟ –الجندي: الفرار بأقصى سرعة". ومن دلالاتها جبن الجندي.

---

[1] السابق، ص ٣٧.

[2] موسوعة طرائف ونوادر، ص ٢٤٣.

*"في واحد أزعر عطس قام خابط حاله في الأرض". والدلالة القصر الشديد.
*كان في صوص قاعد يرقص في الشارع، شافه ديك، فقال له: أيش أنت ما عنـدكش أهـل يربوك؟ فرد الصوص قائلاً: لا ... أنا تفقيس مكاين".
*"كان أحدهم يحمل أرنباً يريد بيعه، فمر عليه واحد مسطول، وقال له: بكم القرد يا أخ؟ فقال: هذا أرنب مش قرد، فقال المسطول: اسكت، أنا بأكلم الأرنب ما بأكلمك".
*"زلمة أحول اكتشف بعد عشر سنوات أنه كان يصرف على الجيران".
*"خروف بيسأل خروف: مر عيدين بدون ما يذبحوك، ليش؟ ... فقال الخروف الثاني: لأنـي مسجل في القشان حمار".
*"واحد قال لصاحبه: إذا عرفت إيش مرتي طابخة راح أعطيك نص الكوسيات، فقـال لـه: طابخة ملوخية". والدلالة أنه رجل غبي.
*"قال المدرس للتلاميذ: يعيش القرد يا أولاد في جنوب آسيا، فردوا بصوت واحد: يعـيش – يعيش – يعيش". طرفة تعكس سخافة الطلاب، وتشير إلى عدم اهتمامهم بالعلم.
*"زلمة بدوي ذهب للدكتور وقال له: يا دكتور بطني بيلعب، فرد الدكتور: مـع أي فريـق؟". ولا تخفى العلاقة بين اللعب والفرق الرياضية.
*"محامي رفع قضية ... وقعت عليه". وقد اتكأت الطرفة على الطباق بـين رفـع – ووقـع، اللذين يفهمان من النص.
*"رجل على باب الله، ضيع حماره، وفي الطريق إلى البيت، شاهد حماراً وحشياً، فقـال لـه: الأهبل مزين حاله ... بيحسبني مش عارفه".
*"قطة ماشية على السور ... قامت وقعت ... قال ليش؟ عشان خلص السور".
*"في زلمة نكد، بيكره نفسه، وقع في جورة ... فقال: أحسن".
*"مدرس تزوج مُدرسة، فكتبوا كتابهم على اللوح وزفوهم بالطباشير".
والعلاقة واضحة بين العمل في مهنة التدريس من جهة، واللوح والطباشير من جهة أخرى.
*"في مدرس لغة عربية، وقع في جورة ... رفعوه بالضمة".
*"دخل أحد المفتشين على الصف، وكان المدرس على وشك أن ينام، فلما رأى المفتش قادماً، قال: وهكذا كان ينام عمر". مما يشير إلى ذكاء المدرس وحسن تصرفه.
*"سأل مدرس العلوم: ليش يا أولاد القلب بيدق؟ قال التلاميذ: علشان المعدة ترقص يا أستاذ". والطرفة تدل على تدني المستوى التحصيلي للتلاميذ.
*"سأل المعلم طلابه: من أين يتم استيراد الشاي؟ فرد الطلاب: من عند الجيران". في إشـارة إلى تعود البعض استلاف بعض الحاجيات من عند الجيران.

*"سأل المعلم: مَن الذي فتح جزيرة صقلية؟ فرد التلميذ وهو يرتعد خوفاً: والله ماهو أنا يا أستاذ" مما يعكس تدني مستوى طلاب هذه الأيام.

*"قال أحد المجانين لزميله: ارسم لي مربعات، على ظهري ورقّمها، وبعد أن انتهى صاحبه من الرسم، قال له: حك لي في المربع رقم ١٨".

*"أشار أحد البلهاء إلى شارع، وسأل زميله: أين يذهب هذا الشارع؟ فرد عليه: هذا الشارع ثابت محله لا بيروح يمين، ولا بيروح شمال".

*"كان القائد العسكري المعروف بقسوته، يستعرض جنوده ذات يوم، فوقف أمام أحدهم، وسأله: إيش اسمك؟ فقال الجندي: اسمي عبد الرحمن. فسأله القائد: وما الذي تمسكه بيدك يا عبد الرحمن؟ فقال: بندقيتي يا سيدي. فقال له القائد: لا ... هذه ليست بندقيتك، بل هي زوجتك وعرضك وشرفك. ثم انتقل إلى جندي آخر وسأله: إيش إسمك؟ فقال: كامل، وما الذي تمسكه بيدك يا كامل؟ فقال: زوجة عبد الرحمن يا سيدي".

*"واحد كان يحلق ذقنه، فرن جرس التلفون، فقام بجرح ذقنه بالشفرة حتى يعرف أين وصلت الحلاقة". وفي الطرفة ما يشير إلى غفلة الرجل وسذاجته.

*"مرة في واحد أحول اشترى ببغاء حولاء، فأراد أن يضعها في القفص، فوضعها برة، وأرادت الببغاء أن تدخل في القفص، فخرجت منه".

*"واحد أحول سجل في الجيش ... فوضعوه في وحدة القصف العشوائي".

ولا تخفى العلاقة بين عدم القدرة على تحديد الجهة المطلوبة، وبين العشوائية.

*"في واحد حب ... قاموا طحنوه". والعلاقة بين الحب والطحن معروفة.

*"مرة في رجل دخل السلك الدبلوماسي، قام اتكهرب".

*"واحد أحول فرش فرشة ... قام نام جنبها".

*"مرة رجل كريم، تزوج امرأة كريمة، خلفوا ولداً فأعطوه للجيران".

*"في واحد ميكانيكي اشترى سرير، فقام نام تحته".

*"واحد رجع في كلامه ... قام اصطدم".

*"امرأة حكموا عليها بالمؤبد ... قال ليش؟ لأنها "موّتت" واحد من الضحك".

*"في دفتر قاعد بتمشّى ... ليش ... قال لأنه فاضي".

*"في عجوزة كانت دائماً تتنطنط على السرير، ولما سُئلت عن السبب، قالت: عشان يقولوا لي اقعدي يا بنت". والدلالة كراهية المرأة لكبر السن.

*"لاعب كرة قدم تزوج من زميلته اللاعبة، فلما أنجبا ولداً سمياه "هدف"، ولما ذهبا لاستخراج شهادة ميلاد له، حُسبت لهما "تسلل"."

*"واحد غبي شوية راح على المطعم، فسأله الجرسون: هل تريد عشاءً كاملاً؟ فأجاب الغبي: ليش "هو كامل" لايريد عشاءه" وقد اعتمدت الطرفةُ الجناسَ بين "كاملاً-كامل".

*"سأل أحد الصغار أمه الحامل: لماذا بطنك كبير يا ماما؟ فقالت له: هذه الكرة الأرضية... وفي المدرسة سأل المدرس: أين تقع الكرة الأرضية يا أولاد؟ فرد الصغير: في بطن أمي يا أستاذ". طرفة تعكس براءة الأطفال المعهودة.

*"واحد قتل والده، ولما سُئل عن السبب قال: علشان أروح في رحلة مع مدرسة الأيتام". طرفة يستدل منها على أنه إنسان معتوه.

*"مرة رن جرس الباب، فذهب الولد الصغير لمعرفة القادم، فلما فتح الباب، قال له الضيف: هل تعرف اسمي ياشاطر؟ فرجع الولد إلى أبيه وهو يقول: في رجل على الباب مش عارف إيش اسمه". حيث يُلمح من خلالها براءة الطفولة.

*"الأول لصاحبه: عندي دجاجة تبيض بيضاً بدون قشرة... هل تعرف لماذا؟ رد الثاني: لأنها تستخدم شامبو ضد القشرة"

*"واحد راح على البحرين وأخذ معاه ما يوهين" والدلالة الوحيدة هي الغباء.

*"رجل عمل باباً زجاجياً، ووضع له عيناً سحرية". حيث يستدل منها على غفلته.

*"اثنان من المجانين، ركبا "موتوسيكل" وصارا يتشاجران حول مَنْ سيجلس بجوار الشباك".

*"رجل أراد أن يعمل من نفسه إرهابياً، فخطف ابناً له، ولما شعر أن الشرطة تطارده، قام بقتل الولد". في إشارة واضحة إلى أنه كان مخبولاً.

*"ذهب الطبيب ليكشف على المجانين، من أجل معرفة من أصبح منهم عاقلاً، فقام برسم باب على الجدار، وقال لهم: مَنْ يتمكن منكم الخروج من هذا الباب، سأسمح له بالخروج من المستشفى... فحاولوا دون فائدة، ولاحظ الطبيب أن أحدهم كان هادئاً، فاقترب منه وقال: لماذا لم تحاول الخروج من الباب كبقية زملائك؟ فأجاب: لأن المفتاح في جيبي".

*"أراد أحد الأطباء المرور على مرضاه من المجانين، للاطمئنان عليهم، فوجدهم هائجين، فسأل أحدهم: ماذا يفعل زملاؤك؟ فقال: المجانين يعتقدون أنفسهم داخل طنجرة، وهم ذرة فشار تتطاير، وهنا لفت نظر الطبيب أحدهم يجلس في سريره دون حراك، فاستغرب، ولما سأله عن سبب هدوئه قال: أنا يادكتور "ملزق" في قاع الطنجرة".

*"تزوجت إحدى النساء من رجل مهزوزة شخصيته، فقامت بتركيب إيريل له".

*" ركب أحدهم تاكسي أجرة، فقام بوضع زوجته إلى جوار السائق... لماذا؟ علشان ما يراها السائق في المرآة". والطرفة تدل على أن الرجل في غير كامل قواه العقلية.

*" أحسَّ الرجل الأحول بالبرد وهو نائم، فقام وغطى أخاه".

*"مدرس كيمياء رزق بولد، فسماه سامي أكسيد الكربون".

*"المدرس: في أي فصل تسقط الأمطار؟

-الطالب: في الفصل الذي لا سقف له". اتكاء واضح على الجناس.

*"رجل بخيل للغاية، مات أبوه، فبكاه بعين واحدة".

*"دخلت إحدى العجائز مدرسة لمحو الأمية، فسألتها المعلمة: هاتي جملة فيها إدغـام بغنـة، فردت العجوز بعصبية: "عمن يعميك".

*"أصاب "تالول" خد امرأة عجوز، ففرحت به فرحاً كبيراً، ظناً منها أنه حب شـباب". وفـي الطرفة ما يشير إلى محبة النساء للسن الصغير.

*"اُتهِم أحدهم بالذكاء، ولكن سرعان ما ظهرت براءته".

*"ذهب الرجل الأحول لاستقبال والده العائد من المطار، فقبّل الشنطة، وحمل أباه".

*"واحد نام متأخراً .. ففاته الحلم".

*"بلعت فتاة نحيفة جداً حبة زيتون، فظن أهلها بأنها حامل، وبلعت فتاة أخرى حبتين فظنوهـا حامل بتوأمين". وفي الطرفة ما يشير إلى نحافتهما.

*"أراد مسئول رياضي –وكان معروفاً بالكسل- تنظيم دوري في كرة القدم للحارات الـشعبية، فجعل أول أسبوع راحة لجميع الفرق".

*"خروفان يمشيان مع بعضهما البعض، فقال الأول فجأة: ماء... ماء... فتعجب الثاني وقـال: والله كنت ح أقولها قبلك".

*"كان في خروف يجري وراء أسد... قال لماذا... لأنه بطّل يفرّق!!!".

*"صدمت سيارة شخصين، فمات أحدهم، بينما أصيب الثاني إصابة خفيفة، إلا أنه أخذ يـسب السائق ويشتمه، فرد السائق عليه بعصبية، لماذا هذا السب، وأنت لم تصب إلا إصابة بسيطة، صاحبك مات ولم يقل لي كلمة واحدة!!!". والدلالة أن السائق كان وقحاً.

*"تلميذ شديد السمرة، سَجّل في مدرسة ليلية، فكانوا يسجلونه غائباً!!!".

*"خروف لاحق أسد .. طيب ليش ... بايعها".

*"دجاجة انتحرت، وخلفت وراءها رسالة تقول فيها: خلي "ماجي" تنفعكم". وفي الطرفـة مـا يشير إلى الغيرة.

*"رجل ساذج عمل عملية جراحية، ولما نجحت أراد أن يكررها".

*"رغب أحدهم في حضور حفلة تنكرية، فقام بغسل وجهه". مما يدل على أنه لم يكن يعتنـي بنظافته.

*"كان أحد البلهاء يأكل زيتوناً، ويرمي النوى على باب الشقة المقابلة لبيته، وكان يسمع صوتاً في كل مرة، ومع ذلك كان يقول – وبكل ثقة- مين على الباب ... مين على الباب".

*"الزوجة لزوجها: إن جارنا يقبل زوجته يومياً قبل الذهاب إلى العمل، فلماذا لا تفعل ذلك أنت؟

-الزوج: وهل تعتقدين أنها سترضى بذلك؟". مما يعكس مكر الرجل ولؤمه.

*"عاد الطفل المشاغب إلى أمه، بعد أول يوم في المدرسة، وقال لها: لقد سألتني المعلمة: إذا كان لدي أخوة آخرون سيلتحقون بالمدرسة فيما بعد.

-الأم: حسناً، وهل أخبرتها بأنك طفلنا الوحيد؟

-الطفل: نعم.

-الأم: وبماذا علَقت؟

-الطفل: "الحمد لله". والمغزى ضيق المعلمات بالأطفال الأشقياء والمشاغبين.

*"كان الطفل يقف أمام باب منزله، حينما جاءت الجارة وسألته: هل أمك في الدار؟ –الطفل: لا. –الجارة: ومتى ستعود؟

-الطفل: لحظة من فضلك حتى أسألها". مما يوحي بغباء الطفل.

*"الأب: ماذا تتوقع أن تكون نتيجتك في امتحان هذا الشهر؟

الابن: هذا يتوقف على مجهود من يجلس أمامي". وفي الطرفة ما يشير إلى اعتماد الطلاب على الغش.

*"الولد: لقد قبضت الشرطة على أخي أمس في حديقة الحيوان.

زميله: ولماذا؟

الولد: لقد كان يطعم العصافير.

زميله: وماذا في ذلك؟

الولد: لقد كان يطعمهم للأسود". وفي الطرفة أمران: الأول اعتمادها على التلاعب بالألفاظ في "يطعمهم"، والثاني أنها تنم عن ميل للشقاوة وحب للشغب لدى الأطفال.

*"الجندي لزميله: انتبه، القنبلة ستنفجر.

-الزميل: لا تخف ... معي غيرها". والدلالة السذاجة والغفلة.

*"الأول: لماذا تأكل الموز دون أن تقشره؟

-الثاني: ولماذا أقشره وأنا أعرف ما بداخله؟". إجابة تنم عن سذاجة صاحبها، ولربما نمت عن خفة ظله أيضاً.

*"قال الزوج لزوجته: هل أنت مجنونة حتى تمشطي شعر الكلب بمشطي الخاص؟

-الزوجة: لكني غسلته قبل استخدامه". مما يدل على سذاجتها.

*"كان مدير الفندق يلقن أحد الشياليين الجدد كيفية استقبال الزبون، قائلاً له: يجب أن ترحب بالزبون، وتناديه باسمه. فقال الشيال: وكيف أناديهم بأسمائهم وأنا لا أعرف الجدد منهم؟ فرد

مدير الفندق: الأمر بسيط، فغالباً ما يكون الاسم مدوناً على الشنطة. وما هو إلا قليل حتى دخل الفندق زوجان بحقائبهما، فرحب بهما الشيال قائلاً: أهلا وسهلاً بالسيد جلد طبيعي فاخر". والدلالة التي تحملها الطرفة هي سذاجة الشيال وغفلته.

*"دخل رجل مطعماً، وعلق معطفه، ووضع عليه ورقة كتب فيها "هذا المعطف خاص ببطل الملاكمة وسيعود بعد عشر دقائق" ولما عاد لم يجد المعطف، ووجد مكانه ورقة كُتب عليها: أخذ المعطف بطل الجري ولن يعود أبداً" ".

وفي موسوعة طرائف ونوادر كان الباحث ألفى شيئاً من الطرائف التي تجنح للترويح والإمتاع، كبائع الفلافل الفلسطيني الظريف هذا (قال أحدهم لبائع الفلافل: أعطني شاندويشين، أحدهما بدون فلفل، قال البائع: على عيني ... لكن أي الساندويشين لا تريدني أن أضع فيه الفلفل؟)[1].

*(سقط أحدهم في الماء، ولمّا لم يكن يجيد السباحة، فقد أخذ يستغيث وفجأة قفز أحدهم بنفسه إلى الماء وأنقذه ... وبعد أن أخرجه من الماء، أجرى له عملية التنفس الصناعي، ولما اطمأن على سلامته، حمله على كتفه، ورماه في النهر، فاستغرب الناس وسألوه: لم فعلت هذا؟ ... فقال: ألم يقل المثل اعمل خيراً وارمه في البحر؟)[2]. ومن دلالتها غفلة الرجل وسذاجته، وفي الطرفة ما يشير إلى المثل الشعبي الفلسطيني المعروف "اعمل خير وارميه في البحر".

وليس بعيداً عن النوعية السابقة ما ذهبت إليه الطرفتان التاليتان، تقول الأولى:

*(استقل أحد الطيارين طيارته، وكانت هليوكبتر، وفي السماء أحس بالبرد، فأوقف المروحة)[3]. طيار مغفل.

*وأما الثانية، فنجماها طبيب ومريضه، تقول (الطبيب للمريض: هذه قطرة للعين، استعملها ثلاث مرات في اليوم.

المريض: قبل الأكل أم بعده؟)[4].

*(الولد لأمه: زملائي في المدرسة يسخرون مني، ويقولون إن رأسي كبير.

-الأم: لا تهتم بهم ... أريد أن تذهب وتشتري لنا خمسة كيلو بطاطا.

-الولد: هاتي الكيس. –الأم: لا داعي للكيس، استخدم طاقيتك)[1]. إشارة واضحة لكبر رأس الابن.

---

(1) السابق، ص ١٨١.

(2) السابق، ص١٨١.

(3) اضحك، ص ٥٤.

(4) السابق، ص ٣٣.

*(الأول لصديقه: ذاكرتي قوية جداً، فما أضعه في رأسي لا يمكن أن أنساه أبداً !!
-الصديق: إذاً كيف تنسي رد المبلغ الذي استلفته مني؟
-أجاب الأول: لأني لم أضعه في رأسي، بل وضعته في جيبي !!!)[٢].
*(الأول: هل تعرف لماذا خرج الصرصور مسروراً من الدكان؟
-الثاني: لا ...
-الأول: لأنه رأى صورته على علبة البف باف !!!)[٣]
*(قالت البعوضة الأم لابنتها الصغيرة: ابتعدي يا ابنتي عن الناس فهم يكرهوننا.
فأجابتها ابنتها الصغيرة: أظن أنهم يحبونني يا أمي، لأنهم كلما رأوني صفقوا لي !!!)[٤].
ومن طرائف التسلية والترويح التي يكثر تداولها في المجتمع الفلسطيني، متناولة شريحة الأطفال وبراءتهم، هذه الطرفة "نظر الطفل الصغير إلى والدته مستغرباً وقال: عجباً من جيراننا... ما أبخلهم! لقد غضبوا كثيراً حينما علموا أن "محمداً" ابنهم الصغير ابتلع شيقل واحد." براءة أطفال.
*"كانت إحدى السيدات تتحدث مع زميلتها حول كيفية تربيتها لأبنائها، فقالت لها: منذ أسبوع بلع ابني الصغير شيقل فغضبت، وذهبت به إلى الطبيب، وبعد يومين بلع أخوه ٥ شيقل فخصمتها من مصروفه!!!". ومن دلالات هذه الطرفة الغفلة والسذاجة.
*الضابط: لا أدري كيف استطاع اللص الهرب، علماً بأنني طلبت إليكم أن تحرسوا المداخل!
الشرطي: ولكنك طلبت منا حراسة المداخل لا المخارج!!!". شرطي مغفل، وقد اتكأت الطرفة على الطباق بين "مداخل ومخارج"
*قالت إحدى القطط لأختها: ميو... ميو
فردت الثانية: مياو.... مياو
فقالت الأولى: لا تغيري الموضوع
*"سأل صاحب المحل الموظف: مَن ذاك الرجل النائم منذ ساعات على سريرنا المعروض للبيع؟ فأجابه: أحد الزبون يريد شراء السرير وهو الآن يجرب البضاعة" زبون ثقيل دم.
*"سائق سيارة الأجرة: إن أجرتي ٧ شيكل.
الراكب: ليس معي إلا ٦ شيكل.

---

(١) موسوعة طرائف ونوادر، ص١١.
(٢) السابق، ص١٤.
(٣) السابق، ص ١٥.
(٤) السابق، ص ١٥.

السائق: وما العمل؟
الراكب: بإمكانك أن ترجع بي مسافة شيقل إلى الوراء". والطرفة تدل على غباء الراكب.
*قال البائع للسيدة: لقد طلبتِ جميع أنواع وأشكال الصنادل، فهل ترغبين في الشراء حقاً؟
السيدة: وماذا تظنني جئت أفعل هنا؟
صاحب المحل: متأسف.. ظننتك جئت لعمل جرد بالموجودات"
ومن دلالتها ثقل دم بعض الزبون، كذا قسوة ردود أصحاب المحلات أحياناً.
*الأول: هل يمكنك أن تمسك أرنباً؟
الثاني: نعم.
الأول: وكيف؟
الثاني: أنام على الحشيش وأقلد صوت الجزر".
في إشارة إلى طعام الأرانب المفضل.
*"سمكة في صندوق زجاجي، قالت لأختها يوماً، الآن جاء دوري للجلوس بجوار النافذة"
*"رأت نملة كوباً من عصير الفواكه، فقالت: وأخيراً شاهدت البحر الأحمر".
*"أرادت نملة أن يؤخذ لها صورة، غير أن فمها كان واسعاً جداً، فنصحها المصور أن تقول"فول" ليصغر فمها قليلاً، إلا أنها نسيت الكلمة المطلوبة، وعندما لمع فلاش الكاميرا، قالت "بطاطا" الأمر الذي يعني اتساع فمها بشكل أكبر.
*"السلحفاة الأولى: لقد فُزتُ في سباق الخيل!".
السلحفاة الثانية: وكيف كان ذلك؟
السلحفاة الأولى: صعدت على ظهر الحصان".
*"جلس رجل أُمّي ممسكاً بورقة وقلم أمام الطاولة، وتظاهر بالكتابة، فسأله أحد الأصدقاء: ماذا تفعل؟ فأجاب أكتب رسالة لعمي.
-ولكنك لا تجيد الكتابة.
-وعمي لا يعرف القراءة". طرفة يقرأ المرء فيها الغفلة في أجلى معانيها.
*"شاهد أحد الرجال رفيقه مجروحاً وجهه من الحلاقة، فسأله: مَن الحمار الذي حلق لك؟ فأجاب: أنا". تعريض خفيّ بالحلاقين.
*"استدعى المدير سكرتيرته، وصرخ في وجهها قائلاً: أين وضعت قلمي؟ فأجابت السكرتيرة: إنني لم أضعه في أي مكان... إنه فوق أذنك؟
المدير: أي أذن فيهما؟" حيث يستدل منها على سذاجة المدير.

*" بعد أن فرغ الطبيب من الكشف على قلب المريضة... قال لها مطمئناً: إن قلبك سليم تماماً، وكم أتمنى أن أحصل على قلب بهذه المواصفات، فأجابت المريضة بلهفة: لك ما شئت يا دكتور، فأنا لم أتزوج بعد". وفي الطرفة إيحاء واضح برغبة النساء في الزواج.

*"الأم للمنقذ البحري الذي أخرج ابنها من البحر وأنقذه:

-هل أنتَ الذي أنقذ ابني من الغرق؟

-المنقذ: نعم.

-قالت بعصبية: وأين طاقيته؟"

مما يدل على بخلها الشديد.

*"زار شخص صديقه في البيت، إلاّ أن زيارته طالت، ولما اقترب العيد، قال المضيف لصحابه: ألا تعتقد أن أسرتك ستكون في حاجة إليك، على الأقل أيام العيد؟ قال الضيف كلامك صحيح، لذا سأرسل في طلبهم حالاً". ضيف يتصف بثقل الدم.

*"صمم شخص على الانتحار تحت عجلات القطار، فذهب وألقى بنفسه على شريط السكة الحديد، فرآه أحد المارة، ولما عرف ما به، رجاه أن يعدل عن قراره، لكنه رفض، ولاحظ الرجل أن المنتحر يحمل خبزاً كثيراً، ولما سأله عن السبب قال: حركة القطارات هنا بطيئة، وأخاف أن أموت جوعاً قبل أن يصل القطار". وللوهلة الأولى يستشف المرء غفلة المنتحر.

*"في أحد المسارح، كان أحد المتفرجين يصفق بطريقة ملفتة للنظر عقب كل مشهد، مما دفع جاره إلى السؤال: هل تعجبك المسرحية إلى هذا الحد؟ فرد: لا ... لا ولكنني أصفق من أجل أن أدفيء يديّ في هذا الجو البارد".

*"هي: ها هو ذا منزلي في الطابق الخامس، لا تغفل الضغط على الجرس بشدة وذلك عن طريق كوعك عندما تزورنا هذا المساء.

هو: ولماذا أضغط على الجرس بكوعي لا بشيء آخر؟

هي: لأني متأكدة من أنك لن تزورنا إلا و"أنت محمل"".

والطرفة تدل على أن المرأة شديدة الطمع.

*"التقى صديقان في الطريق، فقال أحدهما: يا سلام ما أجمل بدلتك! أعطني عنوان الترزي.

الثاني: لا مانع لديّ ولكن بشرط.

الأول: وما هو هذا الشرط؟

الثاني: ألاّ تدله على عنواني لو سألك عني". والدلالة أن صاحب البدلة رجل يحب الدَيْن، ويكره السداد.

*"سمح أحد الآباء لابنه بالذهاب بمفرده إلى دار السينما، وذلك بمناسبة بلوغه العاشرة من عمره، وعند عودته فتح له باب المنزل، وقال له: هل أنت سعيد لذهابك وحدك إلى السينما؟

الابن: ولكني يا أبي لم أكن لوحدي، لقد كانت السينما مليئة بالمتفرجين".

*"سقط أحدهم في الماء، ولمّا كان لا يجيد السباحة، فقد أخذ يستغيث ويطلب النجدة، وفجأة رمى رجل نفسه في الماء وأنقذه، ولمّا خرجا أخذ الناس يصفقون للمنقذ، مبدين إعجابهم بشجاعته، غير أنه صرخ قائلاً: مَنْ الذي دفعني في الماء؟". مما يدل على أنه لم يكن شجاعاً حقاً.

*"القاضي: احلف على ألاّ تقول إلا الحق، فحلف، وهنا سأله القاضي: ما اسمك؟

-محمود.

-عمرك: ٣٧ سنة.

-هل أنت متزوج يا محمود؟

-نعم يا سيدي القاضي، متزوج من امرأة.

-القاضي بغضب شديد: وهل هناك مَنّ يتزوج رجلاً؟

-المتهم: نعم يا سيدي، أختي فاطمة متزوجة من رجل". سذاجة لا تضاهيها سذاجة.

*"اصطدم رجل أحول وسط الزحام بامرأة، فغضبت وقالت له: هل أنت أعمى؟

ولما التفت إليها وجدها حولاء، فأجابها، بل أنا أحول".

*"دخل أحد الزبائن مطعماً، وطلب دجاجة مشوية، ولما وُضِعَتْ أمامه سأل النادل: لماذا دجاجتكم برجل واحدة؟

النادل: لأنها كانت معوقة". الطرفة تحمل نقداً لأصحاب المطاعم.

*"اشترى أحدهم علبة دخان، ولما فتحها رمى منها أربع سجائر، فاستغرب صديقه، وسأله: لماذا ترمي السجائر على الأرض؟

-كي أضع في مكانها الولاعة". والدلالة الوحيدة سذاجة صاحب علبة الدخان.

*"أراد أحدهم أن يضحك من امرأة كانت تركب حماراً فقال كيف حالك يا أم الحمار؟ فأجابته: بخير يا بني". مما يُنبئ بقسوة المرأة وطول لسانها.

*"رجل سمين جداً واقف على مفرق طرق، يريد العودة إلى داره، فأشار إلى أحد سائقي سيارات الأجرة. فقال له السائق: متأسف، لأنني في هذه الحالة سأكون مضطراً إلى نقلك على دُفعات".

*"كانت الموظفة الشابة، ترتدي فستاناً شفافاً، فاستدعاها المدير، وقال لها: ماذا تقول أمك لو رأتك تلبسين هذا الفستان الفاضح؟

فأجابت الموظفة: - ستطلب مني أن أخلعه لأنه فستانها". والدلالة أن حالتها المادية ضعيفة.

*"أرادت البنت أن تهيئ الشاي للضيوف، فتأخرت، فجاءت أمها إلى المطبخ تستعجلها، ولما سألتها عن سبب التأخر، قالت البنت: لم أجد مصفاة الشاي.

الأم: ولكن الشاي نظيف.
البنت: لقد صفيته بمضرب الذباب". طرفة يقرأ المرء فيها بلاهة البنت.
*"الطبيب: متى تحس بالألم الشديد؟
-المريض: حينما أدفع لك أجرتك يا دكتور". مما يدل على شدة بخله.
*"الأول: لقد اكتشفت فكرة رائعة، درت عليّ أرباحاً كثيرة.
-الثاني: وكم ربحت منها؟
-الأول: عشر سنوات في السجن". مما يدل عليّ أنه كان لصاً.

## علاقة الطرفة بقضايا المجتمع:

للطرائف- بشتى أنواعها ومختلف اتجاهاتها- علاقة وثيقة بالآم الشعوب، وآهات الناس، ذلك أنها تلامس مشاكلهم وهمومهم، وتصطدم بأحلامهم وطموحاتهم وتطلعاتهم، سواء أكانت هذه الهموم سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو فكرية وغيرها، ويعول الناس كثيراً- في المجتمعات الديمقراطية خاصة- على الطرائف الجادة المسؤولة، والملح الرصينة الهادفة، التي تحسن مناقشة المشاكل، وتفنيد المتاعب، وتجيد وضع الحلول الناجعة لمعاناة الأفراد، فالطرائف تسلط الأضواء على تناقضات المجتمع، وترصد سلبياته رغبة في الإصلاح، ودرء المفاسد واللاأخلاقيات، حيث تنقلب الطرائف- في هذه الحالة- إلى أدوات فعالة، ومعاول نشطة للبناء والتعمير. ولطالما لجأت الطرائف إلى تعرية الحكام المستبدين، والأنظمة المتجبرة الظالمة، ففضحت ممارساتها، وهاجمت تسلطها واستغلالها، وكشفت عوراتها، وأماطت اللثام عن فسادها وبطشها، كما حاربت المجتمعات- عن طريق الطرفة الرصينة الساخنة- القهر والحرمان والجور، فحينما يعتري الأمة خطب، تكون في مسيس الحاجة إلى أمثال هذه الطرائف، بما تحمله من سخرية، وتقريع، وقذع، ولمز، وتهكم، حيث توجه هذه الطرائف وجهتها الصحيحة، فتثمر وتؤتي أكلها.

وقد حمل الكتّاب والأدباء، وكل من أولى مقدرة على اللذع راية الدفاع عن مصير الأمة، وهموم الناس.

هذا وقد لامست الطرائف قضايا المجتمعات، ومشاكل الأمم، السياسية منها، والاجتماعية والاقتصادية، والأخلاقية، والفكرية وغيرها، وهذا ما سوف يتناوله الباحث في الفصل الثاني من هذا البحث.

# الفصل الثاني: البنية الموضوعية

أولاً: المستوى السياسي.

ثانياً: المستوى الاجتماعي.

ثالثاً: المستوى الاقتصادي.

رابعاً: مستويات أخرى.

**الفكاهة:**

يعتقد الأوروبيون- خطأً- أن العرب قوم تنقصهم روح الفكاهة، وتعوزهم النوادر والملح والدعابات، وهم لا يعلمون أننا أمة ضاحكة منذ فجر التاريخ. وقد فشل الباحثون والمختصون -حتى اللحظة- في إيجاد تعريف موحد للفكاهة، وذلك لكثرة أنواع الفكاهة، وتعدد أصنافها، إذ تشمل الدعابة، والمزاح، والتورية، والكاريكاتير، واللذع، والقذع، واللمز، والتهكم، والنادرة، والهزل، والقفشة، والقافية، والنكتة، والسخرية وغيرها. وقد عرف الأدب الفلسطيني الضاحك بعض هذه الأنواع، وفاته البعض، وهذه نبذة سريعة وموجزة لبعض هذه الأنواع.

**الدعابة:**

وهي من أرق وألطف ألوان الفكاهة على الإطلاق، ويكثر تعاطيها لدى الناس المعروفين بالوقار والرزانة، حيث يدور فيما بينهم ما يدعو إلى الابتسامة، لا إلى الضحك بصوت مرتفع.

**النكتة:**

وهي (خبر قصير في شكل حكاية، أو هي عبارة أو لفظة تثير الضحك)[١]. ويستطيع كل من يتذوق النكتة تحديد نوعها، وتبين زمانها ومكانها، والتفريق بين أنواعها المختلفة.

**المزاح:**

وأفضل تعريف له هو (المداعبة والمباسطة بلطف، وهدفه إشاعة البسمة والسرور بين الحاضرين للخبر المعايشين له والسامعين)[٢]. ولا ضير من المزاح المهذب، الخالي من اللعن والسب والشتم، والبعيد عن الغيبة والنميمة، والذي يحجم عن تناول أعراض الناس وأسرارهم، وقد روى "البخاري": (كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال)[٣]. وغالباً ما يتسم المزّاح بخفة الدم، وطيبة القلب، ولطف المعشر، وسلامة الصدور، ويبتعدون كثيراً عن التكلف والصنعة. والمزاح على نوعين، محمود ومذموم، وقد عرض الباحث للنوع الأول، وأما النوع الثاني، وهو المذموم المكروه فهو (الذي يثير العداوة، ويذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء، ويحقد الشريف به)[٤]. ولا

---

(١) أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص٢٠٤.

(٢) غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، ص٢١.

(٣) السابق، ص٣٤.

(٤) محمد بن حبان البستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٧- ١٩٧٧، ص٧٧.

شك أن من شأن المزاح التخفيف من أثقال الحياة، وإزالة جزء من المتاعب النفسية، واستعادة الضحكة التي سرقت من الناس هذه الأيام.

## الكاريكاتير:

وهو صنف من صنوف الفكاهة، لا يتكئ على الكلمات، ولا يعتمد على الحروف، وإنما كل اعتماده يكون منصباً على الظلال، والألوان، والخطوط، وهو فن عرفته "أوروبا"، ومنها انتقل إلى بلاد العرب. (ولقد أُخذت كلمة كاريكاتور من الفعل الإيطالي Carticare "يتحمل"، أي تحميل الدابة أو العربة مثلاً بعبء، ثم أصبحت تعني اصطلاحاً عمل صورة لشخص، أو لشيء بالقلم، أو الفرشاة، تدعو إلى السخرية. والكاريكاتور نكتة مرسومة هدفها الضحك، وقد امتد من الرسم إلى بقية مجالات التعبير، فانتقل من المجال السياسي، ليغزو مجال الأدب، وامتد إلى النحت والموسيقى)[١]. ومن الخطأ حصر الكاريكاتير في الأعمال المرسومة فقط (فهناك كتّاب من أمثال "تشارلز دكنز"، قاموا في أعمالهم الأدبية بتصوير بعض الشخصيات بطرائق كاريكاتيرية أيضاً)[٢]. وقد كان الفلسطيني "ناجي العلي" من مشاهير رسامي الكاريكاتير في الوطن العربي.

## النادرة:

وهي لون آخر من ألوان الفكاهة، وتنتشر هذه الكلمة في الأدب العربي القديم، الذي عني بالجانب الفكاهي انتشاراً واسعاً، وتُعرّف النادرة بأنها (الأقصوصة التي لا تطول إلى درجة الحكاية ولا تقصر إلى النكتة)[٣]. وكل ما عُرف عن "جحا" من طرائف ودعابات يدخل ضمن باب النوادر.

## القافية:

وهي صنف من صنوف الفكاهة، مقصور وجودها على الفكاهة المصرية، وفي ظني أن "القافية" تشبه إلى حد كبير المزاح المكروه الذي لا تحمد عقباه، وعلى كل حال فالقافية (نوع من مزاح العوام، حيث يقول أحدهم كلمة، فيرد عليه الآخر بكلمة أخرى تثير الضحك، ففي قافية "النحو" يقول أحدهم.... كيسك!.... اشمعنى .....ممنوع من الصرف .... شنبك مضاف.... اشمعنى وشنب التيس مضاف إليه.... أنت في الجهل ...... اشمعنى ..... مركّب..... )[٤].

---

[١] د. عزيزة السيد: العدوانية واستجابة الضحك، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠، ص٥٦.

[٢] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٥٩.

[٣] أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص٢١٤.

[٤] النكتة السياسية، ص١٦٠.

وقد وصف "القافية" الأديب الشيخ "عبد العزيز البشري" قائلاً (وهذا النوع يدعوه العامة "القافية"، ونظيره: ففي قافية "الغناء" مثلاً يقول الرجل لمناظره! إخوانك يشوفوك على المشنقة يزعقوا ويقولوا: اشمعنى؟ كده العدل! وفي قافية "الجرائد" يقول له: أنت مسمّيينك في البيت ... اشمعنى؟ البرص!؟)[1].

وقد يستغرب المرء لدى سماعه أن قطباً من أقطاب الأدب العربي الحديث وهو "نجيب محفوظ"، كان له علاقة "بالقافية"، وأنه (كان يهزم من يدخل له قافية، وكان يشترك في مباريات تستمر أحياناً أربع ساعات)[2].

**المعارضات:**

هي الأخرى لون من ألوان الفكاهة، والمعارضة اصطلاحاً تعني (أن ينظم الشاعر قصيدة على نمط قصيدة لشاعر آخر، يتفق معه في بحرها ورويّها، وموضوعاتها، سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين، ويجري ذلك بدافع المناقشة، أو المباراة، أو الرغبة في إظهار البراعة والتفوق، أو نحو ذلك)[3]. وتأتي المعارضة إما على سبيل الدعابة، أو تُحوّل لأغراض سياسية ساخرة، فهذا "عبد الرحيم محمود" يعارض- على سبيل المزاح والدعابة- بائية "المتنبي"، حينما يصف مجموعة من الحسناوات اللواتي يحاربن بجدائلهن وأردافهن وحواجبهن، وإذا كان "أبو الطيب المتنبي" قد قال[4]:

بأبي الشموسِ الجانحات غواربا ... اللابسات من الحريرِ جلاببا
المنبهاتِ عقولَنا وقلوبنا ... وجنابهنّ الناهيات الناهيا
الناعمات القاتلاتِ المحييا ... تِ المبدياتِ من الدلائلِ غرائبا

فإن "عبد الرحيم محمود" ذهب معارضاً[5]:

حيِّ الظباءَ الباديات كواكبا ... المورثاتِ العاشقينَ مصائبا
المحرقاتِ بنارهنَ قلوبنَا ... والآخذاتِ من اللحاظِ قواضبا
والسارقاتِ من الرياضِ لداتها ... ورضابَها وشذا الورودِ الساكبا
أقْبلْن أسراباً كأسرابِ المها ... متقسّماتٍ للقتالِ كتائبا

---

[1] عبد العزيز البشري: المختار، ط٤، دار المعارف، ج٢، القاهرة ١٩٧٠، ص١٢٤.

[2] النكتة السياسية، ص١٦٠.

[3] حيدر قفة: المعارضات وأثرها في الأدب العربي، ط١، عمّان ١٤١٦- ١٩٩٥، ص٩.

[4] محمود غنايم: بين الالتزام والرفض، منشورات أبو عرفة، القدس ١٩٨٠، ص٥٨.

[5] عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق د. عز الدين المناصرة، الطبعة الأولى، دار الكرمل، عمّان ١٩٩٣، ص١٥٤- ١٥٥.

أعددن للحربِ العوانِ ضفائرَ الشَّــ ـــعرِ الجثيل لقيدنا وذوائبا
وتخذْنَ في حربِ الرجالِ سلاحَـ ـــهن خدالجاً وروادفاً وذوائبا

وأغلب قصائد المعارضة الفلسطينية، جاءت لأغراض سياسية، فالشاعر"سليم الزعنون"- المفتون بأمير الشعراء- كان عارض "أحمد شوقي" في قصيدته الشهيرة "إلى عرفات" التي يقول مطلعها(1):

إلى عرفاتِ اللهِ يا خيرَ زائرٍ عليكَ سلامُ اللهِ في عرفاتِ

فطفق يقول معارضاً(2):

ومن عرفاتِ اللهِ يا خيرَ شاعرٍ أبثّك ما جَدّتْ من الويلاتِ
فلسطينُ ضاعت والنبيُّ محمدٌ يرى فوقَ مسراه فسادَ بغاةِ
يرى خيبراً قد عاد بعد هزيمةٍ يجدّدُ عهدَ الظلمِ والظلماتِ
ومسجدُه الأقصى جريحٌ تدافعتْ إليه حشود البغي منتصراتِ
ينادي حمى الإسلام والكلُّ غافلٌ وصوتُ المنادي ضاعَ في الفلواتِ
ويستصرخُ العربَ الميامينَ نجدةً فلم يرَ إلا الوعدَ بالكلمات
ولولا شبابٌ حولَه بصدورهم يذودون عن دينٍ وعن صلواتِ
لدنّسه شركُ الجناةِ وحقدهم وهدَّم ركناً طاهرَ الجنباتِ

كما عارض الشاعر الفلسطيني "توفيق الحاج" الملقب "بعروة الفلسطيني" قصيدة "يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده "لأبي الحسن الحصري القيراوني"، رثا فيها حال الأمة العربية، وشكا كسل العرب، وتراخيهم، وتهاونهم في نصرة القضايا العربية الملحة، وانتقد الحكام العرب الذين سخروا أنفسهم لخدمة الأعداء، يقول(3):

يا ليلُ الصبُ متى غدهُ أقيامُ الساعةِ مَوْعِدُهُ
الكهفُ استهجن غفوتَنا والكلبُ استكره مرقَدهُ
نمْنا في العسلِ ولا ندري لو نزرعُ شيئاً نحصدهُ
نرتشف صباحاً قهوتَنا ويداعبُ كلٌّ مقعدَهُ
نبحثُ في الصحفِ على مهلٍ والكسلُ الحلو نعاودهُ

(1) الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ٩٨/١.

(2) ديوان وهكذا نطق الحجر، سليم الزعنون، دار الكرمل، ط١، عمّان ٢٠٠١، ص٥٨- ٥٩ وينظر كذلك ديوانه يا أمة القدس، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥، ص٣٧- ٣٨ وكذلك كتاب "في نقد الأدب الفلسطيني"، د. نبيل خالد أبو علي، ط١، دار المقداد، غزة ٢٠٠١، ص١٧٩.

(3) توفيق الحاج: حجر وموت وقرنفلة، اتحاد الكتّاب الفلسطينيين، ط١، القدس ١٩٩٢، ص١٥٥.

كـــم عـــشنا نبـــصمُ لملـــوكٍ أفـــضلُهم يخـــدمُ ســـيّدَهُ
كـــلُّ الحكـــامِ كأغلفـــةٍ لِكتـــابٍ نمقـــتُ مـــوردَهُ
مـــصرٌ تتوعـــدُ جارتَهـــا والـــشامُ يخاصـــمُ عـــوّدَهُ
والمغـــربُ تأخـــذ حِـــصتَّها مـــن بيـــع الـــوطنِ وتحـــسِدُهُ

وإذا كان "المتنبي" قد هجا "كافوراً"، وسخر منه تلك السخرية اللاذعة، حينما قال[1]:

أكلّمـا اغتـالَ عبـدُ الـسوءِ سـيدَه أو خانــه فلــه فــي مــصرَ تمهيــدُ؟
صار الخـصيُّ إمـامُ الآبقـين بهـا فـــالحُر مـــستعبدٌ والعبـــدُ معبـــودُ
نامت نواطيرُ مـصرَ عـن ثعالبهـا فقــد بــشمْن ومــا تفنــى العناقيــدُ
لا تَـشترِ العبـدَ إلا والعـصا معــه إن العبيـــدَ لأنجـــاسٌ مناكيـــدُ
مَن علّم الأسـودَ المخـصيَّ مكرمــةً أقومــه البــيضُ؟ أم آبــاؤه الــصيدُ؟
أم أذنُــه فــي يــد النخــاسِ داميــةً أم قــدْرُه، وهــو بالفلــسيْنِ مــردودُ

فعارضه "إبراهيم طوقان" قائلاً[2]:

ومـــضْحِكٌ مُـــشقّقُ الكعبـــينِ أســـودُ، لا بـــيٌّ بمـــشفريْنِ
عهْدتُـــــه يُـــــشدّ بـــــالأذنينِ وقـــــدْرُه يُـــــرَدّ بالفلـــــسيْنِ

يومَ تروجُ سلعةُ الخصيان

كـــان لمـــصرَ ســـبةً وعـــارا يـــوم أثـــارَ الـــشاعرَ الجبّـــارا
لـــم أدرِ هـــل كـــان الهجـــاءُ نـــارا أم عاصـــفاً هُـــيّج أم تيـــارا

أو شُقّ ذاك الصدرُ عن بركانِ

وهذه المعارضات تعيد إلى الأذهان ما كان فعله الشعراء العرب، حينما عارضوا القصائد العربية الكلاسيكية الشهيرة، مثل الشاعر السوري "كامل الحمصي" حينما أنشأ معارضاً قصيدة السموأل بن عادياء" التي يقول مطلعها[3]:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فقال- على سبيل الضحك والدعابة- معارضاً[4]:

إذا المرءُ لم يملأ من الكـشكِ بطنــه فكـــلُّ غـــذاءٍ يغتذيـــه قليـــلُ

---

[1] جورج عبده معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب العربـي، ط١، بيـروت ١٩٧٤، ص٧٠ وما بعدها.

[2] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ١٩٩٣، ص٢٣٧.

[3] سجل الفكاهة العربية، ص٢٥.

[4] السابق، ص٢٥.

وإن هو لم يأكل من الكشكِ كبةً فليس إلى نيلِ الهناء سبيلُ
تعيّرنا أنّا قليلٌ طعامُنا فقلتُ لَها إن اللذيذَ ثَقيلُ
تميلُ إلى أكلِ الكبابِ نفوسُنا وليسَ إلى غيرِ الكبابِ تميلُ

كما تذكرنا هذه المعارضات بالشاعر عامر "الأنبوطي"، الذي عرفه العصر العثماني في مصر، فقد كان من المولعين بالمعارضات، قال معارضاً قصيدة "لامية العجم" للطغرائي[١]:

أناجرُ الضأنِ ترياقٌ من العللِ وأَصحُن الرزِ فيها منتهى أملي
فيمَ الإقامةُ بالأريافِ، لا شبعي فيها ولا نزهتي فيها ولا جذلي

وبلغ من إتقانه هذا الصنيع، أن نظم أَلفية على غرار "ألفية بن مالك" في النحو، جاء فيها[٢]:

طعامُنا الضاني لذيذُ للنّهمْ لحماً وسمناً ثم خبزاً فالتقِمْ

## السخرية:

لون متميز من ألوان الفكاهة، وصنف متقدم من أصنافها، بل هو (أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر)[٣]. وقد تكون السخرية ثقيلة، مثلما نرى لدى الساسة الذين يستخدمونها للنكاية بمن لا يستلطفون، وقد تكون خفيفة لا تقريع فيها ولا تهكم، وتُعرّف السخرية بأنها (هجوم على شخص، أو جماعة بهدف سلبه كل أسلحته، وتعريته من كل ما يتخفى فيه، ويتحصن وراءه)[٤]. وكثيراً ما تستخدم السخرية كأداة مقاومة شعبية ثقافية ضد الاضطهاد والقهر السياسي والقمع، وأكثر الشعوب استعمالاً لها هي الشعوب المستعمَرة، التي تعاني أشكال البطش، والعنصرية من قِبل أعدائها، كما تستخدم السخرية في (التوعية السياسية والاجتماعية ضمن قاعدة شعبية فولكلورية مشهورة: إذا كبرت مصيبتك اضحك عليها)[٥].

يقول "نزار قباني" مشخصاً معاناة المواطن العربي، وساخراً من الأنظمة وأجهزتها الأمنية، التي تراقب المصلين وتطاردهم[٦]:

لم يبقَ فِيهمْ لا أبو بكر .... ولا عثمانْ

---

(١) يحيى حقي: دمعة فابتسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧، ص٢٥٩.
(٢) الفكاهة في مصر، ص١٠٩.
(٣) السابق، ص١٠.
(٤) د. محمد صلاح أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ط١، مطبعة المقداد، غزة ٢٠٠٠، ص١٢٧.
(٥) المتوكل طه: الساخر والجسد، منشورات الدار الوطنية للترجمة والنشر، ط٢، نابلس ١٩٩٤، ص٩٧.
(٦) نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ط١، ج٦، منشورات نزار قباني، بيروت ١٩٩٣، ص٢٧-٣٣.

جميعُهمْ هياكلٌ عظميةٌ في مُتحفِ الزمانْ
تساقطَ الفرسانُ عن سروجِهمْ
وأعلنت دويلةُ الخصيانْ
وأُعتقل المؤذنون في بيوتهم
وأُلغي الأذانْ ........
جميعُهم ... تضخمتْ أَثداؤُهم
وأصبحوا نسوان
جميعُهم يأتيهم الحيضُ، ومشغولون بالحمل وبالرضاعَهْ
جميعهُم قد ذبحوا خيولَهم
وارتهنوا سيوفَهم
وقدموا نساءهم هديةً لقائدِ الرومانْ
ما كان يُدعى ببلاد الشام يوماً
صار في الجغرافيا ....
يُدعى (يهودستان)
الله ... يا زمان ....
لم يبقَ في دفاتر التاريخ .....
لا سيفٌ ولا حصانْ
جميعُهم قد تركوا نِعالَهم
وهرّبوا أموالَهم
جميعُهم تخنّثوا
تكحّلوا ...
تعطّروا ...
تمايلوا أغصانَ خيزرانْ
حتى تظن خالداً .... سوزانْ
ومريماً ... مروانْ
الله ... يا زمانْ ...
هل تعرفون مَن أنا؟
مواطنٌ يسكنُ في دولة "قمعستان"
مواطنٌ ....

مواطن يخاف أَن يجلس في المقهى .... لكي
لا تطلعَ الدولةُ من غياهب الفنجانْ
مواطنٌ يخاف أن يقربَ زوجتَه
قبيل أن تراقبَ المباحثُ المكانْ
مواطنٌ أَنا من شعب قمعستانْ
أخافُ أن أدخل أي مسجدٍ
كي لا يقالَ إنّي رجلٌ يمارسُ الإيمانْ
كي لا يقولَ المخبرُ السّريُّ:
إني كنتُ أتلو سورةَ الرحمنْ
الله ... يا زمان ....

وما دام الباحث يتحدث عن رجال الأمن، وخوف المواطن العربي من خروجهم من فنجان القهوة الذي يشربه، فالأمر يقوده إلى الحديث عن أدب الحيوان، ومساهمته الفعالة في صنع الأدب الفكاهي.

## الترميز بالحيوان:

في عهود الديكتاتورية، وعصور القمع والتنكيل، وحينما يخشى الإنسان بطش الحاكم، وسطوة النظام، يلجأ إلى الحيوان، ويتوارى خلفه، ويجعله ينطق نيابة عنه، ذلك أن الحيوانات لو سخرت من الظلم والفساد، فإنها لا تُراقب، ولا توضع خلف القضبان.

وأشهر كتاب في الأدب العربي، اتخذ من الحيوانات وسيلة للنيل من الحكام الطواغيت -بطريقة ذكية غير مباشرة- هو كتاب "كليلة ودمنة" للفيلسوف الهندي بيدبا"، حيث قام "عبد الله بن المقفع" بترجمته إلى العربية، ومن أبوابه الشهيرة باب "الحمامة والثعلب ومالك الحزين"، حيث طلب الملك من الفيلسوف أن يقص عليه حكاية مَن يرى الرأي لغيره، ولا يراه لنفسه، فسرد عليه حكاية الحمامة التي كان الثعلب يخيفها، ويأخذ منها فراخها، فنصحها مالك الحزين بألا تستجيب لطلبه، وألا تذعن لتهديده، ولما عرف الثعلب ذلك، أخذ يفتش عن مالك الحزين، فوجده واقفاً على شاطئ النهر، فظل يلقي عليه أسئلة، ومالك الحزين يجيب، حتى أمسكه، وعندها قال له: (يا عدو نفسه، ترى الرأي للحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله)[1].

وفي الوقت الحاضر - حينما تشتد سطوة الحاكم وأجهزته- يلجأ الكتّاب إلى قصص الحيوانات للتعبير عما بداخلهم، ولكنهم يتهيبون الجهر به.

---

[1] كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت ١٩٩١، ص٣٣٤.

ومن طرائف هذا الشأن، التي ترهف لها الأسماع، وتشخص لها الأبصار، ما يروى (أَسد لقي حماراً فهمّ بافتراسه، قال الحمار "فوراً": دعني، وسأحضر لك حميراً أخرى، وافق الأسد. فقال الحمار: لا بد أن أربطك حتى لا تهرب، ربطه وهرب. جاء الفأر وسأل الأسد: ما أحوالك؟ قال: كما ترى، قال الفأر: هل أساعدك؟ استصغر الأسد شأنه، وكظم غيظه، اقترب الفأر من الحبل المشدود حول الأسد، وأخذ يقرضه قليلاً قليلاً حتى فكه، وأراد أن ينفذ بجلده هارباً. قال الأسد: لا تهرب فإنني لن أبقى في بلد يربط فيها الحمار، ويحل فيها الفأر)[١]. والمغزى أن الرجال لا يستطيعون العيش في بلاد يحكم فيها الأغبياء والضعفاء.

وأما الفيل والأرنب، فقد جاءت الطرفة التالية على لسانيهما، مصورة قسوة وسيطرة الأجهزة الأمنية، حيث لا تفرّق- أحياناً- بين الظالم والمظلوم، والمتهم والبريء، وأحداثها تقول (عند الحدود تقابل فيل وأرنب ....

فسأل الأرنب:

- على فين؟
- سأهرب من البلد.
- ليه.
- لأنهم يحبسون الفئران.
- لكنك فيل ... مش فار.
- أيوه .... لكن إزاي أثبت لهم كده!!!)[٢].

## الطرائف السياسية الفلسطينية:

أكثر ألوان الفكاهة السياسية أهمية، وأعلاها شأناً، وأكثرها خطورة هي الطرائف، خاصة إن كان الهدف منها انتقاد الحكام المتجبرين وتعريتهم. والطرائف- بشكل عام- تقسم إلى عدة أنواع، منها الطرفة العدوانية، والتهكمية، والساخرة، والبريئة وغيرها. والبريئة هي التي تعتمد في إشارتها للضحك على محتواها الظاهري، عن طريق التورية، والتلاعب بالألفاظ، ولا تحمل أي مضامين باطنية مخبأة، وعشّاق هذا النوع من الطرائف هم الأطفال وبسطاء القوم، ولهذا الضرب وجود في الأدب الفلسطيني الفكاهي، جاء على لسان ظريف فلسطيني قوله (في واحد طرش داره بطلت تسمع)[٣]. لكن الكبار الذين يتصفون بالوقار والرزانة، لا يضحكون إلا من الطرائف الهادفة، التي تسخر من الأوضاع المقلوبة بطريقة هجومية وعداونية، ويُعرف مطلقو

---

[١] النكتة العربية، ص٦٢.

[٢] النكتة السياسية، ص٩٥.

[٣] اضحك، ص٦٦.

الطرائف الساخنة- خاصة التي تعرض للأنظمة العفنة- بالفطنة والذكاء، فهم يعبرون عما يعتمل في الصدور، ويلبون الرغبات الممنوعة والمحرمة، ويشيرون إلى الأهداف الباطنية، بطريقة يلفها الغموض، لذا فمن العسير اتهامهم بالقذف أو التحريض، وبالتالي يظلون في منأىً عن المسألة القانونية.

هذا وقد عالجت الطرفة الفلسطينية الهموم السياسية، وكشفت حجم الغصة والألم اللذين يشعر بهما المواطن الفلسطيني، وهو يرى حالة التشرذم التي يمر بها وطنه العربي، وكيانه الفلسطيني. تصوّر هواجسَنَا السياسية طرائفنا حينما تفصح عما بداخلها فتقول متألمة متحسرة (شعر رجل ريفي بألم في بطنه، وعندما ذهب إلى الدكتور، كشف عليه، فوجده رسم خريطة على بطنه، فقال الدكتور: أين مكان الألم؟ فرد الرجل: من المحيط إلى الخليج!!!)[1]. طرفة تشير إلى تمتع الفلسطيني بالحس القومي الصادق، وتظهر مدى تفاعله الأكيد مع قضايا أمته العربية، وعدم انسلاخه عنها.

* (سُئل الحاكم العربي: ماذا فعلتهم بالضفة؟ فقال: وحياة هاللفة بعنا الضفة!!)[2]. تعرية واضحة ومباشرة للنظام العربي الرسمي، الذي لم يحاول استرداد الضفة، بل باعها لليهود.

* (جرى الحوار التالي بين الحاكم العربي، و"موشيه شاريت"- وقد كان وزير خارجية إسرائيل- شاريت يقدم نفسه: شاريت! فيبادر الحاكم العربي على الفور: بعت!!!)[3]. والدلالة أن الحاكم العربي اعتقد أن "شاريت" يريد شراء الأرض، فبادر على الفور – وكعادته- على البيع والمباركة. طرفة تعكس مواقف الأنظمة العربية من قضية فلسطين.

* وأحدث طرفة فلسطينية سياسية جاءت متهكمة على ما يسمّى "بخارطة الطريق"، التي تروج لها أمريكا حالياً، وتراها أساساً صالحاً لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ما تضمنته إحدى النشرات، جاء فيها (ماذا لو أصبحت رئيساً للوزراء، هل ستقبل بالطريق، أم بالخارطة، أم بالرصيف؟)[4]. سخرية مُرّة من الخارطة، حيث لم يعد بينها وبين الرصيف فارق.

* ومنها كذلك ما يروى في مجتمعنا الفلسطيني حول ما كانت تزعمه أمريكا من وجود أسلحة دمار شامل لدى العراق، فكانت ذريعة لاحتلال "بغداد"، والقضاء على الجيش العراقي وأسلحته، تقول الطرفة "سُئل الرئيس بوش: هل عثرتم على أسلحة دمار شامل في العراق؟

- بوش: لا، ولكنها موجودة في إيران وسوريا!!!. والدلالة أن الحرب القادمة ستشن على إيران وسوريا لاحتلالهما كما حدث للعراق.

---

(1) السابق، ص٣٦.

(2) النكتة العربية، ص٩٥.

(3) السابق، ص٩٥.

(4) نشرة فرح.

* طرفة أخرى تظهر - بجلاء - مدى كراهية المواطنين العرب لحكامهم، يروى "حاكم عربي معروف بالبطش والتنكيل، كان دائم السفر على متن طائرته الخاصة، وذات مرة - والطائرة محلقة في الجو - نظر من الشباك، وقال لأحد مساعديه: ماذا يحدث لو ألقيت مئة دولار من الشباك؟ فرد مساعده: سيجدها أحد المواطنين وسيفرح بها. فقال الحاكم: طيب، ولو ألقيت ألف دولار؟ فقال مساعده: سيجدها مواطنون آخرون وسيفرحون بها. وكان الطيار - الذي كان على علاقة سيئة بالحاكم - يسمع ما يدور، فنظر إلى الحاكم قائلاً: ارم نفسك من الطيارة، وسيفرح كل المواطنين!!!". والمغزى أن الشعب كله يكره الحاكم، وينتظر هلاكه وزواله.

* وغير بعيد عنها، ما تشير إليه الطرفة التالية "توجه - ذات مرة - نائب أحد الزعماء العرب المشهورين بالقسوة والشدة في نزهة، فرأى تمثال الجندي المجهول الذي كان ممسكاً ببندقيته، فاقترب منه، وأطال تأمله، فقال له التمثال: لقد تعبت كثيراً من كثرة الوقوف، فأحضر لي حصاناً أركب عليه، فتعجب النائب من كلامه، ولما عاد أخبر الزعيم بما جرى، فلم يصدق، وأصر على القدوم بنفسه ليرى التمثال، ولما وصلا إلى هناك، قال التمثال للنائب غاضباً لقد طلبت منك أن تحضر لي حصاناً لا حماراً!!!". إشارة ضمنية إلى كراهية واحتقار المواطن العربي لزعيمه.

* وكان الباحث عثر على طرفة أخرى تسير في ذات السياق، وتشخص العلاقة بين المواطن العربي ورجال المباحث، وملخصها (كان رقم هاتف إدارة المباحث الجنائية يتشابه مع هاتف مطعم شهير، واعتاد رجال المباحث تلقي مكالمات خاطئة للمطعم، وذات يوم ارتفع رنين الهاتف في إدارة المباحث، فرفع أحد الضباط السماعة، وسمع رجلاً يقول: مساء الخير، أريد كيلو كباب، فقاطعه الضابط بالقول: هنا إدارة المباحث، هل تريد مطعم السعادة؟ فقال الرجل مذعوراً: أنتم تعلمون كل شيء يا رجال المباحث!!!)(١). وأحداثها تعكس تخصص رجال المباحث العرب في التلصص والتنصت، ومحاولة معرفة كل شيء عن حياة المواطن، كما أن كلمة "مذعوراً" الواردة، تعكس توتراً في العلاقة بينهما.

* وطرفة أخرى تحمل مضموناً ودلالة، تقول (الأول: ما رأيك في المرشحين للانتخابات؟، الثاني: أحمد الله، أنه لا يمكن انتخاب أكثر من واحد منهم!!!)(٢).

والدلالة أن هؤلاء المرشحين سيئون، كما أن فيها إشارة لعلاقة عدم الثقة والمودة بين الطرفين.

* (كتب أحدهم إلى صديقه يقول: لعل هذه الرسالة تتأخر في الوصول إليك، لأن إدارة البريد تفتح جميع الرسائل وتقرأها. وبعد أسبوع تلقى مذكرة من إدارة البريد جاء فيها: كلام غير

---

(١) موسوعة طرائف ونوادر، ص٦٩.

(٢) السابق، ص٩٨.

صحيح، فنحن لا نفتح الرسائل أبداً!!!)[١]. مما يدل دلالة قاطعة، على أن إدارة البريد -الخاضعة للأجهزة الأمنية- تفتح رسائل المواطنين.

* (قال الحاكم العربي لأحد ندمائه: أريد وشّاماً ماهراً يرسم صورة القدس على يدي، فقال النديم: وإذا رجعت القدس يا سيدي؟. قال الحاكم: اقطع يدي!!!)[٢]. رد عفوي يعكس نظرة الحكام العرب إلى القدس، ومعرفتهم بمصيرها.

## ملامسة الطرفة الفلسطينية للقضايا الاجتماعية:

وإذا كانت الطرفة قد تناولت- بالعلاج- المشاكل السياسية، فإنها كذلك اقتربت كثيراً في تناولها، ومحاولة علاجها للأدواء الاجتماعية الملحة، سواء ما كان منها على مستوى الأسرة، أو على مستوى الوطن، ومن دلائل نهوض الطرفة الفلسطينية بهذه المهمة، ما ترويه الطرائف التالية (سأل صديق صديقه: مالي أراك ممقوتاً غير مسرور؟ فأجاب الصديق: حماتي لذعها ثعبان، فانزعج الصديق وسأله: وهل ماتت حماتك؟ فأجاب كلا ... مات الثعبان)[٣]. ومن دلالات الطرفة:

أ- أن الناس ما زالوا ينظرون إلى الحماة على أنها مصدر خلق المشاكل والمتاعب داخل البيوت.

ب- وأنها تسعى بالشر دوماً، وأن شرورها تفوق سموم الثعابين.

* ومن الطرائف الفلسطينية التي تحمل نفس المغزى، ما يروى (ركب أحد الأشخاص في الحافلة ومعه حماته، ولما جاء الكمساري، أعطاه الراكب ثمن تذكرتين ..... فسأله الكمساري: من معك؟. فقال: أنا والعذاب!!!)[٤]. والمقصود أن الحماة- لكثرة تدخلها في شؤون البيت وسعيها بالإفساد- أضحت مصدر العذاب والألم للأزواج.

وهذه طرفة جاءت مصورة الحياة الاجتماعية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨، وبطلها رجل يدعى "إسماعيل حمورة" من قرية "البصة" على الحدود اللبنانية مع فلسطين، وكان عُرف بخفة دمه، وحلو حديثه، وروعة نوادره، ومفادها (عمل إسماعيل مرة حمالاً، وحدث أن حضر جامع الضرائب الحكومية، وأمر باعتقال زميل له لعجزه عن دفع الضريبة، ولما علم إسماعيل بالأمر، حضر إلى "المحصل دار" مستفسراً عن اعتقاله، وعندما أطلعه على الأمر، أخرج إسماعيل من جيبه جزداناً منتفخاً، وطلب إلى "المحصل دار" أن يكتب إيصالاً بالمبلغ، فلما فعل

---

[١] السابق، ص١٠.

[٢] النكتة العربية، ص٩٦.

[٣] اضحك، ص٥٨.

[٤] موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٣٢.

أخذ الإيصال، ورمى الجزدان على الطاولة، وبعد أن فتح "المحصل دار" الجزدان، تبين أنــه مملوء بالخيطان، وليس فيه أي أثر للنقود، وهكذا أطلق سراح زميلــه!!!)[١]. وهــي طرفــة -بالإضافة إلى رصدها الحياة الاجتماعية في فلسطين قديماً- فهي تظهر طرق التعامل، وسبل العيش في المجتمع الفلسطيني في ذلك الوقت، كما أنها جاءت تحمل روح التكاتف والتــضامن بين الفلسطينيين.

* (كانت السيدة تتحدث إلى صديقاتها، وتؤكد لهن أن عمرها لا يزيد عن ثلاثــين عامــاً، ثــم التفتت إلى زوجها، وقالت له: أليس كذلك يا زوجي العزيز؟ فرد الزوج قــائلاً: نعــم، فأنــت ترددين نفس الكلام منذ خمس عشرة سنة!!!)[٢]. والدلالة أن المرأة تأنس بالسن الصغير.

* (الأول للثاني: هل تؤيدني في الرأي، أن العازب يندم إذا لم يتزوج؟

الثاني: العازب يندم مرة واحدة، ولكن المتزوج يندم طوال العمر!!!)[٣]. في إشارة إلى بعــض الزيجات غير الموفقة، حيث يجلب الزواج لصاحبه النكد والهم والغم.

* (امرأة عجوز، عمرها ٩٠ سنة، كانت تنظف مصباح علاء الدين، فخرج منه عفريت، وقال لها: شبيك لبيك، ماذا تريدين مني؟ فقالت: أن أصبح صغيرة السن، فجعلها ابنة ٥٥ سنة، لكنها أرادت المزيد فجعلها ابنة ٣٤ سنة، فأصرت على المزيد حتى جعلها ابنة سنتين، وعنــد ذلــك أصيبت بالحصبة وماتت!!!)[٤]. والدلالة كراهية النساء للعمر المتقدم.

* (بينما كانت الزوجة تصعد على السلم، نظر إليها زوجها بغضب، بعد أن كانت بينهما مشادة كلامية.

- أنتِ طالق إن صعدت السلم ..... وأنتِ طالق إن وقفت على السلم ..... وأنــتِ طــالق إن نزلت عن السلم ... فرمت المرأة نفسها على الأرض!!!)[٥]. وفيها ما يــدل علــى أن المــرأة العربية مضطهدة ومهانة.

* (الزوجة: لا بد من طرد السواق، لأنه كاد أن يقتلني أربع مرات بتهوره.

- الزوج: لِمَ لا نعطيه فرصة أخيرة!!!)[٦]. والدلالة أن الزوج لا يحب زوجته، ويتمنى موتها.

* قال الموظف لمديره في العمل: سيدي .... إن زوجتي تريد أن أحصل علــى زيــادة فــي الراتب، وهي مصرّة على أنني أستحق زيادة كبيرة.

---

[١] المجتمع والتراث، ص١٨٩.

[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص٣٨.

[٣] السابق، ص٣٨.

[٤] السابق، ٣٨.

[٥] السابق، ص٢٠٤.

[٦] السابق، ص٣٩.

قال المدير: أمهلني حتى أشاور زوجتي!!!)[1]. في إشارة ضمنية إلى ضعف شخصيته، على الأقل من وجهة نظر فلسطينية متزمتة قديمة.

* (الأول: هذا الرجل الذي يسير أمامنا غير متزوج.

الثاني: وكيف عرفت؟

الأول: لأن نقوده ما زالت ترن في جيبه!!!)[2]. في إشارة إلى جنوح النساء للتبذير.

* (كانت سيدتان تتبادلان الحديث، فقالت الأولى: لولاي لما كان زوجي مليونيراً.

- الثانية: وكيف ذلك؟

- الأولى: عندما تزوجته كان مليارديراً!!!)[3]. والدلالة أنها زوجة شديدة التبذير.

* (الأب لابنه: عدّد لي ثلاثة طرق للمواصلات.

الابن: الطائرة، القطار، شباك منزلنا.

الأب: وما علاقة شباك منزلنا بالمواصلات؟

الابن: لأن أمي تنقل منه الأخبار إلى جارتنا!!!)[4]. والدلالة أن الأم لا تحسن كتمان الأسرار.

* (كانت السيدة معروفة بمكالماتها الهاتفية التي تستغرق أكثر من ساعتين، وذات مرة طلبت رقماً، ولكنها لم تتحدث إلا نصف ساعة، فاستغرب زوجها، ولما سألها عن السبب، قالت: النمرة كانت غلط!!!)[5]. والطرفة تعكس غرام السيدات في الثرثرة وكثرة الكلام.

* ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني راصداً ومصوراً بعض أوجه الحياة الاجتماعية في هذه البلاد، الطرائف الآتية: "الأولى لصديقتها:أخبريني يا عزيزتي المزيد من الإشاعات حول صديقتنا عائشة.

- الثانية: لا يمكنني ذلك، فقد أخبرتك بما هو أكثر مما سمعت". ومن دلالاتها عشق النساء للإشاعات وتضخيمها.

* "قال الرجل لصديقه: إن زوجتي كانت تقرأ قصة الفرسان الثلاثة، فولدت ثلاثة توائم. ولما سمع صاحبه الخبر، أسرع إلى بيته راكضاً، وهو يتمتم الله يستر، فزوجتي كانت تقرأ علي بابا والأربعين حرامي!!!". والطرفة تحمل أكثر من دلالة، وتشير إلى أكثر من مضمون، فهي من جهة تعكس الحالة الاقتصادية الصعبة، والأوضاع المادية المتردية التي تجبر الرجال على الإشفاق من كثرة الإنجاب من جهة أخرى.

---

(1) السابق، ص٣٩.

(2) اضحك، ص١٠.

(3) موسوعة طرائف ونوادر، ص٤٤.

(4) السابق، ص٤٥.

(5) السابق، ص٤٥.

* "سأل المريض طبيبه: يا دكتور هل بإمكانك أن تشفي شخيري؟ فرد الطبيب وهل يزعج شخيرك زوجتك؟ المريض: لا .... إنه يسبب إزعاجاً لزملاء العمل فقط!". طرفة تشير إلى العلاقة السيئة التي تربط الرجل وزوجته.

* "أراد أحد الأطفال أن يمازح جدته، فقال لها: يا جدتي هل تريدين أكل الفستق أم الزواج؟ فردت الجدة: ومن أين لي أسنان يا جدتي حتى آكل الفستق؟!!!". في إشارة- لا تحتمل التأويل- إلى أن المرأة تفضل الزواج حتى ولو كانت مسنّة.

* "قال الزوج لزوجته: حلمت أمس بأنني كنت في الجنة، فسألته زوجته: وهل رأيت المرحومة أمي هناك؟ أجاب الزوج: قلت لك كنت في الجنة!!!". طرفة تشير إلى كراهية الأزواج للحموات، وتحاملهم عليهن.

* "سأل القاضي الرجل الذي تشاجر مع زوجته: لماذا كسرت الكرسي على رأس زوجتك؟ فقال الرجل: إنه حادث يدعو للأسف، غير أن القاضي أعاد السؤال مرة أخرى، فما كان من الرجل إلا أن قال: لم أكن أقصد قط كسر الكرسي!!!". والمغزى الذي يُفهم منها أن العلاقة الزوجية تمر في أسوأ لحظاتها.

* "كان الزوج- كعادته- يقرأ الجريدة، فتضايقت زوجته، وتدخلت قائلة: يا ليتني كنت الجريدة. فقال زوجها: ولماذا؟ فقالت الزوجة: حتى أبقى بين يديك. فرد الزوج قائلاً: يا ليتك "نتيجة". فردت الزوجة: ولماذا يا حبيبي؟ الزوج: حتى أبدلها كل سنة!!!". وفي الطرفة دلالتان، الأولى رغبة الرجال في الاقتران بأكثر من امرأة، والثانية كراهية الرجل لزوجته.

* "فقدت إحدى النساء زوجها بينما كانت تتسوق، وكان معهما ابنهما، فظلت تنادي عليه في السوق وتقول: مَن رأى منكم رجلاً طويل القامة، أبيض البشرة، أشقر الشعر، عيناه زرقاوان؟ فقال لها ابنها: ولكن أبي لا يحمل هذه المواصفات يا أمي!!! فقالت: اسكت يا ولد .... لعلهم يعطوننا غيره!!!". طرفة تعكس خللاً في العلاقات الزوجية، وعدم توافق ورضىً بين الزوجين.

* ومن بديع ما يروى في المجتمع الفلسطيني حول المتزوجين بأكثر من واحدة، الطرفة الآتية "يقال إن رجلاً كان متزوجاً من أربع نساء، فكان يتغدى بمعركة، ويتعشى بأخرى، ولما بلغ السيل الزبى، قال لهن:- أما لهذا الخلاف من آخر. فردت عليه الأولى: طالما أنك تفضلهن عليّ، فلن يهنأ لك بال. فقال لها: اذهبي فأنت طالق.

فقالت الثانية: كان يجب ألا تطلقها بهذه السرعة.

فغضب منها، وقال لها: وأنتِ كذلك طالق.

فكلمته المرأة الثالثة قائلة: كان بإمكانك أن تعالج الموضوع بدبلوماسية وحنكة.

فما كان منه إلا أن طلقها هي الأخرى. ولم يبقَ إلا الرابعة التي قالت له: أتطلقهن بهذه السهولة مذكِّرة إياه بالعشرة الزوجية. فقام وطلقها.

ويبدو أن الجارة كانت تسمع ما كان يدور، فأطلت برأسها من فوق السور وقالت: حقاً إنك رجل مجنون، فقال لها: وأنتِ كمان طالق إذا وافق زوجك على ذلك، فاندفع صوت من داخل البيت يقول- وبأعلى صوته-: موافق... موافق ... موافق!!!". طرفة يقرأ المرء فيها كل أشكال العلاقة المتوترة بين بعض الرجال وزوجاتهم.

* "في الطريق تقابلت سيدتان، فقالت الأولى: يا سلام ما أجمل هذا المعطف الذي تلبسينه، هل غيّر زوجك وظيفته؟ فردت الثانية- بكل برود-: لا .... أبداً، أنا غيّرت زوجي!!!" ويُستشف منها دلالتان، الأولى غيرة المرأة بشكل عام، والثانية تفضيل النساء للرجال الأثرياء.

* "ذهبت امرأة إلى الصيدلية لشراء دواء لزوجها وخروفها، فقالت للصيدلي: تأكد من الزجاجات، أيهما للخروف، وأيهما لزوجي ..... إنني لا أريد أن يموت الخروف قبل عيد الأضحى!!!". علاقة زوجية سيئة إلى أبعد حدود السوء.

* "أرادت الأم أن تجرب طريقة تشجع أولادها- من خلالها- على الطاعة والاحترام، فقالت لهم: سأخصص جائزة قيمة لكل من يثبت أنه أكثركم طاعة. فاحتج أحد الأولاد قائلاً: هذا يعني يا أمي أن أبي سيفوز بالجائزة دائماً!!!". والمغزى أن الزوج ضعيف الشخصية، ومنقاد وراء زوجته.

* قالت الزوجة لزوجها: أمي نقلوها إلى المستشفى بسبب حالة تسمم. فقال لها زوجها: لا بد أنها عضت لسانها بطريق الخطأ!!!". تعريض بالحموات اللواتي يتميزن بحدة اللسان، ويسعين في إفساد العلاقة الزوجية.

* "سأل صاحب السوبر ماركت الزبون: ما السبب الرئيس الذي يجعلك تشتري بضاعتنا؟ فرد الزوج: زوجتي!!!". طرفة تحمل مضمونين الأول التبذير الذي عليه أكثر النساء، والثاني ضعف شخصية بعض الأزواج.

* "قال الأول لصديقه: كُلِّي أسف، لأنني سمعت أن زوجتك قد هربت مع السواق. فرد الثاني: لا داعي للأسف، فأنا قادر على قيادة السيارة بنفسي!!!". مما يدل على أن العلاقة الزوجية لم تكن في أحسن حال.

* "قال الوالد لابنته: لقد جاءك اليوم خاطب وطلب يدك ووافقت. فاحتجت البنت معللة ذلك برغبتها في البقاء بجانب أمها في البيت، فقال لها أبوها: بإمكانك أخذ أمك إلى بيتك الجديد!!!". زواج غير موفق، وحياة أسرية غير طبيعية.

* "كانت الفتاة تستعد للخروج من بيتها، فنصحتها أمها بالعودة قبل العاشرة ليلاً، فاحتجت الفتاة وقالت: ولكني لم أعد صغيرة يا أمي. فردت الأم: ولهذا السبب أطالبك بالعودة قبيل الساعة

العاشرة ليلاً!!!". والطرفة تشير إلى أمرين، الأول محاولة تمرد بعض الفتيات على العادات والتقاليد، والثاني- وهو الأهم- انعدام حالة الأمن والأمان.

* "الزوجة لزوجها: قف قليلاً، أرني وجهك، هل حلقت ذقنك؟ يقترب زوجها .... الزوجة: في المرة القادمة عليك أن تقترب أكثر من موسى الحلاقة!!!". علاقات زوجية قاتمة، يسيطر عليها التوتر، وتسودها البغضاء والكراهية.

* "دخلت الزوجة البيت وكان زوجها يقرأ الجريدة، فقالت له: لقد ذهبت اليوم إلى الطبيب ... لكنه لم يحرك ساكناً وظل يقرأ الجريدة.... وبعد قليل قال لزوجته: هل ذهبت حقاً إلى الطبيب؟ فقالت بغضب: نعم. فقال: وكيف حاله؟!!!". إهمال وبرود يعكسان شكل العلاقة بين الزوج وزوجته.

* "قال الصديق لصديقه: كيف انتهت معركة الأمس بينك وبين زوجتك؟.

قال الزوج: لقد أجبرتها على أن تركع على يديها ورجليها.

الصديق: وماذا قالت لك بعد أن ركعت؟ هل اعتذرت لك؟

الزوج: لا .... لم تعتذر ولكنها قالت: "اطلع من تحت السرير يا جبان".

طرفة تشخص العلاقة السوداء بين الرجل وزوجته، كما أن فيها ما يدل على قسوة المرأة وتجبرها وضعف شخصية الزوج.

* "هي: لا يوجد عندي فستان ألبسه.

هو: كلامك غير صحيح، والخزانة مليئة بالفساتين.

هي: أعرف ذلك، لكن الجيران شاهدوني بها.

هو: لا تقلقي، سنغير الدار ونسكن منطقة أخرى".

تبذير حريمي غير مسئول.

* "تمكنت إحدى النساء من أن تحرق لصاً خطيراً بالمكوى الكهربائي، وذلك بعد تسلله إلى غرفتها... فجاء رجال الشرطة يهنئونها على شجاعتها، فأجابتهم إني متأسفة، لقد ظننته زوجي قد رجع إلى البيت متأخراً كعادته". والطرفة تشير إلى عادة سيئة وهي تعوّد بعض الرجال العودة إلى منازلهم متأخرين، كما أن فيها ما يدل على سوء العلاقة بين الرجل وامرأته.

* "في إحدى دور السينما، وكان الصمت مخيماً، تقدم البطل، وصفع البطلة على وجهها، وإذا بطفل صغير يجلس بجوار أمه يقول: لماذا لم ترد البطلة الصفعة للبطل كما تفعلين أنت يا أمي؟". مشاحنات ... مشاجرات ... خلافات .... نزاعات ... علاقات زوجية سيئة .... هي كل ما في الطرفة السابقة.

* "قال أحد الموظفين لمديره في العمل: أنا في حاجة لزيادة الراتب.

- المدير: وما المناسبة؟ فأجاب الموظف متلعثماً لأن زوجتي عرفت "اليوم" فقط مقدار راتبي بالضبط". والطرفة تشير إلى أن بعض الأزواج يخفون مقدار رواتبهم عن زوجاتهم، مما يدل على أن العلاقة الزوجية لا تسير في الطريق الصحيح.

* "قالت الزوجة لزوجها: افرح يا عزيزي سنسدد ديوننا، وسنشتري شقة جديدة.

الزوج: وكيف ذلك؟ هل ربحت الجائزة الكبرى؟

الزوجة: لا، ولكني عدت الآن من عند قارئة البخت التي تنبأت لنا بكل ما ذكرت". طرفة تشير إلى بعض ترسبات المجتمع، حيث تعود البعض الذهاب لقراءة الطالع.

* "زينب: هل يطلعك زوجك على متاعبه المالية؟

سعاد: نعم .... إنه يطلعني عليها كلما طلبت منه شراء فستان"٠

والطرفة تحمل أمرين: أولاهما: بخل بعض الأزواج، والثاني: تعود بعض النساء التبذير والإسراف.

* "دأبت المريضة على الثرثرة والطبيب يعاين حالتها، فقال لها لطفاً سيدتي: أخرجي لسانك. فقالت: ولماذا يا دكتور؟ هل تريد أن تفحصه؟.

الدكتور: لا. ولكني أريدك أن تبقى هكذا حتى أنتهي من عملي". والمقصود أنها ثرثارة.

* "قال المرشح- وهو يعد الذين سيعطونه أصواتهم- سوف أعيد لكم كل شيء كما لو كان قبل ٢٥ سنة.

وهنا ارتفع صوت سيدة من الصفوف الخلفية: وهل سأعود إلى سن العشرين كما كنت في ذلك الوقت؟". والدلالة محبة النساء لسن الشباب.

* "وصلت امرأة إلى مركز الشرطة، وقالت للضابط: لقد فقدت زوجي. فقال لها ضابط الشرطة: وهل لزوجك علامة مميزة؟ قالت: بالتأكيد، إنه يحمل في جيبه ألف دولار؟. نكتة تشير إلى اهتمام بعض الزوجات بدراهم الزوج لا بالزوج نفسه.

* "كانت الزوجة مغرمة بحب الظهور، لذا فقد كانت تطالب زوجها بالانتقال إلى مسكن أغلى أجرة، حيث ضاق الرجل ذرعاً بكثرة مطالبها. وفي يوم عاد الرجل إلى منزله مبتهجاً، وبادر زوجته بالقول: لك عندي خبر سار يا عزيزتي .... لم يَعُد هناك داعٍ للانتقال من سكننا الحالي... لقد رفع المالك الإيجار". والطرفة تعالج- بطريقة أو بأخرى- داءً اجتماعياً ألا وهو حب المظاهر الفارغة.

* "تشاجرت سبع جارات مع بعضهن البعض، وتطورت المعركة حتى انتهت إلى مركز الشرطة، ولما سألهن الضابط عن سبب الشجار، اندفعن يتحدثن مرة واحدة، فصاح الضابط: فلتتكلم أكبركن سناً، وهنا سكتن جميعا".

* "تبرعت تسع نساء بالدم لأشخاص هم بحاجة إلى عمليات نقل دم، غير أنه تبين أنهن لم يتبرعن بدمائهن، بل بدماء أزواجهن". والدلالة خلو العلاقة الزوجية من المحبة والتفاهم.

* "المدير: مَنْ الذي يتكلم؟

السكرتيرة: إنها سيدة يا حضرة المدير، وأول ما قالته لي: يا أحمق!!.

فقال المدير: حولي الخط إليَّ لأرد عليها ... إنها زوجتي".

نكتة تصور حدة لسان بعض النساء.

* "العرافة: أرى في الطريق إليك رجلاً ممشوق القامة،جميلاً، أنيقاً، شاباً. فقاطعتها: هل هو غني؟

العرافة: جداً.

المرأة: إذن أخبريني كيف أتخلص من زوجي". مما يدل على أمرين:

أ- أن هناك بعض الناس في المجتمع الفلسطيني ما زالوا يؤمنون بنبوءات العرافين.

ب- وأن المرأة تفضل الرجل الغني.

## الطرائف الاقتصادية:

كلما ارتفعت أسعار السلع الأساسية، أو شحت المواد التموينية الرئيسة من الأسواق، وقلت فرص العمل، وتفشت البطالة، وعم الفقر، وخيم الجوع، كلما زادت معاناة الناس وآلامهم، وكلما زادت المعاناة، كلما ارتفع سهم الطرائف المسؤولة التي تعبر عن حجم الفقر والحرمان، وتشير إلى تردي الأوضاع الاقتصادية، وتصور المأساة المادية، وتشخص الآلام التي يشكو منها المواطنون.

وبعد تفجر انتفاضة الأقصى بعام تقريباً، ونتيجة لقفل المعابر اختفى من الأسواق كل من السكر والسولار، حتى اضطرت العديد من سيارات الأجرة إلى التوقف عن العمل. وأما السكر فقد ارتفع سعره أضعافاً، واختفى تماماً لدى التجار، وكان مما سمعه الباحث- مروياً على لسان أحدهم- تعليقاً على هذه الظاهرة "واحد كان ماشي في السوق، فرأى صديقاً له- وكان يعمل سائق سيارة أجرة- واقفاً في السوق على غير عادته، فسأله: ايش، "بتدور" على سكر؟ فرد صاحبه: لا على سولار!!!". والمقصود اختفاء كل من السكر والسولار.

* ومما يروى كذلك في المجتمع الفلسطيني، مصوراً حجم المعاناة الاقتصادية في هذه البلاد، الطرفة التالية "واحد فقير مرّ من أمام الجزار، وأطال النظر إلى اللحم المعلق في المحل، ثم قال- موجهاً كلامه إلى اللحمة- "حتروحي على النار"!!!". والدلالة أحوال اقتصادية سيئة خلقت كراهية بين المواطن واللحم، مما جعله يدعو عليها بدخول النار، لأنه محروم من تناولها.

* "تقدم أحد الشباب لخطبة فتاة من والدها، وكان مما قاله له: والحمد لله يا عمي فإن مرتبي ٧٠٠ شيقل، يعني بعد خمسين سنة، أكون قادراً على شراء عش الزوجية". وفي الطرفة تلميح لتدني الرواتب مما يجبر العريس على الانتظار طويلاً حتى يتمكن من شراء الشقة، هذا إذا استطاع شراءها.

* "سأل شاب- على وشك الزواج- صاحب محل الذهب عن ثمن خاتم صغير أعجبه، فقال له: ثمنه ١٥٠٠ شيقل، فصفر الشاب صفرة طويلة وذلك على سبيل التأفف وعدم الرضى، ثم رأى خاتماً آخر، فسأله عن ثمنه، فقال البائع: صفرتان!!!". والنكتة- وإن لم تغفل الجانب الترويحي- فإن فيها ما يشير إلى ارتفاع الأسعار، الأمر الذي يفضي- حتماً- إلى المعاناة والألم.

* "الأب: أنا سأقدم لك مبلغ عشرة آلاف شيقل هدية الزواج.

- العريس: رائع.
- الأب: وأنت ماذا ستقدم بالمقابل؟
- العريس: سأقدم إيصالاً باستلام المبلغ!!!". والدلالة أن العريس لا يملك شيئاً.

* "الرجل لصديقه: أنا "حيران" لقد اشتريت أرضاً وليس معي شيء للبناء.

- الصديق: بع الأرض وابنِ البيت!!!". نكتة ترويحية يُلمح فيها الفقر والمعاناة الاقتصادية.

* ومن طرائف الجانب الاقتصادي، الطرفة الآتية (المعلمة للتلميذ: افرض أن والدتك اشترت فستاناً بعشرين ديناراً، وحقيبة بعشرة دنانير، وحذاءً بأربعة عشر ديناراً، فما هي النتيجة؟.

- التلميذ: عراك وصياح مع بابا!!!)[1]. والدلالة إما بخل الرجل، وإما أنه يعاني أوضاعاً مادية صعبة.

* وكذلك (المفلس: يا أخي جو هذه الأيام متقلب، يوم حر ويوم برد.

- رفيقه: وماذا يضايقك في هذا؟
- المفلس: طبعاً أنا محتار هل أرهن ملابس الصيف، أو ملابس الشتاء؟)[2].

طرفة تشخص- بكل صدق- الحالة الاقتصادية التي يمر بها المواطن، حيث يضطر إلى رهن ملابسه، الأمر الذي يعني فقره الشديد.

* ومما يروى في المجتمع الفلسطيني، في إطار انتقاد الأوضاع الاقتصادية المتردية، النكتة الآتية:

"الأول: لماذا يخرج الصوت متقطعاً من مذياعك؟

---

(١) السابق، ص٧٨.

(٢) السابق، ص٧٨.

- الثاني: لأنني اشتريته بالتقسيط!!!". والدلالة أن أحواله المادية لا تسر.

* "قبض رجال الشرطة على شخصين بتهمة التشرد، ولما سئل الأول: أين تعيش؟ قال: في المزارع .... في البيارات .... على شاطئ البحر ... في كل مكان ... وهنا استدار القاضي نحو الآخر وسأله: وأنت أين تقيم؟ فأجابه: أنا جاره". والمغزى أن الفقر يقود إلى التشرد والضياع.

* "صاح الرجل بأعلى صوته: ما هذا لقد أصبحَ كيلو اللحم بـ ٣٠ شيقل هذه الأيام. قال محدثه: ومتى اشتريت اللحم آخر مرة؟ قال: قبل عشر سنوات !!!". والطرفة تعكس أمرين! الأول ارتفاع الأسعار، والثاني البخل.

* "سأل أحد الصحفيين ثلاثة أشخاص، وذلك خلال تحقيق أجراه عن الفقر، وكان السؤال: ما رأيك في أكل اللحم؟

فقال الأول: ماذا تعني كلمة رأي؟

وقال الثاني: وماذا تعني كلمة أكل؟

وقال الثالث: وماذا تعني كلمة لحم؟". ومنها يمكن استخلاص الدلالتين التاليتين الأولى عدم وجود مساحة للتعبير عن الرأي، والثاني الفقر الشديد الذي لا يمكّن المرء من التعرف إلى اللحم.

* "دخلت امرأة محلاً لشراء بيت "لِلعبُة" ابنتها الصغيرة، فرأت بيتاً فأعجبها، ولما استفسرت عن سعره وجدته مرتفعاً للغاية، فذهلت وبعد لحظة تقدمت إلى البائع وقالت له بأدب ولطف: أعتقد أنكم على استعداد لعمل الترتيبات اللازمة لرهن "البيت" إذا لزم الأمر... أليس كذلك؟". والدلالة ارتفاع الأسعار بشكل جنوني، مما دفعها إلى الاستفسار عن إمكانية رهن "بيت اللعبة".

## الطرفة والقضايا الأخلاقية:

الطرائف التي تبحث الشأن الأخلاقي من زاوية معينة، وبأسلوب خاص، لا تقل أهمية عن الألوان الراقية من الكتابات الأدبية الجادة، الموجهة لعلاج القضايا التي تؤرق المواطنين، وتقض مضاجعهم، وتشغل بالهم، وتستولي على تفكيرهم.

وقد اجتهدت الفكاهة الرصينة في محاربة الرذائل الأخلاقية التي تمس الدين، والعقيدة، والعرف، والتقاليد، والقوانين، وشمّر كتّاب السخرية عن سواعدهم، وراحوا يدافعون - بالكلمة الهادفة - عن المبادئ الخيرة، والقيم الجادة، والمثل الأصيلة، ومن النقائص الأخلاقية التي تناولتها الطرائف، ووضعتها تحت المجهر، الرشوة، والحب الحرام، والسرقة، والفساد، والتعالي، والتفاخر، والوشاية، والكذب، والغش، والطمع، والسفور وغيرها.

ومن جيد الفكاهة الفلسطينية التي تناولت - بالغمز واللمز - الغش والغشاشين، ما يروى

* (قال بائع السيارات المستعملة لزبونه: وما الذي تشكوه من السيارة التي ابتعتها في الأسبوع الماضي؟. أجاب: كل شيء فيها يحدث صوتاً عالياً إلا بوقها!!!)[١]. والمغزى أن الغش أَلَمَّ بكل جزء من أجزاء السيارة بما فيه البوق.

* وللطمع والطماعين مكان في الفكاهة الفلسطينية، حيث صوبت نحوه سهام الاحتقار والتشنيع، وأحداث الطرفة التالية، توضح ذلك (قال الضيف لصاحب المنزل: في بيتي لا آكل شيئاً تقريباً، ولكن عند الأصدقاء والأصحاب، آكل كأني أربعة أفراد، ولا أعرف السبب. فقال صاحب المنزل: خذ راحتك، واعتبر نفسك في بيتك!!!)[٢]. والمغزى لا تأكل في بيتي شيئاً.

* ومنها أيضاً ما يروى "الزبون: هل هذا شاي أم قهوة؟ إن طعمه يشبه طعم "الكاز".

- الجرسون: هذا شاي يا سيدي، لأن القهوة عندنا طعمها مثل طعم الكلور". طرفة تشير إلى الغش والطمع وعدم الاهتمام بجودة المشروب الذي يقدم للزبائن.

* ومنها كذلك "الزبون: أين التخفيض الذي تتحدثون عنه؟

- - الجرسون: التخفيض في كمية الطعام وبس!!!". والدلالة أن صاحب المطعم كذاب وغشاش.

* وقد أورد "سليمان شاهين" صاحب "موسوعة طرائف ونوادر" الطرائف الآتية (الزبون: إن كمية الطعام التي أحضرتها بالأمس كانت ضعف الكمية التي أحضرتها اليوم.

- الجرسون: عفواً ... أين كنت تجلس بالأمس؟

- الزبون: بجوار النافذة.

- الجرسون: هذا هو السبب، لأن الكمية الإضافية دعاية لإغراء الزبائن المارين أمام المحل!!!).[٣] والمغزى أن صاحب المطعم رجل غشاش.

* (الزوجة: لماذا تأخرت في السهر عند الجيران؟

- الزوج: لأنهم كانوا يغتابون كل زائر بعد خروجه، فآثرت أن أكون آخر من يغادر منزلهم!!!)[٤]. طرفة تحاول إيجاد علاج لمرض الغيبة.

* (كُنّ يتحدثن عن جارتهن الجديدة، فقالت إحداهن: إنها في الستين من العمر، وتبدو في الخمسين، ولكنها تظن أنها لا تزيد عن أربعين، وتلبس كما لو كانت في الثلاثين، وتتصرف كأنها بنت العشرين!!!)[٥]. والدلالة أنهن يحسنْن الغيبة، ويتحلين بالغيرة.

---

[١] اضحك، ص٥٤.

[٢] السابق، ص٥٠.

[٣] موسوعة طرائف ونوادر، ص٩٢.

[٤] السابق، ص١٠٥.

[٥] السابق، ص١٠٦.

* (الأول: إن في بلدنا تعمل الأشياء بسرعة مذهلة، فخلال أسبوع يستطيع العمال بناء عمارة مكونة من ستة طوابق.

- الثاني: في بلدنا أسرع، فقد كنت ذاهباً للدوام صباحاً، فرأيت العمال يبدأون بالعمل، ولما عدت من عملي عصراً، وجدت صاحب العمارة يتشاجر مع بعض المستأجرين لتأخرهم عن دفع الإيجار!!!)[١]. والدلالة أنهما كذابان.

* (قال المعلم: إذا كان لدينا مئة دينار وألف رغيف فلا يجوز جمعها ..... لأن الجمع ينبغي أن يكون لنوع واحد. فأجاب أحد تلاميذه: وكيف ذلك يا أستاذ إن أبي يمزج كل عشرة كيلو حليب بمثلها من الماء، ويقول للوالدة: إن المجموع عشرون كيلو من الحليب!!!)[٢]. والطرفة من الوضوح بمكان بحيث يتعذر التعليق عليها.

* (مرة واحد راح يخطب، فقال لوالد الفتاة: أعطني ابنتك وسوف أعطيك ثقلها ذهباً، فقال الوالد: انتظر حتى أسمنّها شوية!!!)[٣]. مما يدل على طمعه وجشعه.

## طرائف فلسطينية متنوعة:

### طرائف الأطباء:

الأطباء رمز الرحمة، وعنوان التضحية والشفقة والشجاعة، لا يبخلون على مرضاهم بنصح أو توجيه أو إرشاد، ويبذلون أقصى ما في وسعهم لإنقاذ مرضاهم، وغاية السعادة عندهم رؤية المرضى وهم يتماثلون للشفاء، لكن بعضهم يغالي في رفع أجره، ومن هنا- على أغلب الظن- سُلّطت عليهم الطرائف اللاذعة، وتناولتهم النكات الموجعة، ومن أشهر طرائف الأطباء التي عثر عليها الباحث، وأكثرها قرباً من المواطن الكادح، الطرائف التالية:

* (المريض: عالجني يا دكتور وسوف أحاسبك بعد الشفاء.

- الطبيب: وإذا مت؟.

- المريض: الله بيحاسبك!!!)[٤]. طرفة اتكأت في الأساس على التلاعب بالألفاظ في "أحاسبك- يحاسبك" ولكنها تحمل مضموناً وهدفاً ودلالة، ألا وهو جشع الطبيب وطمعه.

* (جلس الرجل في المستشفى ينتظر الانتهاء من عملية تجرى لابنه، وبعد الانتهاء سأل الرجل الطبيب: هل نجحت العملية يا دكتور؟ فأجاب الطبيب: لا ... لها دور ثان)[٥]. مع ملاحظة أهمية الربط بين النجاح وأداء امتحان الدور الثاني.

---

[١] السابق، ص١٠٦.

[٢] السابق، ص١٨٣-١٨٤.

[٣] اضحك، ص٢٧.

[٤] السابق، ص١٩.

[٥] موسوعة طرائف ونوادر، ص٤٣.

* (المريض: دكتور لقد نسيت المقص في بطني.
- الطبيب: لا بأس، ادفع ثمنه "وخليه" في بطنك!!!)(١). والدلالة التي تحملها الطرفة هي إهمال بعض الأطباء وعدم اكتراثهم بصحة المرضى، كما أنها تعكس قلة خبرة لدى البعض منهم.
* (دخلت المريضة عيادة الطبيب، ولما سألها عما بها أجابت: أشعر بألم شديد، لا أعرف بالضبط أين هو، فقد بدأ ولا أعرف بالضبط في أي وقت... ويزداد يومياً، ولا أعرف في أي وقت بالضبط، وهنا التفت الطبيب إليها، وقال: - وهو يكتب وصفة طبية- خذي هذا الدواء، ولا أعرف في أي وقت، وخذيه عدة مرات، ولا أعرف عددها بالضبط، وستشفين ولا أعرف كم يستغرق هذا من الوقت!!!)(٢). والمقصود أن صدور بعض الأطباء تضيق فلا يسمعون شكوى مرضاهم.
* (الطبيب النفسي: إنك مصاب بمرض ازدواجية الشخصية.
- المريض: وماذا أفعل يا دكتور؟
- الطبيب: ادفع لي الأجرة مرتين!!!)(٣). طرفة تنبئ بطمع الأطباء.

## طرائف المحامين:

* (الأول لصديقه: ماذا فعلت مع الخروف الذي نطحك أمس؟
- الصديق: كان صاحبه محامياً، فدافع عن الخروف، وأثبت أنني أنا الذي نطحت الخروف!!!)(٤). والدلالة قدرة بعض المحامين على قلب الحقائق، وتزوير الوقائع.
* ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني بشأن المحامين، الطرفة التالية "ذهب الطباخ إلى محام وسأله: ماذا تريد أن تأكل؟ فدهش المحامي، وقال له: ماذا تقصد؟ أجاب الطباخ: "عندي قضية، وقالوا لي وكّل محامي!!!". والدلالة براعة بعض المحامين في التزوير، والتغيير، والتبديل، وتجيير القضية لصالح موكليهم.
* (المحامي الأول: إن محاكم الطلاق مليئة بالرجال، أتدري لماذا؟
المحامي الثاني: لماذا؟
المحامي الأول: لأنهم كانوا يظنون أن قصص الحموات كانت مجرد قصص للنكتة)(٥). والدلالة ازدياد حالات الطلاق.

---

(١) السابق، ص٦٢.
(٢) اضحك، ص٦١.
(٣) موسوعة طرائف ونوادر، ص٤٠.
(٤) اضحك، ص٥٧.
(٥) موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٢٨.

**طرائف المعلمين:**

توصف العلاقة بين الطلاب والمعلمين في كثير من دول العالم بالبرودة، والبعد عن الدفء، وأغلب ظن الباحث أن لذلك أسباباً منها: العقاب البدني الذي يلجأ إليه غالبية المعلمين، وذلك عند أي ذنب يقترف، ثم مبالغة بعض المدرسين في الواجبات المنزلية المعطاة لطلابهم، حيث لا يجد الطلاب متنفساً للانطلاق مع الأصحاب والقرناء، ومنها الساعات الطويلة التي يُحشر فيها الطلاب بين جدران أربعة، حيث يُمنعون من فعل أي شئ تقريباً إلا الصمت والسكوت. هذه الأمور مجتمعة وغيرها، جعلت الطلاب يتخذون مواقف عدائية تجاه المدرسين والمدارس، وقد وجدوا في الطرائف اللاذعة المستهترة التي تنال من هيبة المعلم، وتقلل من شأنه المتنفس الوحيد. وقد سجل الأدب الفلسطيني الضاحك، بعض هذه الطرائف ومنها:

* (دخل معلم جديد إلى الصف، وكان لابساً معطفاً مفتوحاً من الخلف، فقال تلميذ لزميله: أعتقد أن هذا الأستاذ أستاذ لقواعد اللغة! فقال الزميل: كيف عرفت؟ قال: من الفتحة الظاهرة على آخره!!!)(١). وكل ما حملته الطرفة استهتار وسخرية من مدرس اللغة العربية، ومن هندامه، حيث ربط الطالب بين معطفه المفتوح، وبين الفتحة التي شُرحت له في دروس النحو.

* (ذهب مدرس اللغة العربية ومدرس الحساب لتناول الطعام في أحد المطاعم، فقال مدرس اللغة العربية: حسب التخصص، أنا أقوم بطلب أصناف الطعام لأشرحها جيداً، للنادل، وأنت تقوم بدفع الحساب لأنه من اختصاصك!!!)(٢). في إشارة مباشرة إلى بخل مدرس اللغة العربية.

* (الأستاذ: اسكت يا مروان... وكفّ عن الكلام أثناء الحصة.

- الطلاب: ولكن مروان يا أستاذ غائب اليوم!

الأستاذ: حسناً ... عندما يأتي أبلغوه بذلك!!!)(٣). تعريض ببعض المعلمين الذين لا يأبهون بمعرفة أسماء طلابهم، فيطلقون عليهم ما يحلو لهم من أسماء.

**طرائف الطلاب:**

* (المعلم: ما فائدة الأذن؟

- التلميذ: يشدني منها أبي قائلاً: اجلس واخرس!!!)(٤). والطرفة تنبئ بغباء التلميذ وشقاوته وتدني مستواه العلمي.

---

(١) اضحك، ص٦٣.

(٢) موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٥.

(٣) السابق، ص٢٨.

(٤) السابق، ص٣٨.

* (المعلم: كيف تكون في الصف الخامس ولا تعرف "نابليون"؟
التلميذ: ربما كان في الصف السادس!!!)[١]. مما يوحي بكسل الطالب وتدني مستواه التحصيلي.
* (المعلم للتلميذ وهو يعاقبه: إنني أضربك يا عادل، لأنني أحبك.
التلميذ: من المؤسف أنني لا أستطيع أن أعبر لك عن مشاعري بنفس الطريقة!!!)[٢].
طرفة يجد المرء فيها وقاحة واستهتار طلاب اليوم.
* (المعلم لتلميذ كحيان: اذكر لي أخوات كان.
- التلميذ متثائباً: يا أستاذ نحن سكنا هنا من أيام، ولم أتعرف على كل أهالي الحي!!!)[٣].
والمغزى أن الطالب يمتاز بمستوىً متدنٍ للغاية، حيث خلط بين أخوات كان وسكان الحارة.
* (المعلم: لماذا سمي البحر الأسود بهذا الاسم؟
التلميذ: لأنه حزين على البحر الميت!!!)[٤]. كسل- غباء- استهتار بالعلم هي كل دلالات الطرفة السابقة، مع ملاحظة الربط بين الموت والاتشاح باللون الأسود على عادة بعض الناس أثناء العزاء.
* (المعلم: موضوع الإنشاء اليوم سيكون بعنوان ماذا تفعل لو أصبحت مليونيراً؟ ....
أخذ التلاميذ كلهم يكتبون ما عدا واحداً، فسأله المعلم: لماذا لا تكتب؟
أجاب التلميذ: وهل تتوقع مني يا أستاذ أن أفعل شيئاً بعد أن اصبح مليونيراً؟!!!)[٥]. مما يدل على استهتاره واستخفافه وعدم مبالاته بالعلم.
- (المعلم: ما هي الفيتامينات الموجودة في البصل؟
- التلميذ فيتامين "ب"، وفيتامين "ص"، وفيتامين "ل"!!!)[٦]. إجابة تعكس تدنياً في المستوى التحصيلي للطلاب.
* (الأب: ألا تخجل من نفسك أن تظل متأخراً عن رفاقك؟
- الابن: هذا غير صحيح، فقد كنت هذه المرة من أول الساقطين!!!)[٧]. إجابة تشير إلى صاحبها حيث الكسل والغباء والاستهانة والاستخفاف بشأن العلم.

---

[١] السابق، ص٤٣.
[٢] السابق، ص٤٩.
[٣] اضحك، ص٥٠.
[٤] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٧٣.
[٥] السابق، ص٥٥.
[٦] السابق، ص٦٧.
[٧] السابق، ص٨١.

* (المعلم: مش عيب تنقل الأسئلة عن زميلك؟

- التلميذ: أبداً والله، أنا نقلت الأجوبة فقط!!!)[١]. والطرفة تحمل أكثر من دلالة:

أ- اعتماد الطلاب على غيرهم، واللجوء إلى الغش. ب- تدني المستوى العلمي.

ج- الاستهتار بالعلم.

* (وصل تلميذ إلى المدرسة، ورأسه مغطىً بالضمادات، فسأله المعلم: ماذا حدث لك؟

أجاب التلميذ: لسعني دبور. المدرس: لسعة الدبور لا تحتاج إلى هذه الضمادات، فقال التلميذ: بلى يا أستاذ، فقد ضرب أبي الدبور بالعصا وهو يلسعني!!!)[٢]. ويقرأ المرء فيها:

أ- لجوء بعض الطلاب إلى الخداع والمكر. ب- سذاجة بعض أولياء الأمور.

* (المدرس لأحد تلاميذه: ما هو أكبر سور في التاريخ؟

- التلميذ: سور المدرسة!!!)[٣]. والمغزى ضيق الطلاب بالمدرسة وكراهيتهم لها.

* (المعلم: هات ثلاثة أدلة يا "خليل" على كروية الأرض.

خليل: أنت يا أستاذ تؤكد أن الأرض كروية، وكتاب الجغرافيا يدعم كروية الأرض، ووالدي قال: إن الأرض كروية!!!)[٤]. وفي الطرفة دلالتان: الأولى ضعف مستوى الطالب، والثاني اعتماده على الغير.

* (سأل المدرس أحد طلابه: لماذا التوقيت في أوروبا متقدم عن التوقيت في أمريكا؟

فأجاب الطالب: لأن أوروبا اكتشفت قبل أمريكا!!!)[٥]. كسل واستهتار وضعف مستوى.

* (بعد أن شرح المعلم أخطار الحروب ودمارها، وأماكن وأسباب حدوثها ونتائجها، سأل طلابه: هل منكم من يكره الحروب؟ فأجابه أحد الطلاب: أنا أكرها يا أستاذ.

- المعلم: لماذا؟

- التلميذ: لأن الحروب تسفر عن تواريخ، ومعاهدات، وأسباب، وأماكن يصعب علينا حفظها!!!)[٦]. طرفة تعكس عدم ارتياح الطلاب لتلقي العلوم، كما أنها تشير إلى كسلهم وتراخيهم في التحصيل.

* (قال المدرس للتلميذ: إذا اتحد أول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون، فماذا ينتج؟

- التلميذ: ثالث أكسيد الكربون!!!)[٧].

---

[١] اضحك، ص٦٣.

[٢] السابق، ص٣٢.

[٣] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٦.

[٤] السابق، ص٨٦.

[٥] السابق، ص١٧٨.

[٦] السابق، ص١٨٠.

[٧] السابق، ص٣٨.

* (قال المدرس للتلميذ: سوف أسألك سؤالاً واحداً، وإذا أجبتني سأعطيك درجة... كم عدد نجوم السماء؟.

- التلميذ: بعدد شعر الرأس.

- المدرس: وكم عدد شعر الرأس؟

- التلميذ: اتفقنا على سؤال واحد!!!)(١). والطرفة فيها دلالتان الأولى أن الطالب يتسم بمستوى متأخر دراسياً، والثاني أنه ربما كان من الطلاب المعروفين بخفة الدم والروح.

* (مدرس الحساب: إذا سمعت كلمة واحدة منك في الفصل، فسوف أطردك.

- التلميذ الذي يكره حصة الحساب: يحيا العدل!!!)(٢). وفيها ما يشير إلى كراهية حصة الحساب لدى الكثير من الطلاب، وفيها أيضاً ما يعكس استهتاراً واستخفافاً بالعلم وأهله.

## طرائف الأطفال:

* (كانت الأم تلبس طفلها الصغير ثياب أخيه الكبير التي كانت تضيق عليه... وذات يوم زارتها إحدى صديقاتها، فتأملت الطفل قائلة: إن له عيني أمه، وأنف أبيه، فقال الطفل: وبنطلون أخيه!!!)(٣). والدلالة- غير براءة الطفولة- تذمر الصغير من حالة الفقر التي يعانيها أهله، والتي تجبره على ارتداء بنطلون أخيه.

* (الأم لابنها: لماذا تتشقلب هكذا؟

- الابن: لأنني شربت الدواء، ونسيت أن أخض الزجاجة!!!)(٤). ويلمح المرء في الطرفة أمرين الأول شقاوة الأطفال، والثاني براءتهم.

* (الطفلة لأبيها: أنا أستطيع أن أعد شعر رأسك يا أبي.

- الأب: هل تستطيعين حقاً؟

- الطفلة: نعم ... كيف لا أستطيع، وأنا أعرف العد حتى عشرة!!!)(٥). والدلالة الأولى أن رأس الأب لا تحتوي إلا على عدد ضئيل من الشعر، والدلالة الثانية التي حملتها الطرفة هي براءة الطفلة.

* (الأم: ما لون بيض الديك؟

- ريم: الديك لا يبيض.

---

(١) السابق، ص١٩٥.

(٢) السابق، ص٢٢٣.

(٣) اضحك، ص٥٠.

(٤) السابق، ص٤٤.

(٥) السابق، ص٤٥.

- الأم: ولماذا يا ريم؟

- ريم: لأنه زلمة!!!)[١]. إجابة تعكس أمرين: براءة، وثقة بالنفس.

* (العم: هل تستطيع أن تجمع ٥ + ٥ يا رشدي؟

رشدي: ٥ + ٥ = ١٠

- العم: أحسنت يا رشدي وخذ ديناراً.

رشدي وهو يخاطب نفسه: يا لغبائي، لماذا لم أقل له إن حاصل الجمع هو ٤٠ مثلاً!!)[٢]. والدلالة أن رشدي يتسم بالبراءة هذا من جهة، وبالمكر من جهة أخرى.

* (بدأت الطفلة الصغيرة بالدعاء قبل أن تنام قائلة: يا رب ... يا رب اجعل القاهرة عاصمة تونس.

فسألتها أمها: لماذا؟

- الطفلة: لأنني كتبت ذلك في امتحان الجغرافيا يا ماما!!!)[٣]. إجابة يقرأ المرء من خلالها براءة الأطفال وتدني المستوى الدراسي لهذه الطفلة.

* (قالت البنت لأبيها بعد عودتها من المدرسة: زميلتي في الصف كانت تغش من ورقة إجابتي، فكتبت جميع الإجابات خطأً، وأوقعتها في شر أعمالها!!!)[٤]. والدلالة أنها لئيمة ومغفلة في آن واحد.

* (سأل الطفل أباه: لم يضع الهنود الحمر على وجوههم صبغة حمراء؟

- الأب: ليستعدوا للحرب.

وبعد أيام رأي الطفل أمه تضع مساحيق حمراء على وجهها، فهرع إلى أبيه قائلاً: اهرب يا أبي ... فأمي تستعد للحرب!!!)[٥]. والدلالة أن الطفل بريء من جهة، وذكي من جهة أخرى، ذلك أنه استطاع الربط بين المساحيق الحمراء التي يضعها الهنود الحمر، وبين مساحيق أمه.

* (الأم لطفلها الصغير: ماذا تقول لوالدك قبل أن تذهب إلى النوم؟.

- الطفل: أقول له لا تنس مصروفي قبل أن تذهب لعملك!!!)[٦]. براءة وصراحة.

* (كانت الأم تشرح عمليات الحساب لطفلها: في صفكم ٢٥ تلميذاً، فإن تغيب ٢٠ تلميذاً عن الحضور، فكم تلميذاً يبقى في الصف؟

---

[١] السابق، ص٥١.

[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٦.

[٣] السابق، ص٣٨.

[٤] السابق، ص٤١.

[٥] السابق، ص٤٥.

[٦] السابق، ص١٠.

- الطفل: لا أدري، لأنني سأكون مع الغائبين!!!)[1]. والمغزى الذي تحمله الطرفة المتقدمة- بالإضافة إلى البراءة- كراهية الأطفال للمدارس، كما أنها تشير إلى صعوبة مادة الحساب، الأمر الذي يفسره وجود الأم بجوار ابنها.

* (سألت المعلمة التلميذة: ما هي أخوات كان؟

أجابت التلميذة: كان، أصبح، أضحى، صار، ليس، ما زال، ما زعلش.

فتعجبت المعلمة، وسألت: من أين جاءت ما زعلش هذه؟

قالت التلميذة: من أخوات كان لكنها من أم أخرى)[2]. إجابة تنبئ بضعف مستوى الطفلة.

* (الأم: منذ أكثر من نصف ساعة، أرسلتك لشراء الرز والسمن ... والآن عُدت ولم تشترِ شيئاً، لماذا؟

البنت: لقد نسيت ما طلبت مني.

الأم: ولماذا لم ترجعي؟

البنت: خشيت أن يضيع دوري عند البائع)[3]. والدلالة أن الطفلة بريئة لكنها مهملة.

* (الأب: إذا ضربت أختك مرة ثانية ستنام بدون عشاء.

الطفل: شكراً يا والدي على هذه الملاحظة ... في المرة القادمة سأضربها بعد العشاء)[4]. والدلالة أن الطفل يتسم بالروح العدوانية.

* (وقف الطفل عمر يبكي بكاءً شديداً أمام باب منزله، فسألته سيدة طيبة: لماذا تبكي يا ولدي؟

- الطفل: أمي امرأة قاسية جداً، ضربت القطة وطردتها من البيت.

- السيدة: يعني أنت كنت تبكي لأنك تريد الاحتفاظ بها.

عمر: لا، لا، أنا أبكي لأنني كنت أريد طردها بنفسي)[5]. وفي الطرفة ما يشير إلى رغبة الأطفال- في هذا السن- إلى الإمساك بزمام الأمور بأنفسهم، ورفضهم مشاركة الكبار.

* (أنجبت الأم طفلاً في المستشفى، فنظر الأخ الأكبر في فم أخيه المولود، وقال لأمه: أمي لقد ضحكوا عليك، وأعطوك طفلاً بدون أسنان)[6]. والدلالة الوحيدة هي براءة الطفولة.

---

(1) السابق، ص٣١.

(2) السابق، ص٧٣.

(3) السابق، ص٥٢.

(4) السابق، ص٥٢.

(5) اضحك، ص٥٨.

(6) موسوعة طرائف ونوادر، ص٤٩.

* (في حديقة الحيوان، وقف الطفل مع أمه أمام النمر، وسرعان ما صاح الطفل: ماما ... ماما، انظري النمر يلبس بيجاما مثل بيجامتي)(١). والدلالة التي تستشف هي ذكاء الطفل، وقدرته على الربط بين لون البيجاما، ولون جلد النمر.

* (المعلمة: مَنْ منكم يحب أن يذهب إلى القمر يا أطفال؟

فرفع جميع الأطفال أصابعهم ما عدا واحداً .... فقالت له المعلمة: لماذا لم ترفع إصبعك؟ ألا تريد الذهاب إلى القمر؟ فأجاب الطفل: لا، إن أمي قالت لي: عد بسرعة إلى البيت، ولا تذهب إلى أي مكان)(٢). والدلالة أن الطفل مطيع.

* (الأم: لماذا تكذب عليّ دائماً يا بني؟ ... عندما كنت في مثل سنك لم أكذب أبداً...

الطفل: إذن في أي سن بدأتِ تكذبين يا أمي؟)(٣). وفي النكتة ما يشير إلى براءة الطفل.

* (سأل الطفل جدته بلهفة:

- هل تستطيعين كسر البندق يا جدتي؟

- الجدة: لا.

- الطفل: إذن سأترك معك كيس البندق أمانة، وسأعود بعد ساعة)(٤). طفل ذكي.

* (ذهبت الطفلة الصغيرة إلى حفلة، فقدمت لها المضيفة قطعة آيس كريم، وبعد أن التهمتها، سألتها المضيفة: هل تريدين قطعة أخرى؟ فأجابت الطفلة بتردد: لقد أمرتني أمي أن أقول: لا، شكراً، وأكملت قائلة: لكنها لم تكن تعتقد أن الكمية التي تقدمونها صغيرة إلى هذا الحد)(٥). والطرفة تحمل في طياتها الدلالات التالية: أ- البراءة. ب- الصراحة. ج- الذكاء والفطنة.

* (بينما كانت الأسرة تتناول طعام الغداء، التفت الأب إلى أولاده الصغار، وقال: عندما كنت طفلاً لم يكن أبواي من الثراء، بحيث يستطيعان أن يقدما لي مثل هذه الأصناف الشهية التي ترونها أمامكم. فقال أحدهم: إذن يا بابا، يجب أن تكون مسروراً جداً لأنك موجود بيننا)(٦).

* (حشر طفل نفسه داخل مصعد، وكان يحمل بيده قطعة من الحلوى، وبعد أن ارتفع المصعد عدة أدوار، التفت الطفل إلى سيدة تقف بجانبه، وترتدي معطفاً ثميناً، وقال لها: أرجو أن تبتعدي قليلاً، لأن معطفك قد سقط فوق قطعة الحلوى وأتلفها)(٧). والدلالة أن الطفل يتسم بالجرأة.

---

(١) السابق، ص٦٤.

(٢) السابق، ص٦٧.

(٣) السابق، ص٦٧-٦٨.

(٤) السابق، ص٧٥.

(٥) السابق، ص١٢٠.

(٦) السابق، ص١٢٠.

(٧) السابق، ص٢٢٧.

## طرائف اللصوص:

* (اللص: أنا بريء يا سيدي القاضي.

- القاضي: وما قولك في أن صاحب المنزل قد رآك بنفسه وأنت تسرق النقود من خزانته؟

- اللص: إنه غير صادق، فقد كان نائماً آنذاك!!!)[1]. إجابة توحي بغفلة اللص.

* (المحامي للص: لو قدمت مذكرة عنك، وترافعت بإخلاص لبراءتك ماذا تعطيني؟

- اللص: أعطيك سيارة.

- المحامي: وما تهمتك؟

- اللص: سرقة هذه السيارة!!!)[2]. والدلالة أن بعض المحامين يتحلون بقدرة خارقة على التلاعب بالقضايا، كذا عدم مبالاة اللصوص بقيمة المسروقات مهما كانت.

* (القاضي: كيف تتجرأ وتسرق في عز الظهر؟

- المتهم: لقد احترت يا حضرة القاضي، في المرة الماضية، قلت لي: كيف تتجرأ وتدخل البيت ليلاً، أرجوك أخبرني في أي وقت تريدون أن أعمل!!!)[3]. والدلالة وقاحة اللص، وجسارته، وإصراره على الاستمرار في أعمال السرقة.

* (القاضي: كيف استطعت أن تسرق هؤلاء الناس الذين يثقون بك كثيراً؟.

- اللص بهدوء: يا سيدي، المرء لا يستطيع سرقة الناس الذين لا يثقون به!!!)[4]. طرفة تشير إلى أن اللصوص لا يفرقون في السرقة بين مَن يثقون بهم وبين من لا يثقون.

* (الأول: أنصحك أن تترك شبابيك غرفتك مفتوحة في الليل.

الثاني: لماذا؟

الأول: لأن فتحها يساعد على تنشق الهواء الجيد، وإخراج الهواء الفاسد.

الثاني: هل أنت طبيب؟

الأول: لا ... أنا لص!!!)[5]. نصائح تنم عن ذكاء اللص وفطنته.

* (سأل القاضي المتهم الذي ثبتت عليه تهمة السرقة .... ماذا قدمت للإنسانية من خدمات؟ فأجاب المتهم: إنني السبب في إبقاءكم - ورجال الشرطة - في الخدمة يا سيدي!!!)[6].

ومن دلالاتها: أ- أن القضاة ورجال الشرطة لا عمل لهم. ب- الإجابة توحي بحنكة صاحبها.

---

[1] اضحك، ص٤٦.

[2] السابق، ص٥٣.

[3] السابق، ص٤٨.

[4] موسوعة طرائف ونوادر، ص٦١.

[5] السابق، ص٧٣

[6] السابق، ص٩٠.

* (السجين الأول: لماذا جاءوا بك إلى السجن؟
- السجين الثاني: بتهمة سرق بيت، والخطأ خطئي لقد أمضيت ثلاثة أشهر أستعد، واستهلكت عشرة أرطال كبدة لأصادق الكلب الحارس، ولكنني لما دخلت البيت دست على القطة!!!)[1].
مما يعني أنه لص خائب.
* (الأول: لماذا ألقوا القبض عليك؟
الثاني: لأني عثرت على سيارة.
الأول: مستحيل .... يجب أن يكافئوك...
الثاني: لا .... لكنني عثرت عليها قبل أن يفتقدها صاحبها!!!)[2]. والدلالة أنه لص.
* (في المحكمة وقف المتهم أمام القاضي الذي سأله:
- لكن لماذا سطوت ثلاث ليالٍ متواليةٍ على نفس المخزن؟
- المتهم: سيدي، في المرة الأولى أخذت فستاناً لزوجتي، وفي المرتين التاليتين ذهبت لاستبداله!!!)[3]. والمتأمل للطرفة يقرأ فيها: أ- أن اللص على وفاق مع زوجته.
ب- أنه لص جسور . ج- لا يبالي بالأحكام والعقوبات.
* (سأل القاضي اللص بعد أن ضبط متلبساً، لماذا فتحت المحل؟
- اللص: هذه وصية والدي.
- القاضي: وما هي وصية والدك؟
- اللص: أن أفتح محلاً تجارياً!!!)[4]. نكتة اتكأت على التلاعب بالألفاظ في "أفتح"، ولكنها تدل على أنه لص يحترم تعليمات وتوصيات والده.
* (المحقق: ثبت من المعاينة، أنك سرقت النقود ولم تسرق المجوهرات.
- اللص: أرجوك يا سيدي لا تذكرني بخيبتي!!!)[5]. لص خائب، حديث عهد بالسرقة والنشل.
* (القاضي للمتهم: إنها المرة الخامسة التي أحاكمك فيها بتهمة السرقة... سأضاعف من مدة السجن هذه المرة.
المتهم: ألا يوجد تخفيض للزبائن؟)[6].
والدلالة: أ- الاستهانة والاستخفاف وعدم اللامبالاة. ب- العقوبات غير رادعة.

---

(1) السابق، ص١٢٠.
(2) السابق، ص٢٢٤.
(3) السابق، ص١٢٢.
(4) السابق، ص٥٨.
(5) السابق، ص٣٢-٣٣.
(6) السابق، ص٩.

**طرائف المتسولين:**

* (طلب شحاذ من أحد المارة إحساناً فصده قائلاً: - أنا لا أعطي شيئاً لشحاذ في الشارع. فأجابه الشحاذ: وماذا تريديني أن أعمل.... هل أفتح مكتباً للتسول!!!)(١). والدلالة أنه شحاذ سليط اللسان.

* (قالت السيدة للمتسول الذي جاء يطالبها بحسنة، أعتقد أن هذا القميص يناسبك إلا أنه يحتاج إلى بعض الإصلاحات البسيطة.

قال المتسول: لا بأس يا سيدتي، سأعود غداً حتى تكوني قد انتهيت من تلك الإصلاحات!!!)(٢). والإجابة تعبّر عن ثقل دم المتسول، كما غاب عن الإجابة أيضاً حسن اللياقة والأدب.

* (اعتاد أحدهم أن يتصدق بانتظام على أحد الفقراء، وكم كانت دهشته عندما شاهد ذلك المتسول راكباً سيارة فاخرة. وما كاد السائل يرى الرجل المحسن قادماً حتى مدّ قبعته من نافذة السيارة، سائلاً الإحسان كعادته، فقال الرجل: ماذا تفعل، هل تمارس التسول من السيارة؟

المتسول: أبدا يا سيدي، لقد ربحت هذه السيارة في اليانصيب، وأنا الآن أتسول لشراء البنزين!!!)(٣). والطرفة توحي بأن الشحاذ أصبح مدمن تسول.

* (كان أحد الأشخاص يمرُّ عصر كل يوم ليعطي أحد الفقراء ربع دينار، وذات يوم جاء فوجد طفلاً صغيراً بدلاً منه، فسأله: أين الرجل الذي يجلس يومياً في هذا المكان؟ فأجابه الطفل: اليوم استراحة.... وقد ذهب إلى السينما!!!)(٤). والدلالة أن هناك من يتسول وهو غير محتاج.

* (وقعت فتاة من عائلة محترمة في حب متسول، وطلبت منه أن يتزوجها، فقال لها: لكي تثبتي بأنك تحبينني يجب أن ترافقيني في أنحاء البلاد نتسول سوياً، وبعد تردد وافقت، وتزوجا وأمضيا سنة كاملة وهما يتسولان من باب لباب، ولما انتهت السنة قال المتسول لزوجته: لقد نجحت التجربة.... والآن لنترك التسول، ونعيش حياتنا العادية. فقالت الزوجة: حسناً، ولكن دعنا نمرّ على هذا الصف من البيوت أولاً!!!)(٥). الأمر الذي يعني أنها أصبحت مدمنة تسول.

* (طرق الشحاذ باب أحد المنازل، فخرجت إليه امرأة وأعطته بذلة قديمة، وقالت له: خُذ هذه البذلة، فقد أصبحت ضيقة على زوجي، مع أنه اشتراها في العام الماضي. فقال لها الشحاذ: هل آتي السنة القادمة فقد تضيق على زوجك سيارته!!!)(٦). طرفة تعبر عن طمع الشحاذ وسماجته وثقل دمه.

---

(١) السابق، ص٥٤.

(٢) السابق، ص٦٠.

(٣) السابق، ص١٤٦.

(٤) السابق، ص١٩٨.

(٥) السابق، ص٢٥٢.

(٦) السابق، ص١٩١.

## طرائف الحلاقين:

* (الحلاق: والآن جاء دورك تفضل.

- الزبون: شكراً، لا أنوي الحلاقة.

- الحلاق: ولماذا جلست تنتظر أكثر من نصف الساعة؟

- الزبون: جئتُ لزيارة جيرانك في الطابق الثاني من العمارة، فأطلت عليّ الخادمة، وقالت: سيدي غير موجود، بإمكانك أن تنتظره في الصالون!!!)[1]. والدلالة ثقل دم الزبون والخادمة.

* (ذهب شاب ذو شعر كثيف إلى الحلاق، الذي أخذ بعد فترة يبحث في شعر الشاب، وهو يمسك بمغناطيس، فسأله الشاب: ماذا تفعل؟ أجاب الحلاق: لا تخف .... إنني أبحث عن المقص!!!)[2]. وفي النكتة شيئان: الأول أن بعض الحلاقين يتسمون بالظرف وخفة الروح، والثاني أن شعر الزبون طويل للغاية.

* (كان الحلاق يحلق لزبونه فانكسر سن المشط، فهرع به راكضاً إلى طبيب الأسنان!!!)[3]. مما يعني سذاجة الحلاق وغفلته.

- (الزبون للحلاق: لماذا تضع صوراً مرعبة في صالون الحلاق؟

- الحلاق: كي يراها الزبون، فيقف شعره من الخوف، فيسهل عليّ حلاقته!!!)[4]. والدلالة أن الحلاق يتسم بالذكاء.

ومما يروى على ألسنة الظرفاء من أبناء الشعب الفلسطيني متناولاً الحلاقين، النكتة التالية:

* "الأصلع: لماذا تأخذ مني ١٠ شيقل عن أجرة قص الشعر؟

- الحلاق: لأن قص الشعر بـ ٥ شيقل، والخمسة الأخرى أجرة البحث عن الشعر في صلعتك!!!". إجابة توحي بقدرة الحلاق على حسن التخلص من المواقف المحرجة.

## طرائف المجانين:

* (دخل مريض مستشفى الأمراض العقلية مركزَ الشرطة قائلاً: هل عثرتم على مجنون هارب من المستشفى؟

- ما هي أوصافه؟

- قصير ونحيف .... ووزنه ٨٠ كيلو جراماً، وطوله متران ...

- كيف ذلك ....؟ قصير وطوله متران ..... ونحيف ووزنه ٨٠ كيلو؟

---

[1] اضحك، ص٣٩.

[2] السابق، ص٣٧.

[3] موسوعة طرائف ونوادر، ص٣٠.

[4] السابق، ص٣٦.

- ألم أقل لك إنه مجنون!!!)[١]. إجابة تعبر عن خبل وجنون.

* (ركب أحد المجانين قطاراً، وجلس يضحك، فسأله شخص جالس إلى جانبه: ما الذي يضحكك؟

- المجنون: لقد ضحكت على مصلحة القطارات، حيث قطعت بطاقة ذهاب وإياب، ولكنني لا أنوي العودة!!!)[٢]. والمغزى أنه مجنون حقيقي.

* (وقف مجنونان يتحدثان، وبعد برهة قال الأول: إنني يا صديقي أرى ثعباناً يخرج من رأسك، وليس أمامي سوى حل واحد، وأمسك بزجاجة وأنزلها على رأس صديقه، فما كان من الصديق إلا أن توقف لحظة يفكر، ثم قال: اضرب رأسي مرة أخرى، فإني أحس أن الثعبان يعضني!!!)[٣]. طرفة تنبئ بخبل وجنون الصديقين.

* (أخذ المجنون صورة المرحوم والده إلى المصور، وقال له:

- هل يمكنك أن تعمل لي نسخة من هذه الصورة؟

- المصور: نعم.

- المجنون: وهل يمكنك نزع الطربوش الموجود على رأسه؟

- نعم يا سيدي... ولكن هل كان في رأس والدك شعر أم أنه كان أصلع؟

- المجنون: لا أدري بالضبط.... لكن ارفع الطربوش وتأكد!!!)[٤]. إنه الجنون بعينه.

* (صديقان مجنونان يتنزهان، عندما فاجأتهما العاصفة، فأبرقت السماء، فقال أحدهما: يبدو أن أهل المريخ يلتقطون لنا صوراً تذكارية!!!)[٥].

## طرائف السذج والمغفلين:

* (السيد: هل وضعتَ الرسالة في البريد؟

- الحارس: نعم يا سيدي ... ووفرت عليك ثمن الطابع أيضاً.

- السيد: وكيف ذلك؟

- الحارس: لقد غافلت موظف البريد، وألقيت الرسالة في الصندوق بدون أن أضع عليها الطابع!!!)[٦]. والدلالة أن في الحارس غفلة ممزوجة بشيء من المكر واللؤم.

---

(١) اضحك، ص٦٥.

(٢) موسوعة طرائف ونوادر، ص٥٧.

(٣) السابق، ص٢٥٤.

(٤) السابق، ص١٦٢.

(٥) السابق، ص١٩٣.

(٦) اضحك، ص٤٨.

* (قال الأول لصديقه: لقد ضحكت أمس على الموظف الذي يبيع تذاكر السينما.
- كيف؟
- اشتريت تذكرة ... ولم أدخل السينما!!!)[١].
* (دخل رجل إلى المطعم غاضباً وهو يقول: من فيكم اسمه وليد؟
فقال رجل من بين الحاضرين: أنا وليد.
فأخذ الرجل يكيل له اللكمات حتى أدماه، وخرج.
فانفجر وليد ضاحكاً، فسأله الجالسون: لِمَ تضحك؟
فقال: لقد خدعته .... فأنا لست "وليد"!!!)[٢].
* (وزّن رجل نحيف نفسه فوجد أن وزنه ١٢٠ كيلو جرام، فتعجب كثيراً، وأخيراً تذكر أنه يحمل في جيبه صورة صديقه السمين جداً!!!)[٣].
* (اشترى رجل ببغاء ليسلي بها زوجته لأنها وحيدة، وفي اليوم التالي سألها: كيف الببغاء؟ فقالت الزوجة: لقد كان طعمها لذيذاً جداً!!!)[٤]. زوجة مغفلة حقاً.
* (الطبيب: تبدو صحتك اليوم جيدة.
- المريض: لقد اتبعت التعليمات المكتوبة على زجاجة الدواء بدقة تامة.
- الطبيب: وما هي تلك التعليمات؟
- المريض: احفظ الزجاجة مغلقة تماماً!!!)[٥]. غفلة نادرة.
* (اللص للشرطي: أتسمح لي بالذهاب لأشتري علبة سجائر؟
- الشرطي: أتحسبني غبياً! هات النقود ... وأنا بأذهب!!!)[٦]. شرطي شديد الغفلة.
* (مرّ رجل قروي في المدينة، ووقف أمام عمارة مرتفعة وسأل أحد المارة:
- ما هذا البناء؟
- إنه ناطحة سحاب.
- القروي: ومتى يبدأ النطح؟!!!)[٧]. قروي ساذج إلى أبعد الحدود.

---

[١] السابق، ص٥٦.
[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص١١.
[٣] السابق، ص١١.
[٤] السابق، ص١١.
[٥] اضحك، ص٦٦.
[٦] السابق، ص٤٥.
[٧] موسوعة طرائف ونوادر، ص٥٤.

*(مرَّ رجل بآخر لدغته عقرب، فسأل المصابُ: أتعرف للدغة دواءً؟. فقال الرجل: نعم "العياط" حتى الصبح!!!)[١]. إجابة توحي بسذاجة قائلها.

* (بينما كان رجلان، يطالعان كتاباً، وجدا فيه بعض الصفحات البيضاء. فسأل الأول: لمن هذه الصفحات؟ فأجاب الآخر: لا بد أنها للذين يعرفون القراءة!!!)[٢].

* (لاحظ أحدهم أن صديقه يرتدي في رجله اليمنى حذاءً يختلف لونه عن الحذاء الذي ينتعله في رجله اليسرى، فسأله عن السبب، فأجاب: كي أعرف الرجل اليمنى من الرجل اليسرى!!!)[٣]. إجابة تفوح منها رائحة السذاجة.

* (الأول: أود أن أبعث برسالة إلى صديق لي، لكنني لا أعرف عنوانه، فماذا أفعل؟ الثاني: بسيطة ... اكتب له رسالة، واطلب منه العنوان!!!)[٤]. غفلة فاقت كل الحدود.

* (ذهب أحد الفلاحين إلى المدينة، تقدم منه الجرسون، وقدم له قائمة الطعام، فأشار بإصبعه إلى واحدة مما تحتويها القائمة، وقال: أعطيني من هذا.

- الجرسون: متأسف، هذا غير ممكن.
- الفلاح: ولماذا؟
- الجرسون: لأنه اسم صاحب المطعم!!!)[٥]. فلاح مغفل.

* (كان في واحد عنده حنفية "بتنقّط"، راح وأحضر لها دواءً ضد الإسهال!!!)[٦].

* (ركب فلاحان القطار، وبعد مسيرة بضع ساعات، قال الأول لرفيقه: عجيب، كيف لا يضل القطار طريقه؟ فأجاب الثاني: يا ذكي ألا ترى أنه يقف كل ساعة ليسأل عن الطريق!!!)[٧].

* (عاد شخص إلى شباك التذاكر للمرة الثالثة، وكان في كل مرة يشتري تذكرة جديدة، ولما سأله الموظف عن سر شرائه التذاكر على دفعات. قال: إن هناك عند المدخل شخصاً مشاكساً، يأخذ مني التذكرة ويمزقها نصفين!!!)[٨]. والدلالة- التي لا شك فيها- أنه رجل مغفل.

---

[١] السابق، ص٥٤.

[٢] السابق، ص٦٤.

[٣] السابق، ص٧٩.

[٤] السابق، ص٨٤.

[٥] السابق، ص١٨٤-١٨٥.

[٦] اضحك، ص٣٥.

[٧] موسوعة طرائف ونوادر، ص٨٨.

[٨] السابق، ص٩٦.

**طرائف البخلاء:**

* (أراد أحدهم شراء سيارة، فراح يسأل أسئلة جعلت صاحب معرض السيارات يكاد ينفجر، وأخيراً قال الرجل لصاحب المعرض: - كم تستهلك هذه السيارة من الوقود؟

- صاحب المعرض: ملعقة واحدة.

- الرجل: ملعقة شاي أم ملعقة أكل!!!)[1]. والذي يفهم منها أنه رجل شديد البخل.

* (جلس أحدهم يشكو لزميله تبذير زوجته وراح يقول: في الصباح تقول لي أعطني نقوداً، وفي المساء تقول أعطني نقوداً، وعند الاستيقاظ من النوم، لا تهدأ تطلب مني نقوداً.

- زميله: وهل تعطيها؟

- الرجل: لا، لأنها مبذرة، أين تذهب بكل هذه النقود؟!!!)[2]. بخل .... تقتير ... شح- هي كل ما في الطرفة.

* (تأخرت الزوجة في العودة إلى منزلها، فوقف الزوج يقول لصديقه:

- لقد تأخرت كثيراً، ربما اُختطفت، أو صدمتها سيارة، أو لعلها وقفت تتفرج على واجهة أحد المحلات التجارية، وهذا ما يؤرقني!!!)[3]. ومنها يستنبط المرء دلالتين: أ- أن الرجل غير عابئ بحياة زوجته. ب- أنه رجل بخيل.

* (قدمت الأم لزيارة ابنتها في بيتها، ولما همت بالانصراف، أعطت حفيدتها الصغيرة ورقة مالية لتشتري بها بعض الحلوى، فأخذت الطفلة النقود ولم تقل لجدتها أي شيء، فنهرتها أمّها قائلة: أتذكرين ماذا أقول أنا لوالدك عندما يعطيني نقوداً؟ قالت الطفلة: تقولين له هذه فقط!!!)[4]. والدلالة أن الزوج رجل بخيل، لا يعطي زوجته ما يكفي من النقود. مع ملاحظة جنوح الطرفة إلى الجانب التعليمي، حينما تلفت نظر الطفل إلى أهمية ترديد عبارات الشكر والامتنان لكل مَن يقدم له شيئاً جيداً.

* ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني حول ظاهرة البخل والبخلاء، ما قاله ظريف فلسطيني: "تزوج أحد البخلاء يوماً، فذهب لقضاء شهر العسل "لحاله" ".

وكذلك "مرض صاحب المحل التجاري مرضاً ثقيلاً، فتجمعت أسرته حوله، ولما أفاق، قال: أين زوجتي؟ فردت الزوجة بأنها تقف بجواره، وسأل عن أولاده: فأجابوا بأنهم لم يفارقوه لحظة، وعندها قال مذهولاً: طيب والمحل "مين قاعد فيه"؟ ".

---

[1] السابق، ص٥٤.

[2] السابق، ص١٤٢.

[3] السابق، ص١٤٣.

[4] السابق، ص١٥٨.

* (سأل أحدهم غنياً بخيلاً: ماذا ستفعل بكل هذه الأموال التي تكتنزها؟
البخيل: هات عشر ليرات لأجيبك)[١].

**طرائف الخدم:**

* (طلب أحد الأثرياء من خادمه، أن يسرج له الحصان، فجاء الخادم ووضع السرج بالمقلوب، فسأله الثري: لماذا وضعت السرج بالمقلوب؟ أجاب الخادم: لأنك لم تقل لي في أي اتجاه تريد أن تذهب)[٢]. والدلالة أنه خادم مغفل.

* (الخادم: إن سيدي غير موجود في البيت الآن.
الزائر: ومتى سيعود؟
الخادم: انتظر قليلاً حتى أسأله)[٣]. خادم ساذج.

* (السيدة: هل جددت الماء في حوض السمك؟
الخادمة: كلا يا سيدتي، فالسمك لم يشرب الماء بعد)[٤]. الأمر الذي يعني أنها خادمة بلهاء.

* (السيدة: انظري إلى الطاولة، ألا ترين أنها مغبرة؟
الخادمة: وما ذنبي؟ لقد عملت عندكم منذ ثلاثة أسابيع فقط)[٥]. خادمة كسولة ورعناء.

* (طلبت السيدة من الخادمة الجديدة كوباً من الماء، فأحضرت الخادمة كوب الماء، وكانت تحمله بيدها، فقالت لها السيدة: إياكِ أن تُحضري الماء في المرة القادمة. بهذا الشكل، ضعيه على صينية. وفي اليوم التالي طلبت السيدة ماءً، فأحضرت الخادمة الصينية مملوءة بالماء، وسألت سيدتها هل أحضر لك ملعقة، أم أنك تريدين الشرب من الصينية مباشرة؟؟)[٦]. صنيع يوحي بسذاجة صاحبه.

* (السيدة: هل عبأتِ الملاحة يا آمنة؟
آمنة: وكانت -حديثة عهد بالخدمة في المنازل- لم أنتهِ بعد، لأنه من الصعب إدخال الملح فيها، لأن ثقوبها صغيرة)[٧].

* (الرجل غاضباً: أخبرتك أن توقظني الساعة السادسة صباحاً، والساعة الآن الثامنة!.
الخادم: نعم يا سيدي، ولكني حينما جئت أوقظك الساعة السادسة وجدتك نائماً)[٨]. خادم أكثر من مغفل.

---

[١] الجيل المؤمن، نشرة شهرية تصدر عن الكتلة الإسلامية، العدد ١٦، بدون تاريخ، ص٥.
[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص٧.
[٣] السابق، ص١٩.
[٤] السابق، ص٦٥.
[٥] السابق، ص٩٢.
[٦] السابق، ص١٢٦.
[٧] السابق، ص١٥٤.
[٨] السابق، ص٢٠٠.

**طرائف الصيادين:**

* (عندما وصل الصياد إلى البحر، تذكر أنه نسي الطعم في المنزل، فكتب على ورقة "طُعم" ووضعها بالسنارة، ورماها في الماء، فلما غمزت، شدها ليجد الورقة مكتوب عليها "سمكة")[1]. صياد كسول وسمكة ذكية.

* (دخل الرجل مسروراً، وهو يحمل سلة مليئة بالسمك الذي اصطاده، فاستقبلته زوجته بفتور، ولما بدأت في تنظيف السمك، قالت له: ألا تستطيع أن تكون كالصيادين الآخرين الذين لا يصطادون شيئاً أبداً)[2]. والدلالة أنها امرأة كسولة.

* ومما جاء على ألسنة الظرفاء من أبناء الشعب الفلسطيني حول صيادي الأسماك، النكت التالية (تمكن أحد الصيادين، من اصطياد سمكة كبيرة، لكنه ما لبث أن أعادها إلى البحر، ثم اصطاد سمكة كبيرة أخرى، غير أنه قام بإلقاءها في البحر أيضاً، وفي المرة الثالثة اصطاد سمكة صغيرة الحجم، ففرح بها كثيراً، ووضعها في كيس، وهنا سأله رجل كان يقف على الشاطئ، ويراقبه: لماذا ألقيت السمكتين الكبيرتين في الماء، وأبقيت الصغيرة؟ فأجاب الصياد: لأن المقلاة في الدار صغيرة، لا تتسع للسمك الكبير). صياد بينه وبين الذكاء عداوة.

* (كان أحد الصيادين، يجلس على ضفة نهر، ويزاول مهنة الصيد، وكان هناك شخص يراقبه، وبعد قليل تقدم الرجل من الصياد، وسأله: هل اصطدت شيئاً؟ فقال الصياد: لقد اصطدت ثلاثاً وأربعين سمكة.

فقال الرجل: أظن أنك لا تعرف مَنْ أنا، أنا مكلف بحراسة هذه المنطقة، ومنع الناس من الصيد فيها.

فرد الصياد: وأعتقد أنك أيضاً لا تعرفني، فأنا أكبر كذاب في هذه الناحية). والدلالة ذكاء الصياد وفطنته وسرعة بديهته.

**طرائف السائقين:**

يروى في المجتمع الفلسطيني الكثير من الطرائف الهادفة التي تتناول - بالغمز والتعريض - سائقي السيارات عموماً والأجرة على وجه الخصوص، ومنها (تنبه سائق التاكسي إلى أن الراكب يضع سماعة في أذنه، فقال له: أعتقد أن ضعف السمع شيء مزعج يا سيدي، ثم هز السائق رأسه وقال: على كل حال لكل امريء منا مشاكله ومتاعبه، فأنا - على سبيل المثال - لا أكاد أرى إلا على بعد بضعة أمتار). تعريض بالسلطات المسئولة عن التراخيص التي تسمح لأمثال هؤلاء بالقيادة، وقتل الأبرياء.

---

(1) السابق، ص٦٣.

(2) السابق، ص٩٣.

* (شرطي المرور: إنكِ يا آنسة، تسيرين بسرعة مئة كيلو في الساعة. الآنسة: وهذا يعني أنني سائقة سيارة ماهرة، حيث لم أتعلم السياقة إلا منذ أسبوع فقط). والنكتة تنال من السائقين المتهورين الذين يتسببون في قتل الناس ودمار الممتلكات.

* (شرطي المرور: لماذا تسير بسرعة ١٤٠ كم في الساعة؟

السائق: لأن الفرامل معطلة، ولذا فإني أريد أن أصل إلى البيت بأقصى سرعة، قبل أن تقع لي حادثة طرق). والدلالة أنه سائق متهور وغير مسؤول.

* (كان رجل يقود سيارته بسرعة ١٢٠ كم في الساعة، فأمره شرطي المرور بالتوقف، وهنا سأل السائق الشرطي: هل كنت أقود سيارتي بسرعة؟ فرد الشرطي: لا .... ولكنك كنت تطير على ارتفاع منخفض). الأمر الذي يعني أنه سائق متهور، لا يلتزم بأنظمة السير وقوانين المرور.

* (السائح لسائق "الباص": هل التدخين مسموح في الباص؟

السائق: لا.

السائح: ولكني أرى أعقاب السجائر منتشرة في أرضية الباص!

السائق: لقد رماها الأشخاص الذين لا يوجهون إليّ أسئلة). طرفة تنال من سائقي الباصات العامة الذين لا يهتمون بتنفيذ اللوائح والقوانين.

## طرائف أخرى:

* (رأى أحدهم رجلاً أعمى، وفي يده مجلة، فقال له: أنت أعمى لا تستطيع القراءة. فأجاب الأعمى: صحيح ولكني أنظر إلى الصور!)[١]. وللطرفة دلالتان: الأولى: أن بعض مكفوفي البصر - وعلى سبيل التعويض- يلجأون أحياناً للإمساك بالكتب والمجلات. والثانية: أن هذا الكفيف مغفل.

* (مرَّ رجل على فلاح، وسأله: ماذا تزرع؟ فأجاب الفلاح: رز وبصل وعدس.

الرجل: ما تقول مجدرة وخلصني)[٢]. علماً بأن المجدرة إحدى الأكلات الشعبية الفلسطينية.

* (لماذا يلبس أهل طولكرم "جزمة" حين يتكلمون في الهاتف؟

الجواب: كي لا يُخبصوا في الكلام)[٣]. الأمر الذي يعني - وبحسب الطرفة- أن أهل هذه المدينة متسرعون في ردودهم، متهورون في إجاباتهم، وقد أنجبت هذه المدينة العديد من الأدباء والمجاهدين.

---

[١] مجلة اضحك، ص٤٤.

[٢] السابق، ص١١.

[٣] السابق، ص٥١.

* (اصطحبت أم ولدها البالغ من العمر ست سنوات في زيارة لإحدى صديقاتها، وبعد فترة قدمت صاحبة البيت برتقالة إلى الولد الصغير... فتأملها دون أن يقول شيئاً، فالتفتت إليه أمه قائلة: ماذا تقول للسيدة اللطيفة حينما تعطيك برتقالة؟ فأجاب الطفل: أقول قشريها)[١]. وفي الطرفة جانبان الأول: عفوية وبراءة وصراحة الأطفال، والجانب الآخر: حرص الأمهات على تعليم أبنائهن قواعد الأدب والسلوك.

* (حكم القاضي على المتهم بخمس سنوات، وبعد النطق بالحكم، انفرد القاضي بالمتهم، وقال له: هل يمكنك تأجيري منزلك أثناء فترة غيابك؟)[٢]. طرفة تعبر عن أزمة السكن.

* (وقف المدرس يسأل أحد التلاميذ: قل "يا صلاح" إذا كان في جيب بنطلونك الأيمن ٢٠ ديناراً، وفي جيبك الأيسر ٣٠ ديناراً، فما هو مجموع ما لديك؟ أخذ صلاح يفكر، ثم قال للمدرس: بالتأكيد يا أُستاذ البنطلون ليس لي، وإنما هو لشخص آخر)[٣]. نكتة توحي بحالة الفقر التي يعيشها التلميذ.

* (روى أحد الأطباء الشعبيين، الذين يمارسون كتابة "الحجاب" في فلسطين، أن امرأة جاءته تكره زوجها لأنه تزوج من غيرها، وطلبت منه أن يعمل لها سحراً أو حجاباً، كي يموت زوجها. فقال لها: تدفعين عشرين ديناراً، عشرة دنانير فوراً، وعشرة فيما بعد، فوافقت المرأة، وعمل لها الحجاب، وبعد أسبوع مات الزوج بالصدفة، ولم ترجع المرأة لتدفع له الدنانير الباقية، وبعد مدة رآها في عرس، فقال لها: أين الباقي؟ فقالت: لا أريد دفعها لك، فقال لها: إما أن تدفعي، وإما أن تلحقي زوجك بعد أسبوع، فخافت ودفعت)[٤]. طرفة فيها انعكاس لبعض العادات السيئة الباقية في المجتمع كالشعوذة، والسحر، والإيمان بأقوال العرافين.

* (المسجون الأول: لقد حكم عليّ القاضي بالسجن لمدة ٩٨ سنة.

المسجون الثاني: وأنا حكم عليَّ لمدة ٨٦ سنة.

المسجون الأول: إذن انقل سريرك إلى جوار الباب، لأنك ستخرج قبلي)[٥]. طرفة يقرأ المرء فيها استهانة المساجين بطول الأحكام.

* (لاحظ السجان أن أحد السجناء لا يزوره أحد، فناداه وقال له: إن أحداً لم يزورك منذ دخولك السجن، ألا يوجد لك أهل؟ فرد المسجون لي أهل وأصدقاء وأقارب ولكنهم جميعاً في السجن)[٦]. أسرة بكاملها خارجة على القانون.

---

[١] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٤٧.

[٢] السابق، ص٢٩.

[٣] السابق، ص١٥١.

[٤] النكتة العربية، ص١٠٨.

[٥] موسوعة طرائف ونوادر، ص٦٦.

[٦] السابق، ص١٣٢.

* (دخل السكران إلى بيته، ونظر في المرآة، فشاهد صورته، فقال: مرحباً ... مَنْ أنــتَ يــا أخ؟)[1]. والدلالة أنه ليس في كامل وعيه.

* (الزائر: هل تذهب إلى المدرسة يا شاطر؟

الطفل: لا، لأني لا أعرف القراءة والكتابة)[2]. إنها البراءة الصادقة حقاً.

---

[1] السابق، ص١٩٠.

[2] اضحك، ص٣٩.

## الفصل الثالث: البنية الشكلية (مقومات الطرفة)

أولاً: السرد والحوار.

ثانياً: الإيجاز والحذف.

ثالثاً: السخرية.

رابعاً: الرفض.

خامساً: المفارقة.

## أولاً: السرد والحوار:

تقوم الطرفة على السرد والحوار، والسرد هو الحكي أو الرواية، فالشخص حينما يسمع حكاية من راوٍ، أو ساردٍ، فإنه يحفظها، ويسجلها في ذاكرته، وحينما يأتي دور سردها، أو حكايتها لمتلقٍ آخر، فإنه يرويها له أو يسردها، وعليه فالسارد هو الحاكي أو ناقل الحكاية أو الراوي.

وإذا كان تراثنا الأدبي العربي يعتز بالشعر، فإنه لا يكاد يلتفت إلى فنون السرد على تنوعها، وكثرتها، بل يُلمح- أحياناً- تهميش للإنتاج السردي، ذلك لأنه يحكي وقائع متخيلة غير حقيقية، مما يجعله- في نظر البعض- يقوم على الأكاذيب، وبالتالي تكون الفنون السردية قد ظُلمت، وتم الاعتداء على الإنتاج السردي التراثي، سواء أكان ذلك بقصد أو بغير قصد، يقول د. "الطاهر مكي" (وقد نما القصص بسرعة لأنه يتفق مع ميول العامة، وأكثر القصاص من الكذب، حتى رُوي أن الإمام "علياً" طردهم من المساجد، ولم يستثنِ منهم غير "الحسن البصري"، لتحرّيه الصدق في قوله)[1].

## شبكة السرد:

إن الحديث عن السرد يقود- حتماً- إلى الحديث عن باقي أعضاء شبكة السرد، مثل السارد والمسرود والمسرود له والسردانية والسرديات.

يصف هذه الشبكة د. "عبد المالك مرتاض" بأنها (شبكة من المصطلحات والمفاهيم المتداخلة المتمايزة، والمتقاربة المتباعدة في الوقت ذاته)[2]. علماً بأنه يعسر تحديد الفوارق -من ناحية الدلالة- بين هذه المفاهيم المتداخلة مع بعضها البعض بشكل قطعي.

## السرد:

ورد في كتاب د. أيمن بكر الموسوم بـ "السرد في مقامات الهمذاني" تعريف السرد بأنه: (المحاكاة السيميوطيقية لسلسلة من الأحداث المترابطة زمنياً وعليا بطريقة ذات مغزى)[3]. وأما "جيرارجنيات" فقد وضع له تعريفاً أيسر حينما قال إنه (عرض لحدث، أوسلسلة من الأحداث، واقعية أو خيالية بواسطة اللغة، وبخاصة اللغة المكتوبة)[4]. ولكن تبقى أمثال هذه

---

(1) أيمن بكر: السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨، ص٧.

(2) د. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠، ص٢٤٦.

(3) السرد في مقامات الهمذاني، ص٣٤.

(4) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص٢٥٢.

التعريفات ناقصة وغير مكتملة، فالتعريف الثاني يتجاهل السارد والشخصيات والسرد الشفوي. وعالَم السرد له خصوصية وحدود، كما أن له معنيين أحدهما عام والآخر خاص، ويمكن تسريع السرد وذلك (عبر تقديم خلاصة فترة زمنية في أسطر قليلة، وذكر أهم ما حدث فيها، كما يمكن تسريعه- بشكل أكبر- عبر القفز عن فترة زمنية محدودة، دون الإشارة إلى ما حدث فيها، وتُسمى هاتان التقنيتان الخلاصة والثغرة)[١]. كما يمكن جعله بطيئاً (بحيث يصبح هناك توازن بين زمن السرد وزمن القصة)[٢].

**السارد:**

هو الراوي أو ناقل الحكاية وملقيها، وإذا كان هناك من نقاد الرواية الغربيين أمثال "ولفجانغ قيصر" مَن لا يميز بين السارد والمؤلف فيجعلهما شخصية واحدة، فإنه في ظني يمكن التمييز بينهما ككائنين مختلفين لا يمكن أن يتم اللقاء بينهما، فالمؤلف كائن إنساني، مكون من عظم ولحم ودم، وأما الثاني فهو كائن ورقي، ولكن لكل دوره، والمؤلف هو الذي يكتب ويسجل ويبدع ويخترع ويقدم إبداعه للمتلقي، في خطاب مكتوب، وأما السارد فإنه يظهر- أكثر ما يظهر- في المسرودات الشفوية، أما السرد في المكتوبات كالرواية والقصة فإنه- أعني السارد- يندمج كلياً في المؤلف الذي وحده يكتب ويحكي ويسرد، وبعبارة أوضح فإنه في الأعمال السردية الشفوية يغيب المؤلف فيحل محله السارد، بينما في الأعمال الكتابية، هناك تحفظ على وجود السارد- خاصة في العمل السردي الذي يتم باستخدام ضمير الغائب- لأن المؤلف في هذه الحالة هو الذي يسرد بنفسه مباشرة ودون أن يكون بينه وبين القراء أو المتلقين أي واسطة، وفي المرويات الشفوية، فإن السارد حين يحكي فإنه لا يحكي حكاية من إبداعه، أو من نسجه، وإنما هو يروي ما سمعه من رواية آخر، ولأن ما يرويه لا يمكن أن يُؤدى في فراغ، بل لا بد له من مسرود له أو لهم، وبالتالي فالسرد هنا يقوم على ثلاثة أطراف، أولها السارد، وثانيها السرد، وثالثها المسرود له. بينما السرد في الأعمال المكتوبة -كالرواية مثلاً- يقوم على ثلاثة أطراف مغايرة هي: المؤلف والسرد والمسرود له. وهكذا يكون المؤلف هو السارد في المكتوبات، بينما في المرويات الشفوية يغيب المؤلف فيحل بدلاً منه السارد، وقد أشار إلى ضرورة التفرقة بين السارد والمؤلف د. أيمن بكر في قوله (وكذلك يجب تأكيد الفصل بين المؤلف الضمني الذي لا يظهر صوته نهائياً في النص والسارد، إذ إن

---

[١] د. يوسف حطيني: مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩، ص١٧١.

[٢] السابق، ص١٧١.

الأقوال والأحكام لا يتلفظ بها المؤلف بل السارد)[1]. وهناك نصوص سردية تشتمل على أكثر من راوٍ، حيث يوجه كل منهم خطابه إلى مروي له مختلف، وأما وظيفة السارد فتكمن في (أدائه لوظيفة سردية يسميها "دولوزول" وظيفة التصوير، وتتحد هذه الوظيفة دائماً مع وظيفة المراقبة أو وظيفة الإدارة، لأن السارد يراقب البنية النصية، بمعنى أنه قادر على إدراج خطاب الشخصيات ضمن خطابه الخاص، إضافة إلى هاتين الوظيفتين الإلزاميتين، فالسارد حر في أداء أو عدم أداء وظيفة التأويل الاختيارية أي في التعبير أو عدمه عن موقف تأويلي أيدلوجي)[2].

## أشكال السرد في التراث القصصي العربي:

عرفت لغة الضاد - كغيرها من اللغات الكبرى- طرائق سردية متنوعة، وأكثر الضمائر التي استخدمها العرب في سرودهم- منذ العهود المبكرة- ضمير الغائب، وأول هذه الطرائق:

١- **عبارة "زعموا"**: ويجوز أن يكون "عبد الله بن المقفع" هو أول من استخدم هذه الطريقة السردية عندما ترجم كتاب "كليلة ودمنة"، من اللغة الهندية إلى اللغة العربية.

٢- **مصطلح السرد في فن المقامات**: حيث كان معظم مؤلفي المقامات يبتدئون السرد بإحدى العبارات المعروفة مثل "حدثنا" أو "حدَّث" أو "حكى" أو "حدثني" وغيرها.

٣- **مصطلح السرد الألفلي**: نسبة إلى حكايات "ألف ليلة وليلة"، حينما كانت "شهرزاد" تبدأ الشريط السردي بالعبارة المشهورة" "بلغني أيها الملك السعيد".

٤- **مصطلح السير الشعبية**: مثل "سيرة بني هلال"، وكان السارد يستخدم عبارة "قال الراوي"، ويتصل بالعبارة السابقة عبارة شعبية معروفة في السرد الشفوي، وهي عبارة "كان يا ما كان في قديم الزمان".

## أشكال السرد الروائي:

هناك أكثر من ضمير يمكن استخدامه في السرد، مثل ضمير الغائب، وضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب هو أكثر هذه الضمائر استعمالاً، سواء أكان في السرد الشفوي، أو المكتوب، وهو سيد الضمائر السردية الثلاثة، وأقربها فهماً لدى القرّاء، وكان استخدم أولاً لدى السراد الشفويين، ثم شاع استعماله بعد ذلك لدى السرّاد الكتّاب، وأهم ما يميز هذا الضمير عن غيره من الضمائر أنه يشبه المتراس الذي يحمي مَن يقف خلفه، لذا كان بإمكان مَن يستعمله من الروائيين تمرير ما يريد من أفكار وآراء، دون أن يُلحظ هذا التدخل

---

[1] السرد في مقامات الهمذاني، ص٤٦.

[2] السابق، ص٤٦-٤٧.

من قبل القراء، ثم لأنه يجنّب صاحبه الوقوع في فخ "الأنا"، كذا فإنه يحمي مَن يستخدمه من إثم الكذب. وأما ضمير المتكلم "أنا" فإنه يأتي في المركز الثاني من حيث الأهمية السردية، وشيوع الاستعمال، ويتسم هذا الضمير بعدة إيجابيات منها أنه (يجعل الحكاية المسرودة مندمجة في روح المؤلف فيذوب الحاجز الزمني الفاصل بين زمن السرد وزمن السارد، كما يجعل هذا الضمير المتلقي يلتصق بالعمل السردي، ويتعلق به أكثر، متوهماً أن المؤلف هو إحدى الشخصيات التي تنهض عليها الرواية)[١]. وأما ضمير المخاطب "أنت" فهو أقل هذه الضمائر شيوعاً واستعمالاً، وهو أحدثها نشأة في الأجناس السردية الحديثة، وإذا كان هناك من النقاد الغربيين مَن يعتبر أن الروائي "بالزاك" هو أول مَن استخدم هذا الضمير في إحدى رواياته، فإن الدلائل كلها تشير إلى أن العرب كانوا أول من استعمله في حكايات "ألف ليلة وليلة".

## الحوار:

أكثر مشكلات الرواية شبهاً وقرباً من السرد، بل إن هناك مَن لا يفرقون بين الحوار والسرد، وهو عنصر من عناصر التعبير، وتقديم أحداث الرواية وتصوير الشخصيات، والكثير من الكتّاب يتخذونه أداة للكشف عن سلوك الشخصية وطبيعتها. وكلما حاول القاص أن يفرض آراءه على المواقف كلما فقد حواره حيويته، وحرارته، والكاتب الماهر هو الذي (لا يستغل الحوار لفرض أفكاره على الشخصية، ولكنه يكشف به عن مستواها النفسي العقلي والشعوري)[٢]. ولا تقتصر أهمية الحوار على القصة القصيرة، بل تمتد إلى القصة المطولة، وتتجلى أهميته في الرواية في (التعبير عن آراء المؤلف التي يضعها على ألسنة الشخصيات، وأهم غرض يؤديه في القصة القصيرة هو تطوير موضوعها الموصول بها إلى النهاية المنشودة)[٣]. وهناك أغراض ثانوية أخرى للحوار منها: (التخفيف من رتابة السرد، والمساعدة في رسم شخصيات القصة وتصوير مواقفها، كما أنه يضفي على القصة تلك اللمسة الحية التي تجعلها تبدو أكثر واقعية في نظر القاريء)[٤].

ومن أهم المشاكل التي لامست السرد والحوار: هي مشكلة ازدواجية اللغة، أي استخدام الفصحى والعامية في السرد والحوار لدى كتّاب القصة والمسرحية، وهذه المشكلة لم تجد حلاً لها حتى اليوم، وانقسم المعنيون بشأنها إلى قسمين، الأول يؤيد استخدام العامية في الحوار،

---

[١] في نظرية الرواية، ص١٨٤.

[٢] د. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية في مصر، دار المعارف، ط٣، القاهرة (بدون تاريخ)، ص٣٩٦.

[٣] حسين القباني: فن كتابة القصة، دار الجيل، ط٣، بيروت ١٩٧٩، ص٩٤.

[٤] السابق، ص٩٤-٩٥.

ويسوق في ذلك مبرراته التي يراها- من وجهة نظره- مقنعة، والآخر يحذر من مغبة هذا الاستخدام خوفاً على اللغة العربية، ويعدّ الكاتب "محمد حسين هيكل"- صاحب رواية "زينب"- (أول من مهد الطريق لمن بعده لاستخدام العامية لضرورة فنية، ففتح بذلك أبواب مشكلة حية بالنسبة لأدبائنا ومفكرينا حتى اليوم، وما زال أنصار استخدامها يحتجون بالضرورة الفنية ويقف معارضوها مع السلامة اللغوية)[١].

ويسوق أنصار استخدام العامية في الحوار، وجزء من السرد، حجة الأمور الفنية التي تحمل الكاتب حملاً على هذا الاستخدام من أجل الإيهام بالواقعية، وكي يشعر القارئ بأنه موقف طبيعي غير مفتعل ولا مفروض، ويمكن له أن يحدث في الحياة. وكان د. "محمد غنيمي هلال" من أشد المعارضين لهذا الاستخدام إذ يقول (ففي هذه الدعوة إضعاف للعربية في أخص خصائصها دون إغناء للعامية في شيء)[٢]. كذلك "حفني ناصف" الذي بين الأخطار الشديدة التي تتهدد الأمة إن هي أقدمت على تبني العامية بدلاً من الفصحى حيث يقول (إن العامية لا تمتلك من أسباب البقاء ما يكفل لها المقاومة أمام سطوة اللغات الأجنبية، لغات المستعمرين الذين يملكون وسائل القوة المختلفة)[٣].

وإذا كانت العامية قد ولجت ميدان القصة، فقد ولجت ميدان المسرحية أيضاً، وذلك تحت مبرر مناسبة مستوى الرواد وتلبية حاجاتهم ورغباتهم، مما دعا الأدباء إلى محاولة إيجاد حل ملائم لهذه المشكلة، وانتهوا إلى أن الحل يكمن في محاولات ثلاث هي:

الأولى: في استخدام أكثر من لغة في العمل الواحد، مع ضرورة مراعاة شخصيات المتحدثين، وطبقاتهم الاجتماعية.

والثانية: في استخدام العامية في الحوار المسرحي دون الحوار القصصي.

والثالثة: استعمال الفصحى دون معارضة استعمال بعض الكلمات العامية، أو التعبيرات الشعبية العامية في الحوار.

## السرد والحوار في الطرائف:

ينوب السارد مناب المؤلف في المحكيات الشفوية، وذلك لغياب المؤلف، ويظهر السارد- بشكل واضح- في الطرائف، والأساطير، والخرافات، والحكايات التي كانت الشعوب تتناقلها شفوياً قبل أن تُعرف المطابع. ولأن الطرائف مجهولة المؤلف، فإن دور السارد يصبح رئيساً حيث يتولى بنفسه سرد وقائع وأحداث الطرفة، حيث يمكنه الزيادة والنقصان، فلا رقيب ولا

---

[١] تطور الرواية العربية في مصر، ص٣٣٧.

[٢] د. إبراهيم السعافين: تحولات السرد، دار الشروق، عمّان ١٩٩٦، ص٧٧.

[٣] السابق، ص٧٠.

حسيب، عليه وبالتالي فليس شرطاً أن يروي الطرفة كما سمعها تماماً، ذلك أن من حقه التصرف في روايته شريطة أن يحافظ على جوهرها، وإذا كان أجدادنا قد استخدموا في طرائفهم السردية عبارة "زعموا" و"بلغني" و"حدثني" "وقال الراوي"، فإن السّراد يستخدمون- أكثر ما يستخدمون- عبارات شائعة- على الأقل في الأدب الفكاهي الفلسطيني- مثل "كان في زمان واحد"، و"مرّة"، و"في"، و"كان"، و"واحد" و"قال" أو غيرها من الكلمات والعبارات المتداولة في هذا المضمار، وتكاد تكون هي ذات العبارات المستخدمة في سرد الطرائف المصرية، ولنأخذ مثلاً على ذلك الطرفة الفلسطينية التالية (كان في أحد الأيام زوجة تطبخ لزوجها كل يوم بطاطا، فقال لها مرة إذا طبخت بطاطا سوف أطلقك، فذهبت الزوجة إلى جارتها، وقالت لها: زوجي سوف يطلقني لأنني لا أطبخ له إلا البطاطا، فقالت لها جارتها عندما يرجع زوجك قولي له طبخت بتاتا، ولما سألها زوجها ماذا طبخت اليوم؟ أجابت: بتاتا، فقال لها: تالق بالتلاتا!)[1]. وقد احتوت الطرفة السابقة- بالطبع- على السارد الذي تولى رواية أحداثها، ونقل أخبارها، وما رواه السارد يسمى الحكي أو السرد. وكان هناك أيضاً المتلقي الذي سُردت له الطرفة، وهو الذي يسمى المسرود له، وإذا كان القصاص ينزعون في رواياتهم إلى استخدام الضمائر كالغائب، أو المتكلم، أو المخاطب، فقد التقت الطرفة المتقدمة معهم في كل هذه الأمور، ففيها ضمير الغائب والمتكلم والمخاطب، وإذا كان بعض كتّاب الرواية يميلون إلى استخدام العامية في السرد والحوار، فالطرفة هنا- هي الأخرى- لجأت إلى الازدواجية، ففيها العامية، وفيها ما هو فصيح، وإذا كان المرء يلحظ- في كثير من الأحيان -وصفاً ممزوجاً مع السرد في الرواية أو القصة، كذا الأمر يمكن تبيّن زمان لكل رواية، فالطرفة هنا جاءت خالية من الوصف، حيث لم يتم وصف الزوجة التي اعتادت طبخ البطاطا لزوجها، ولم يتم كذلك وصف الجارة ولا الزوج، وأما زمان الطرفة فيكاد المرء يتبينه من أول كلمة فيها، حيث الفعل الماضي "كان". وإذا كان الحوار أمراً ملحاً في الرواية لا يمكن الاستغناء عنه، فإنه يكاد يكون كذلك في بعض الطرائف، حيث يتم الاتكاء عليه من أجل الوصول إلى المرمى والهدف. وهاتان طرفتان فلسطينيتان اعتمدتا الحوار وسيلة لهما، تقول الأولى (المشتري: عندك سمك طازج؟

البائع: ألم يكن السمك الذي اشتريته في الأسبوع الماضي طازجا؟

المشتري: نعم كان طازجاً.

---

[1] مجلة اضحك، ص٢٨.

البائع: هذا السمك منه)[١]. والدلالة أن البائع رجل يتسم بالغباء.
وأما الثانية- فبالإضافة إلى اعتمادها الحوار- جاءت بالعامية الخالصة، وهي تقول (قال لمن فاتوا العراقيين على الخفجة فيه جندي عراقي فات على بيت لاقا فيه عيلة سعودية بعدها موجودة فأجا بده يقتلهم قامت المرة صارت تقول: منشان الله!.
قالها: طيب، شو اسمك أنت؟
قالتله: فطوم.
قالها: طيب، أنت بديش اقتلك عشان اسمك على اسم أمي.
وبعدين قال لجوزها: وأنت شو اسمك؟
قال: محمود، بس بدلعوني "فطوم"!!!)[٢].إجابة تعبر عن جبن وخوف.

وإذا كان أنصار العامية في القصة والمسرحية يتذرعون بحجج واهية- كان الباحث أشار إليها في الصفحات السابقة- فإن ورود بعض الطرائف باللهجة العامية يعود- في رأي الباحث- إلى عدة أمور منها: المستوى العلمي، والحصيلة الثقافية لراوي الطرفة، ومنها كذلك الإصرار على العامية اعتقاداً بأن سرد الطرائف بالفصحى يكون سمجاً ثقيلاً ولا يحقق الضحك الذي هو غاية معظم الطرائف.

**طرائف السرد الفلسطينية:**

١- (أعطت امرأة ابنتها ٢٠٠ فلس وطلبت منها أن تشتري بـ ١٠٠ فلس شاي وبـ ١٠٠ فلس سكر، وبعد قليل عادت البنت وهي لا تحمل شيئاً، فسألتها أمها: أين الشاي والسكر؟.
أجابت: لم تخبريني بأي ١٠٠ فلس أشتري الشاي، وبأي ١٠٠ فلس أشتري السكر!!!)[٣].
والدلالة أنها طفلة ساذجة.

٢- (كان هناك رجل يبيع الزيت وينادي في الطريق: ابتعدوا عني وإلا تلوثت ملابسكم بالزيت، فابتعد الناس عنه إلا شاب فقد تلوثت ملابسه، فشكاه للقاضي، ولما حضر بائع الزيت تظاهر بالبكم، فقال الشاب للقاضي: سيدي إنه ليس أبكم، قبل قليل كان ينادي: ابتعدوا عني وإلا تلوثت ملابسكم. فقال بائع الزيت: هاك يا سيدي لقد حكم على نفسه بنفسه!!!)[٤]. مما يوحي بأن بائع الزيت رجل غبي.

٣- قدمت الزوجة طلباً للانفصال عن زوجها. الزوجة: يا سيدي القاضي لقد كسّر زوجي جميع الأطباق الموجودة في المنزل على رأسي، وكان يعاملني بقسوة. القاضي: ألم يعتذر لكِ؟

---

[١] السابق، ص٤٢.
[٢] الدار دار أبونا، ص١١١.
[٣] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٨٨.
[٤] السابق، ص١٧٧.

الزوجة: لم يستطع يا سيدي: لقد نقلته سيارة الإسعاف للمستشفى قبل أن يتفوه بكلمة واحدة!)[١]. مما يدل على أنها امرأة عنيفة وشرسة.

٤- (وقف الطفل الصغير يتطلع في دهشة إلى الضيف، فسأله الضيف: لماذا تتطلع إليَّ هكذا؟ فأجاب الطفل: أبحث عن وجهك الآخر، لأني سمعت والدي يقول عنك إنك بوجهين!!!)[٢].

وفي الطرفة دلالتان: أ- أن الضيف منافق. ب- أن الأطفال لا يستطيعون كتمان الأسرار.

٥- (هاجر رجل إلى أمريكا بعد أن قال له أحدهم إن المال هناك يجدونه على الأرض، وعندما نزل من الطائرة وجد دولاراً على الأرض فقال: سنبدأ الشغل من أوله!!!)[٣].

٦- (في بداية الانتفاضة، كان الشباب يخافون "مشمار جفول" "حرس الحدود"، ولكن بعدين صاروا مثل الجيش العادي، وفي أحد أيام العيد، كان الجنود يستعرضون قوتهم أمام الشباب، وكانت دورية تابعة "للمشمار جفول"، وكان جيب واحد ساير لوحده مستهتر بالشباب، وبعدين أسرع الجيب، فسقط منه جندي، فهجم عليه الشباب، فمشى الجيش، وظل الجندي ماسك باب الجيب الخلفي، وسحبه الجيب حوالي مائة متر على ركبيه، فرفع الشباب علامات النصر وانبسطوا!!!)[٤].

## طرائف الحوار الفلسطينية:

١- (مدير المدرسة للتلاميذ: يا لكم من طلاب مشاغبين، ماذا أفعل لأمنعكم من تسلق سور المدرسة؟

أحد التلاميذ: بسيطة .... اهدم السور يا أستاذ!!!)[٥]. والدلالة كراهية الطلاب للمدارس.

٢- (المعلم: أعطني كلمة واحدة بحرف الخاء.

التلميذ: خشبة.

المعلم: حسناً، أعطني كلمة تبدأ بحرف الكاف.

التلميذ: كمان خشبة.

المعلم: أعطني كلمة تبدأ بحرف الواو.

التلميذ: وكمان خشبة!!!)[٦]. ومن دلالاتها ظرف التلميذ وخفة روحه.

---

[١] السابق، ص١٧١.

[٢] اضحك، ص٦٦.

[٣] السابق، ص٥٤.

[٤] الدار دار أبونا، ص٩٥.

[٥] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٦.

[٦] السابق، ص٤٣.

٣- (الزوجة: لقد طلبت منك أن ترسل هذا الجواب قبل شهور، وها هو ما زال في جيب معطفك.

الزوج: صحيح إنني لم أرتدِ معطفي منذ ذلك الوقت والسبب أنني اكتشفت أن أحد أزراره مقطوع، وطلبت منك تركيبه!!!)[١]. تعريض بالنساء اللواتي لا يقمن بأداء واجباتهن المنزلية على أكمل وجه.

٤- (القاضي: حكمت المحكمة عليك بسنة مع الشغل.

المتهم: شكراً يا سيدي فأنا عاطل منذ سنتين!!!)[٢]. طرفة تعبر عن استهتار واستخفاف بالأحكام والعقوبات.

٥- (الأول: لقد ألفت كتاباً عنوانه "كيف تصبح مليونيراً"؟.

الثاني: ولماذا لم تطبعه بعد؟

الأول: لأني لا أملك نفقات الطباعة!!!)[٣]. طرفة توحي بالفقر والعوز.

٦- (الأول: هل صحيح أن فلاناً من أصحاب الملايين بفضل زوجته؟

الثاني: أجل، فقد كان من أصحاب المليارات قبل أن يتزوج!!!)[٤]. والمغزى أن الزوجة مبذرة.

## ثانياً: الإيجاز والحذف:

وإذا كانت الطرفة تقوم على السرد والحوار، فإن الإيجاز يعد من أهم سماتها، ذلك أنها لو أنها طالت فإنها ستفقد بريقها ومكمن الإضحاك فيها، وقبل التطرق إلى الحديث عن الإيجاز والحذف في الطرائف، يجدر بالباحث أن يعرج عليه بلاغياً بوصفه باباً رئيساً من أبواب علم البلاغة.

والإيجاز لغة (التقصير يقال أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير)[٥]. وفي الاصطلاح (اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف وافٍ بالمراد لفائدة)[٦].

وهو قسمان: ١- إيجاز حذف. ٢- إيجاز قصر.

---

(١) السابق، ص٢٥٣.

(٢) اضحك، ص٥٥.

(٣) السابق، ص٦٦.

(٤) السابق، ص٥٨.

(٥) د. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار القلم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٠، ص١٦٦.

(٦) السابق، ص١٦٦.

## إيجاز الحذف:

وهو (التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى)[1]. وهذا القسم (كان معروفاً من قديم، فكل كلمة تسقط من العبارة وتكون مفهومة من سياق الكلام، تدخل في إيجاز الحذف)[2]. كقوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3]. أي أهل القرية فَحَذَفَ المضاف، ومن حذف المضاف أيضاً قوله تعالى ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ)﴾[4]، أي رحمة الله. وأما أن يكون المحذوف الصفة، كقوله تعالى ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[5]، أي كل سفينة صحيحة أو صالحة، فحُذفت الصفة.

ومن الطرائف الفلسطينية التي غلب عليها طابع الحذف، الطرفة التي تقول (دق قلبه، فتح له- رفع صوته، وقع عليه- راح حلق- رجع إسوارة)[6].

والمحذوف كلمة "رجل" أو ما شابهها والأصل "رجل دق قلبه ففتح له، و"رجل رفع صوته فوقع عليه"، و"رجل حلق فرجع إسوارة".

وكذلك (مرة واحد وقفت ساعته حطلها كرسي تقعد عليه- مرة واحد راح يسحب شك أخذ معه ونش)[7]. والمحذوف صفة هذا الواحد، ففي الأولى مغفل أو ساذج أو ما يشبه ذلك، وفي الثانية "مضحك" أو أي صفة مماثلة.

وفي قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[8]. حيث حَذَفَ جواب القسم لوضوحه، وهو لتبعثنّ.

وفي قول الله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)﴾[9]. أي من قبل ذلك ومن بعده أو من قبل الغلب، فالمحذوف في الآية المضاف إليه.

وأما الآية الكريمة ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[10]. فقد حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، وهو: حور قاصرات الطرف.

---

[1] د. محمد ونعمان علوان: من بلاغة القرآن، ط٢، الدار العربية للنشر ١٩٩٨، ص١٤٠.

[2] د. عبد القادر حسين: فن البلاغة، مطبعة الأمانة، مصر (بدون تاريخ)، ص١٧٩.

[3] يوسف: الآية ٨٢، المعجم المفهرس.

[4] الأحزاب: الآية ٢١.

[5] الكهف: الآية ٧٩.

[6] النكتة العربية، ص١١٦.

[7] مجلة اضحك، ص٣٥.

[8] الفجر: الآية ١- ٥.

[9] الروم: الآية ٤.

[10] ص: الآية ٥٢.

وأما حذف المعطوف فشاهده الآية الكريمة ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾(١).

وحذف جواب الشرط تمثله الآية القرآنية التالية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

## إيجاز القصر:

وهو (ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف)(٣). أو هو بعبارة أكثر وضوحاً (التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ كثيرة من غير حذف)(٤). وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى، والغاية التي لا تدرك، حيث يقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾(٥). فالآية الكريمة السابقة لا حذف فيها مع أن معناها كثير يزيد على ألفاظها لأن المراد به (أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يُقدم على القتل، فارتفع بالقتل - الذي هو قصاص - كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم)(٦).

وهناك طرائف فلسطينية عديدة، جاءت غاية في الإيجاز، حيث عبرت عن معانٍ كثيرة بأقل عدد من الكلمات، ولم يكتنفها شيء من الحذف، وذلك كالطرائف الآتية (أَحد الأشخاص ضغط على أعصابه فكسرها - أحد الأشخاص اشترى عصا ليضرب بها مثلاً!!!)(٧).

وكذلك (مرة واحد: أكل قطف عنب فرط من الضحك - رجل اسم امرأته خضرة رجع لقاها ميبسة - مرة واحد طلع عالمعاش معرفش ينزل - مرة واحد كان لابس بدلة بيضة قشرها وأكلها - رجل دمه خفيف ... طار - مرة دجاجة، ما تبيض اتبنت كتكوت!!!)(٨). وكل الطرائف الماضية اتسمت بالإيجاز والقصر، ولولاهما لما كان لها ذلك السحر والتأثير، ولما وصلت إلى تحقيق هدفها.

---

(١) الحديد: الآية ١٠.

(٢) يس: الآية ٤٥.

(٣) علوم البلاغة، ص١٧١.

(٤) من بلاغة القرآن، ص١٤١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٦) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة ١٤١٦- ١٩٩٦، ص٢١٥.

(٧) موسوعة طرائف ونوادر، ص٤٦.

(٨) اضحك، ص١٠-٣٥-٤٥-٦٥.

## ثالثاً: السخرية:

المتصفح للأدب العربي، يجده يعج بالسخرية والدعابة، والفكاهة، حيث تناثرت الدعابات والنوادر في بطون كثير من الكتب التراثية القديمة، التي كان الباحث قد أشار إليها فيما تقدم. وفي العصر الحديث كثر مؤلفو الأدب الساخر، وتنوعوا، وعلى كل فالسخرية تعني الاستهزاء، وهي كلمة قديمة، قدم الإنسان، لأنها كانت تسري عن النفوس، وتروح عن القلوب، وتستهجن بعض ما يحدث مما لا يتفق والمألوف. وإذا كانت السخرية هي أرقى ألوان الفكاهة - خاصة المصبوغة منها بالصبغة السياسية - لذا فقد وجدها الكتّاب والأدباء الفلسطينيون أداة ملائمة، ووسيلة صالحة، للنقد والتهكم والتقريع والاستهزاء، سواء أكان الاستهزاء موجهاً صوب الأعداء، أم كان يتجه ناحية أبناء الجلدة، ولا يقتصر وجود السخرية على جنس أدبي بعينه بل يمتد ليشمل كل الأجناس الأدبية المعروفة، ابتداءً من القصيدة، ومروراً بالرواية والمسرحية، وانتهاءً بالمقالة الصحفية. وتحتوي السخرية على (ألم ممض، أو لنقل هي قمة الألم، فهي ليست ضحكاً، وإن اتخذت شكل الضحك، فكما أن قمة الحزن تتحول إلى غناء، فإن قمة الألم تتحول إلى سخرية، وقديماً قالت العرب: شر البلية ما يضحك)[١].

## طرائف السخرية الفلسطينية:

١- (الأطفال في الأزقة والحارات يصرخون ساخرين في وجوه الجنود الإسرائيليين المدججين بالسلاح أحو، أحو، أحو فيندفع الجنود وراءهم محاولين إمساكهم، وضربهم، واعتقالهم دون أن يعرفوا معنىً لهذه الكلمة أَحو، مما يثير المزيد من حنقهم وبطشهم ضد الأطفال، حتى قبض أحد الضباط يوماً على طفل فلاطفه، وقال له: أعطيك حلوى إذا شرحت لي معنى كلمة "أَحو"، فوافق الطفل وأخذ الحلوى من يد الضابط، ثم فر هارباً كالريح وهو يصيح أحو، أحو، أحو)[٢].
حكاية تحمل في طياتها سخرية أطفال فلسطين من جنود الجيش الإسرائيلي.

٢- (بينما كان أحد الكهول يسير في الشارع، صادفته دورية من قوات الاحتلال، فطلبت منه - كالعادة - أن ينزل أحد الأعلام الفلسطينية المعلقة على أسلاك الكهرباء، فأجابهم: أنا الآن مستعجل، ولكن خذوا هذا العلم الذي أخرجه من جيبه)[٣]. سخرية مبطنة من الجندي الإسرائيلي، وتظاهر بالبلاهة والغباء لتحقيق الهدف.

---

[١] الساخر والجسد، ص١٠٥.

[٢] النكتة العربية، ص١١٨-١١٩.

[٣] المتوكل طه وزميله: الثقافة والانتفاضة، منشورات اتحاد الكتّاب الفلسطينيين، ط١ (بدون تاريخ)، ص١٣٥.

٣- (في أحد أحياء نابلس، طارد الجنود شابين فأمسكوا إحداهما، وتمكن الآخر من الفرار ولما سأل الضابط: مين اللي كان معك؟ أجاب الشاب: شو بعرفني هوّ جبهة، وأنا فتح!!!)[١].

٤- (ولد عمره حوالي عشر سنين من "عرابة"، كان مشترك في مظاهرة، يـضرب حجـارة، ويحط حواجز على الشارع، مسكوه الجنود، وضربوه، وحطوه على مقدمة الدبابة، حتى يصير ييجي كل الضرب عليه، وصاروا يلفوا في الشوارع، فصار يغنى بأعلى صوته "ماحلي الموت على بوز الدبابة!!!)[٢]. سخرية ممزوجة بشجاعة، واستهانة- نادرة- بالموت.

٥- ( ليش صاروخ الحسين بطّل يصل إسرائيل؟ عشان أعطوه هوية خضرا!!!)[٣]. تهكم لاذع من سياسة إسرائيل، حينما منحت نشطاء الانتفاضة هويات خضراء، يحظر علـيهم بموجبهـا دخول إسرائيل.

## السخرية في الرواية الفلسطينية:

ومثلما عثر الباحث على السخرية في الطرفة، فقد ألفاها كذلك في الرواية، حيث يصطدم القارئ بالسخرية الموجعة في رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي الـنحس المتـشائل" للراحل "إميل حبيبي"، وذلك منذ الصفحة الأولى، بل لن أكون مبالغاً إذا قلـت مـن الأسـطر الأولى لهذه الرواية، جاء على لسان المتشائل (أما بعد فقد اختفيت، ولكنني لم أمت، ما قُتلـت على حدود كما توهم ناس منكم، وما انضممت إلى فدائيين، كما توجس عارفو فضلي، ولا أنا أتعفن منسياً في زنزانة كما تقوّل أصحابك....)[٤]. فالموت- على الحـدود- والاختفـاء فـي الزنازين، أمسيا عنوانين مميزين للفلسطيني في هذا الزمن، حيث لا تسمح له الأنظمة العربيـة باجتياز الحدود، وضرب اليهود.

وفي موضع ثانٍ يلحظ المتتبع (ثم أقبل أيلول الأسود عام ٧٠ على صورة دبابة هاشـمية نقية تقية من طراز "شيرمان" هدمته، فلم يخرج من تحت الأنقاض سالماً سوى الثريا وطويتها السليمة...)[٥]. وتبدو السخرية- واضحة- في وصفه للدبابة الأردنية بالهاشمية والنقية والتقية، وذلك حينما هدمت بيت السيدة "ثريا عبد القادر" في عمَّان، كما تبدو كذلك في الإشارة إلى نوع الدبابة القديم المعروف بـــ "شيرمان".

---

[١] الدار دار أبونا، ص٩٧.

[٢] السابق، ص٩٨.

[٣] السابق، ص١٢٠.

[٤] إميل حبيبي: الأعمال الأدبية الكاملة، ط١، الناصرة ١٩٩٧، ص١٦٥.

[٥] السابق، ص٢٨٣.

كما تبدو كذلك في العبارة (حقاً إنهم هدموا القرى التي ذكرها القوم وشردوا أهلها، ولكن يا ولدي، إن في قلوبهم لرأفة لم يحظ بها أجدادنا من الغزاة الذين سبقوهم... هؤلاء ليسوا مماليك، وليسوا صليبيين، بل عائدون إلى وطنهم بعد غيبة ألفي سنة...)(١).

كما تتضح أيضاً في تعليق المتشائل على العبارة المتقدمة، ذلك حينما قال (ما أقوى ذاكرتهم!)(٢). حيث أراد "إميل حبيبي" عكس الأوصاف التي نعت بها اليهود، فهم ليسوا من أهل الرأفة، وهم ليسوا بأفضل من الصليبيين، وأما ذاكرتهم فهي مصابة بالغش والتزوير وادعاء الباطل. ويكتشف المتشائل أن دولة تقوم على أعراق وأجناس وقوميات متباينة لا يمكن أن تعمر طويلاً فيقول ساخراً (رحتُ أتعجب من جهل العامل اليهودي باللغة العبرية، حتى أقنعت نفسي بأن هذه الدولة ليست بنت معيشة، فلماذا لا أحفظ خط الرجعة؟)(٣).

ولطالما تفاخرت بعض الأنظمة العربية، بعدم قدرة الفلسطيني على مهاجمة إسرائيل، انطلاقاً من أراضيها، حيث قامت هذه الأنظمة بتجنيد الجنود، ووضع الحراس، لا لتحرير فلسطين وإنما لتكريس احتلالها وتوفير الأمن للمستوطنين اليهود، ورواية "العشاق" لرشاد أبو شاور" تثير هذه القضية بالتقزز والسخرية (انتقلنا إلى أريحا، مسكينة أمي قالت: الحمد لله أننا غادرنا الخليل. لن يعود إلى القرية لكنك لم تتب. لقد أدمنت يا سلمان عباس أدمنت، حتى قتلوك على الحدود، لقد كانوا يحرسون الحدود لليهود، أولئك هم أخوتنا الجنود العرب)(٤). سخرية موجعة من مهمة الجندي العربي في حماية الحدود الإسرائيلية، وإحباط محاولات تسلل الفدائيين.

وتكاد تمتلئ رواية "اخطيّة" لإميل حبيبي" بالسخرية والنقد، ولا غرابة في ذلك "فإميل حبيبي" (من أقدر الكتّاب على الاختراق الدقيق الموثق بالأحداث، والأوصاف والتغييرات في تركيبة المجتمع الذي وقع تحت كابوس الاحتلال الصهيوني، وممارساته الفاشية اللاإنسانية العنصرية في الناس وفي الوطن)(٥).

ومن أحاديثه الساخرة، وانتقاداته اللاذعة، ما جاء في الرواية- سابقة الذكر- حيث (فكم من ليلة عدت فيها بسيارتي، منهوك القوى من شدة القهر، فظهرت لي في وسط الطريق مخلوقات قزمية، طول الواحد منهم خمسة أشبار، أو أربعة شكلاً واحداً، وقَدَّاً واحداً، فإما أن

---

(١) السابق، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) السابق، ص١٩٠.

(٣) السابق، ص١٩٢.

(٤) عودة السارد، قراءات في أعمال رشاد أبو شاور الروائية، تقديم د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص٦٦.

(٥) د. عبد الرحمن ياغي: في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، دار الشروق، ط١، عمّان ١٩٩٩، ص٤١.

يكونوا في شكل بن غوريون صغير، أو في شكل ديان صغير، ولا يلتقيان أما في وسط الشارع، فإما عشرات البناغرة الصغار، وإما عشرات الديانات الصغيرة، وحين كانوا يظهرون في وسط الشارع أمامي، كنت أتحول بالسيارة إلى هذا الجانب، أو ذاك الجانب من الطريق، فإذا تكاثروا عليّ، أوقفت السيارة دونهم، فأنام أو أن يحلوا عني. وكانت هذه الأحابيش تمر أحياناً من تحت سيارتي، دون أن يصيبها أو يصيبني سوء. ويؤسفني أن أعترف بأن شرف هذا الظهور أمامي في ليلة الشدة والحب، وهي مستمرة وتشتد حتى يومنا هذا، لم يقيض لأحد سوى بن غوريون الصغير، وديان الصغير. لقد ذهبا، وحل محلهما سواهما، غير أنهما لم يحلا عني أحابيش، كنت أتمنى أن يخلفهما مثلاً، بيغن صغير، أو شامير صغير، فهو ملائم شكلاً وقَداً، أو تصوروا أرئيل شارون صغير، ماذا يبقى منه ولكن ما بالعين حيلة....)[1].

ولم تخل رواية (خرافية سرايا بنت الغول) لذات الأديب السابق من السخرية، ومن ذلك ما جاء فيها (فلما اشتد العنت عليهم، وآذنت ببنيها حوباء، هربوا من رماد حيفا وسكنها، إلى السكن في مدينة الناصرة بلد المسيح، وعرائش البطيخ، وينطق به أولاد عمنا معاندة على أنه البطيخ، وإذا قلنا حاء قالوا خاء، وإن قلنا خاء قالوا حاء، ولولا وجد الجد، لأقنعوا أوربا بأنه ما من سبب للخلاف بيننا سوى هذه الحروب الضروس بين الحاء والخاء...)[2]. في تهكم واضح لمحاولات إسرائيل تزوير حقيقة الصراع العربي الإسرائيلي، كما يُلمح الاستهزاء في قوله "أولاد عمنا"، ذلك أنه أراد أنهم ليسوا بأولاد العم.

ومما جاء في "خرافية سرايا بنت الغول" من سخرية قوله (وشاع في ذلك العصر والأوان أن فراشة، أو من يجاريها في هذه العناية الإلهية، موجودة على كل حد من حدود هذه الدولة المطاطية الحدود .... في الجليل والمثلث وفي النقب ... وفي الجليل كان اسمها فراشة، وفي المثلث اشتهرت باسم النحلة، وأما في النقب فعرفت باسم المن تارة، وباسم السلوى أخرى...)[3]. في إشارة ضمنية، وانتقاد صريح لسياسة إسرائيل التي لم تعلن لها حدوداً ثابتة حتى الآن.

## السخرية في المسرحية الفلسطينية:

وإذا كانت الرواية الفلسطينية قد قامت بأداء ما عليها من واجب في نصرة القضية، وتعرية الأنظمة، وفضح ممارساتها، وكشفها على حقيقتها، فإن المسرحية لم تتوان عن القيام

---

(1) إميل حبيبي، الأعمال الكاملة، ص٥٧٤-٥٧٥.

(2) السابق، ص٧٢٥.

(3) السابق، ص٧٢٥.

بهذا الدور، جاء في مسرحية "الصخرة" "لمعين بسيسو" انتقاد لاذع للحكومات العربية التي تقف عقبة كأداء أمام تحرير فلسطين، والتي تفعل غير ما تقول، جاء في مسرحية "الصخرة"[١]:

صوت فلسطين ... موسيقى .... كاميرا .... حفلة كوكتيل ... مؤتمر للقمة

من أجل فلسطين

لكن حين فلسطين

تقف على قدم من أرض فلسطين كي تنطلق

إلى أرض فلسطين

ينطلقون يدقون الأوتاد بقدم فلسطين

ورأس فلسطين ...

مسموح لفلسطين ...

أن تتكلم، أن تكتب، لا أن تمشي أبداً ...

أن تحمل علماً، لا أن تحمل سيفاً.

ويلتقي المرء مع السخرية الساخنة، حيثما يلتقي بالأديب "إميل حبيبي"، جاء في مسرحيته "لُكع بن لُكع" (فقد قيل لنا إن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي، الذي لأَمر ما أبقوا على عروبة اسمه، وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان، فرغيف الخبز العربي في بلادنا، أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة، قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه من خبز العيش على اعتبار أنه بذخ، كتعاطي البسكويت والجاتو والطورطة...)[٢]. وتتجلى السخرية في النظرة المتدنية لرغيف الخبز العربي، وفي إبقاء إسرائيل- التي غيّرت معالم كل شيء- على عروبة اسمه، وفي الإهمال الأمني الذي ألمّ بالأجهزة الأمنية الإسرائيلية، حينما لم تلتفت إلى أهمية تغيير اسمه، وفي قول "حبيبي" كذلك "وما أدراك ما الدولة"، وكذلك في جعل رغيف الخبز العربي مساوياً- في عدم الأهمية- للبسكويت والجاتو والطورطة.

**أشكال السخرية:** للسخرية أشكال منها:

١- السخرية بالعادات المرذولة، والصفات المكروهة، كالبخل، والحمق، والأنانية، والجبن، والغرور، والظلم، والغباء وغيرها، ومن البخل قول "أشعب" (ابعثوا لي امرأة، أتجشأُ في وجهها فتشبع، وتأكل فخذ جرادة فتُتخم)[٣].

---

[١] معين بسيسو: الأعمال المسرحية، دار العودة، ط١، بيروت ١٣٩٩-١٩٧٩، ص٣٤٠.

[٢] إميل حبيبي، الأعمال الكاملة، ص٣٨١.

[٣] السخرية في أدب الجاحظ، ص٧٦.

ومن أشعار السخرية المتصلة بالجبن ما قيل (كان أمية بن عبد الله بن خالد أكولاً جباناً، فقال[1]فيه بعض العرافين ساخراً:

إذا صَوّتَ العصفورُ طارَ فؤادُه وليثُ حديد النّابِ عندَ الموائدِ

وكالسخرية من الظلم في الحُكم أيضاً، حيث يروى (لما قضى "الشعبي" لامرأة جميلة على زوجها ظلماً، قال "المتوكل الليثي" ساخراً[2]:

فُتِن الشعبيُّ لَمّا رفع الطّرفَ إليها
فتنتْه ببنانٍ وبخطى حاجبيها
فقضى جوراً على الخصمِ ولم يقضِ عليها
كيف لو أبصر منها نحرها، أو ساعديها
لصَبَا حتى تراهُ ساجداً بين يديها

ومن السخرية بالغباء، ما يُروى حول "الشعبي" حينما مرّ عليه رجل غبي، فسأله أيكما الشعبي؟ فأشار إلى زوجته التي كانت تجلس بجواره. فالسخرية تكون هنا موجهة إلى السائل الغبي الذي لم يكن قادراً على التمييز بين الرجل والمرأة.

كما سخر العرب ممن يقول كلاماً ثم يعود فينقضه، حيث يروى (صلى أعرابي في جماعة، فقرأ الإمام "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"[3]، فقال الأعرابي: أهلكك الله وحدك، إيش كان ذنب الذين معك؟ فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك)[4]. حيث أساء الأعرابي فهم الآية الكريمة.

٢- والشكل الثاني للسخرية هو القلب، وعكس المراد من الجواب، كقول[5] إبراهيم طوقان:

للحقّ سطرٌ في صحافتِنا وللتضليلِ نهرُ
للخاملين نباهةٌ فيها وللأغمار ذِكْرُ
وهناك سمسُارُ البلادِ فإنه الشهمُ الأَغَرُّ

ومنه كذلك ما حدث "لأشعب" حينما همَّ بشراء قوس، تقول الحادثة (ساوم "أشعب" رجلاً في قوس عربية، فسأله ديناراً، فقال له: والله لو إنها إذا رُمي بها طائر في جو السماء، وقع مشوياً بين رغيفين، ما أعطيتك بها ديناراً)[6]..

---

[1] السابق، ص٧٧.

[2] السابق، ص٦٨-٦٩.

[3] الملك: الآية ٢٨.

[4] سجل الفكاهة العربية، ص٤٤ "وينظر كذلك السخرية في أدب الجاحظ، ص٧٦- ٧٧.

[5] إبراهيم طوقان، الأعمال الكاملة، ص٢٠٠.

[6] العقد الفريد، ص٢٠٥ وينظر كذلك السخرية في أدب الجاحظ، ص٧٦.

٣- ومن أشكال السخرية كذلك استعمال الأمر والنهي، وذلك من أجل استفزاز العقل للمقارنة أو المشاكلة. وينطبق هذا الشكل على قول[١]إبراهيم طوقان في قصيدة "أيتها الحكومة"، حيث ينتقد فيها "بريطانيا" حينما كانت تحشد قواها الشرطية والعسكرية، مع بدء عيد الفصح في "القدس"، خوفاً من الاحتكاك بين العرب واليهود:

علامَ احتراسُكِ؟ لا أعلم... وفيمَ احتشادُكِ؟ لا أفهم
وهل في فلسطينَ ما ترهبين سوى أنه اجتمع الموسمُ
معازيلُ إلا من العنعناتِ مشاغيلُ عن كلِّ ما يُكرِمُ

وقوله كذلك: (فاهدأي يا عواصفُ خجلاً من جرأته)[٢].

٥- ومن ضروب السخرية ما يكون من أجل الضحك، وقصة الشاعر الظريف "أبي دلامة" حينما خرج للصيد مع الخليفة "المهدي"، تكاد تملأ الكتب الفكاهية، ذلك أنه (خرج "المهدي" و"علي بن سليمان" إلى الصيد، فسنح لهما قطيع من ظباء، فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمي المهدي ظبياً بسهم، فصرعه، ورمى "علي بن سليمان" فأصاب بعض الكلاب فقتله، فقال "أبو دلامة"[٣]:

قد رمى المهديُّ ظبياً شَكَّ بالسهمِ فؤادَه
وعليُّ بن سليما نَ رمى كلباً فصادَه
فهنيئاً لهما كلُّ امريءٍ يأكلُ زادَه

فضحك "المهدي" حتى كاد أن يسقط على سرجه، وأمر له بجائزة سنية).

٥- ومن سخريات العرب التخلص في الجواب برد يبعث على الضحك، ومن ذلك قصة الشعبي مع الحمَّال، ذلك أنه (مرَ بالشعبي حمال على ظهره دن خل، فوضع الدن وقال له: ما كان اسم امرأة إبليس؟ فقال الشعبي: ذلك نكاح ما شهدناه!)[٤]. حيث تمكن الشعبي بردّه اللطيف من أسر السؤال السخيف.

٦- السخرية من صاحب الفعل، أو من الفعل، أو من الواقع عن طريق الضحك منه، أو التهكم عليه، أو الاستهزاء به، وتصغير أمره، أو من خلال المبالغة والتضخيم، ويتجلى هذا النوع من السخرية في قول "إبراهيم طوقان" بلهجة الساخر من سماسرة بيع الأرض للأعادي[٥]:

---

[١] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٢٤.

[٢] الساخر والجسد، ص١٠٧.

[٣] ديوان أبي دلامة، ص٥٠-٥١.

[٤] الحياة الاجتماعية عند العرب، ص١٢٥ وينظر السخرية في أدب الجاحظ، ص٨٨.

[٥] الساخر والجسد، ص١١٣.

قد سقى الأرضَ بائعوها بكـاءً    لعنْـتم سـهولُها ورباهـا
وطني مبتلىً بعصبة (دلالـين)    لا يتّقـون فيـه الله
في ثيابِ تُريـك عِـزّاً ولكـنْ    حشْوُها الذلُ والرياءُ سُـداها

## السخرية في المقال الصحفي:

سخَّر بعض الصحافيين الفلسطينيين أنفسهم وأقلامهم للدفاع عن قضايا الوطن والمواطن، حيث صوبوا سخريتهم الموجعة، وتهكمهم اللاذع إلى كل وضع مقلوب، وكل ظاهرة غير مستساغة، كما سخروا من الأعداء الذين يقفون إلى جانب الباطل، ويناصرون المعتدي، ويكيلون بمكيالين، ويتربصون شراً بالعرب وقضاياهم، ومن السخرية الكاوية في الأدب الفلسطيني، ما تناوله قلم أحد صحافيينا الجسورين حول الحملة الأمريكية المسعورة، في البحث عن المجاهد "ابن لادن"، ومما جاء في هذا المقال (فرّ "أسامة بن لادن" من أفغانستان وفقاً للمخابرات الأمريكية عن طريق البحر، مع أن البحر العربي المتاخم لباكستان والمحيط الهندي يغصان بقطع حربية أمريكية وغربية لا يغمض لها منظار، وعلى اتصال بالأقمار فلا يغيب شيء عن الأنظار، فالأسطول الأمريكي الذي رصد "كارين أي" في جزيرة كوش وتابعها حتى البحر الأحمر ربما سها عن متابعة "ابن لادن"، وقد تشن أمريكا الآن حملة قصف البحر العربي فقط باعتبار أن كل ما هو عربي حيطة واطية بحثاً عن مخبأ "ابن لادن"... فلربما اختفى في كهف بحري، أو دخل صدفةٍ أو تسرب إلى جوف حوت، وقد تقترح العلامة في الأمور العسكرية والاستراتيجية "كوندوليزارايس" تجفيف البحر العربي حتى القاع، مثلما تم تجفيف الوطن العربي حتى النخاع.

السيناريو المقبل سيكون أن "ابن لادن" تسلل إلى الصومال، ولذا يجب قصف الصومال، وربما يصل إلى اليمن، فيجب تمشيط "حضرموت" بالقنابل الذكية.... وقد يكون تسلل إلى رفح، ولذا يجب تدمير ما تبقى منها، وعلى الأرجح أنه شوهد في قهوة خبيني في سوق عمّان، فيجب قصف "سقف السيل" وكل المقاهي، بما فيها مقاهي الانترنت، أو لجأ إلى كهوف "تورابورا" قرب مخيم "الفارعة"، فيجب تشديد الحصار على غور الأردن، فالمسألة لم تعد "ابن لادن، بل قوم "ابن لادن"، وحتى لو عثر على "ابن لادن" حياً أو ميتاً، فإنه سيبقى فارّاً في نظر الحملة الأمريكية، بحجة أنه استنسخ نفسه، وتنكر على هيئة ٢٥٠ مليون عربي)[1].

---

(١) حافظ البرغوثي: مقالة بعنوان ابن لادن، الحياة، العدد ٢٣٠٤، وتاريخ ٢٠٠٢/١/١٧، ص١٩.

**السخرية في قصيدة الشعر الفلسطينية:**

حمل الشعراء الفلسطينيون العبء الأكبر في هذا المجال، وانبروا يوجّهــون ســخريتهم اللاذعة، إلى الأنظمة المتخاذلة، وكذا الأمر إلى العرب المتفرجين، وها هو الشاعر "أبو سلمى" يهزأ بملوك العرب، ويدين تقاعسهم عن نصرة شعب فلسطين، كما يستنكر جبنهم، وتخليهم عن إخوان لهم يرونهم يذبّحون ويقتّلون، يقول "عبد الكريم الكرمي"- ساخراً- في داليته(١):

إيـــه ... ملــوكَ العــربِ لا كنتمْ ملوكــاً فــي الوجــودِ
قومـــوا اســمعوا مـــن كــلّ ناحيـــة يــصيحُ دمُ الــشهيدِ
قومـــوا انظـــروا الأهلـــينَ بيـــن الوعـــدِ- ضاعـــوا- والوعيـــدِ
ما بين ملقىً في الـسجونِ ... وبـــين منفـــيّ شـــريدِ
أو بـــين أرملـــةٍ تولـــولُ أو يتـــــيمٍ أو فقيـــــدِ
قوموا انظروا الــوطنَ الــذبيحَ مــن الوريــدِ إلــى الوريــدِ

ولقد رأى "أبو سلمى" في هؤلاء الملوك عبيداً، ورأى عروشهم مزدانة بالسلاسل والقيود، وهم لا يجيدون إلا التعلل بالوعود الكاذبة المضللة(٢):

انــشر علـــى لهــبِ القــصيدِ شكوى العبيــدِ إلـــى العبيــدِ
شـــكوى يرددُّهـــا الزمـــانُ غـــداً إلـــى أبـــدِ الأبيـــدِ
قـــالوا: الملـــوكُ وإنهـــم لا يملكـــونَ ســـوى الهبيـــدِ
دُكـــت عـــروشٌ زيّنوهـــا بالـــــسلاسلِ والقيـــــودِ
سُـــحقاً لمـــن لا يعرفـــون ســـوى التعلـــلِ بـــالوعودِ

وقال ساخراً من الملك الأردني السابق "عبد الله"، حيث كان له أطماع توسعية في فلسطين(٣):

وأبـــو طـــلالِ فـــي رُبـــى عمّـــانَ، يحلـــمُ بالحـــدودِ
اقعـــدْ، فلـــست أخَـــا العلـــى والمجـــدِ، وانعـــمْ بـــالقيودِ
المجد أن يحمـــي الرصـــاصُ على المدى، حمـــرَ البنـــودِ
واحكمْ على الــشطرنجِ لــيسَ علـــى الفيـــالق والجنـــودِ

وهذا شعر شعبي يزخر بالسخرية، ويقطر بالغمز واللمز، ويعج بالاستهزاء، كما يُلحــظ فيــه عتاب ممزوج باللوعة والأسى، من موقف الأمة العربية وحالها، يقول صاحبه(٤):

---

(١) ديوان عبد الكريم الكرمي، دار العودة، بيروت (بدون تاريخ)، ص٢٣- ٢٤.

(٢) غادة أحمد بيلتو: أبو سلمى حياته وشعره، دار طلاس للنشر، ط١، دمشق ١٩٨٧، ص١١٨.

(٣) السابق، ص١١٩.

(٤) سميح القاسم: ديوان الحماسة، منشورات دار الأسوار، عكا ١٩٧٩، ٢/٤٧-٤٨.

كيفَ الحال

كيف القلب

بومب

عال العال

يا ابنَ العم

ياقفةَ هم

إن تسأل عن صحتنا، فالصحةُ زفت

. . .

كلُّ الأشياءِ هنا أكثرْ من زفت

إلا الشارع

فكثيرٌ من حفرٍ وقليلٌ من زفت

. . .

العيشةُ زفت في زفت

لكني لا أتمنى الموت

التابوت العادي

أغلى من كل الدخل الشهري

ولم تسلم الأمة العربية من سخرية "هارون هاشم رشيد" المريرة، وذلك أنها هانت على نفسها، فهانت على الغير، يقول منتقداً[١]:

| | |
|---|---|
| عربٌ... عروبيون تسألُهم فلا | يتحركـون كـأنّهم أَخـشابُ |
| ما فيهمُ من عبدِ شمسٍ فـارسٌ | أو من قريشٍ فـيهم خَطّـابُ |
| كلا ولا خيلٌ لهم إنْ حَمَحَمـتْ | حُمَّ القضاءُ وشُقت الأثـوابُ |
| اليومَ يركلُهم يمـرّغ كبـرَهم | بالطائراتِ مغـامرٌ عَـرّابُ |
| يـأتيهم لـيلاً نهـاراً مثلمـا | يبغي فتعنو أنفـسٌ ورقـابُ |
| ويجيئهم أنّـى يـشاءُ وأمْـرُه | فيهم مطاعٌ دائمـاً ومُجـابُ |

ويلتقي المرء بالسخرية مرة أخرى، في قصيدة "عزف منفرد على القانون" للشاعر معين بسيسو، حيث النقد اللاذع للعرب الذين كان لهم ضلع كبير في تعثر مـسيرة الكفـاح المـسلح الفلسطيني، يقول ساخراً[٢]:

---

[١] هارون هاشم رشيد: طيور الجنة، ط١، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨، ص١٣٩- ١٤٠.

[٢] معين بسيسو، قصائد مختارة، طبع على نفقة الأستاذ عدنان يوسف العلمي (بدون تاريخ)، ص٩٦.

والذي كان وطن ...
أصبح اليومَ قضية ...
لا تلوموا البندقيهْ ...
حينما ماتت ولم تترك وصيهْ

- - - - -

على سحابهْ
كتبتُ "تسقط الرقابهْ" ...
فصادروا السماء ...

وإمعاناً في السخرية، لجأ "عبد الرحيم محمود" إلى اللهجة العامية، والسخرية كانت- بالطبع- من العرب، ومن الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، فاللسان ملّ الكلام، والحال على ما هو لم يتغير، يقول متهكماً ممن لم يحركوا ساكناً لدفع الحيف والظلم عن عرب فلسطين(١):

| | |
|---|---|
| حَفِيَ اللسانْ وجفتِ الأقلامُ | والحالُ حالٌ والكلامُ كلامُ |
| ظلْنَا نقولُ حبائبُ ضرباتُهم | مقبولةٌ ما إن لها إيلامْ |
| "خرجوا لنا بالسحبِ" من أقسامنا | يا ويلنا إنَّ الهوى أقسامُ |

## رابعاً: الرفض:

على الرغم من أنه قد مرّ الآن على نكبة فلسطين أكثر من خمسة وخمسين عاماً، إلا أن أبناء هذا الشعب ما برحوا يطالبون بحقوقهم، وعلى رأسها حق العودة، وبالتعويض عما حلَّ بهم من بؤس، وشقاء. لقد رفض الفلسطينيون الواقع البائس الذي وجدوا أنفسهم فيه، دون أن يكون لهم في ذلك جريرة، وأبوا الانصهار والذوبان في المجتمعات التي عاشوا فيها، سواء أكانت عربية، أم غيرها وظلوا متمسكين بحلم العودة وبهويتهم الوطنية. ولقد تولى الأدباء والشعراء الفلسطينيون مسؤولية القيام بعبء هذا الواجب الوطني الجسيم، حيث عبرت كل الأجناس الأدبية- دونما استثناء- عن رفض الفلسطيني العيش بعيداً عن أرضه ووطنه، ومثلما رفضَ الفلسطيني واقعه المرير الحزين، فقد رفض كذلك كل أشكال التضييق، ومحاولات فرض الهيمنة، والحصار، والتجويع، والتبعية، والوصاية، وقبول السلام الزائف المفروض الذي لا يعيد الأرض ولا يحفظ الكرامة. وقد ظهر هذا الرفض في الطرفة، وفي الرواية والمسرحية والقصيدة الشعرية، والمقالة الصحفية وغيرها.

---

(١) ديوان عبد الرحيم محمود، جمع وتقديم د. كامل السوافيري، دار العودة، بيروت ١٩٩٩، ص١٤٥ وما بعدها.

**الرفض في الطرفة الفلسطينية:**

١- (مرة في نابلس أصر الجنود على أحد الأطفال أنه يطلع ينزل علم عن عامود تلفون فرفض، لما أجبروه بالقوة، طلع حتى وصل حد العلم، وضرب تحية للعلم، ورمى نفسه عن عامود التلفون ومات)(١). حيث رفض الطفل الفلسطيني أوامر الجيش الإسرائيلي، بإنزال علم فلسطين عن عامود الهاتف، لأن العلم رمز للدولة، وعنوان لها. كما أنه يمثل الكرامة والشرف والعزة الوطنية، وفي قبول إنزاله إهدار لهذه الكرامة، وإضاعة للشرف والوطنية.

٢- وعندما وضعت حرب الخليج الثانية أوزارها، وخرجت أمريكا منتصرة على العراق، سلّم الفلسطينيون بهزيمة العراقيين، وقبلوا الواقع مرغمين، لكنهم رفضوا الاعتراف بالألم، وأبو الانصياع للهزيمة، واعتبروا أن ما حل بالعراق ليس نهاية المطاف، تعبر- عن كل ذلك- الطرفة الفلسطينية بالقول (العراق كتب على علمه: الله أكبر.

والأردن: الله يستر.

وإسرائيل: الله معنا.

والفلسطينيون: الله بعوض)(٢).

٣- عرف المجتمع الفلسطيني إبان الانتفاضة الأولى ظاهرة الملثمين، وعلى الرغم من إجلال الناس لهم، ولما قاموا به من أعمال وطنية، إلا أن بعض تصرفاتهم اتسمت بالعشوائية والتسرع وعدم التدقيق، وخرجت- بالتالي- عن العادات والتقاليد، فقوبلت بالرفض والإدانة والنفور، وجاءت الطرفة التالية لتصور كل ذلك قائلة (فيه مرة من الخليل كانت حامل بتوم، وقت الجيابة تعسرت جيابتها واستمرت مدة طويلة واجتمع عدد من الدكاترة لمساعدتها، وأخيراً ظهر رأس أحد الطفلين، ولكنه نظر حوله، ثم عاد مسرعاً إلى بطن أمه، سأله التوأم الآخر: شو صار: ليش رجعت؟ فقال له: في ملثمين بره!!!)(٣). حكاية طريفة، تشير إلى سطوة بعض الملثمين، وقسوة تصرفاتهم- أحياناً-، خاصة إذا كانت عمليات الردع، والقتل، موجهة إلى أناس لم تثبت إدانتهم بالأدلة والبراهين، ولذا فقد قوبلت أمثال هذه التصرفات بالرفض والاستنكار.

٤- وهذه حكاية أخرى يُلمح من خلالها رفض الفلسطيني لسياسة منع التجول التي كانت- ومازالت- تفرضها قوات الجيش الإسرائيلي على السكان الفلسطينيين، مما يسبب لهم الكثير من المشقة، حيث تحرمهم من كسب أقواتهم، وممارسة حياتهم بشكل طبيعي، تقول أحداث هذه الطرفة (مرة مره طالعة في منع التجول لقاها الجيش قالها: وين رايحة؟ قالتله: "بدي أجيب أكل

---

(١) الدار دار أبونا، ص٩٨.

(٢) السابق، ص١٢٢.

(٣) السابق، ص١٠٠.

لأولاد ابني"! قال الزابط: ممنوع روحي عالبيت! والله إذا ما حدت بـضربك! قالهـا: تعـالى اضربي تشوفك! أجت المرة هجمت على الزابط ونزلت فيه ضرب، أجـا جنـدي وضـربها بالعوزي، وقعت على الأرض راح الجندي شلح أواعيه ورمى الطاسة وتمدد جنبهـا، راحـت المرة مسكت رقبته وبدها تخنقه، صار يصرخ ويبكي، أجا الزابط والجنود يشدوا فيهـا مـش قادرين يفلتوا أيديها، أجو النسوان خلصوا الجندي منها وأخذوها!!!)[١].

٥- وأما هذه الطرفة فإنها تشهد على رفض الفلسطيني لتصرفات الجنود الإسرائيليين، حينمـا يلجأون إلى التحطيم المتعمد، والتدمير المقصود للممتلكات، والمقتنيات الخاصة، ذلك أنه يروى (مرة قام الجيش باقتحام قرية عبوين، فدخل جندي على بيت في القرية، وقام بتفتـيش البيـت، وهو خارج دقت بندقيته بقزاز البراندا فبدأ يكسر الزجاج بكعب البندقية، فقال صاحب البيـت: ليش هذا العمل؟! فعاد الجندي وكسر جهاز التلفزيون، فقال له صاحب البيت: كسّر كسّر! مـا هي الانتفاضة بتدفعلنا كل اللي بتكسر! فخرج الجندي من البيت غاضباً)[٢]. رفـض للعربـدة الإسرائيلية.

٦- ومما يروى في مجتمعنا الفلسطيني من طرائف الـرفض- ولكنهـا فـي غيـر المجـال السياسي- ما يتردد على ألسنة الظرفاء الفلسطينيين، حيث "ذهب أحدهم إلى البحر، فوجد فتـاة تغرق، وكانت تطلب النجدة، فقال لها: هات "إيدك"، فردت بكبرياء: اطلبها من أبوي!!!". ممـا يدل على أن الفلسطيني يرفض الشيء- حتى ولو كان أمراً محبباً- إن جاء بطريقة ملتوية.

٧- (السيدة: إنني يا دكتور قلقة على ابني .... إنه يقضي معظم أوقاته فـي الحديقـة يلعـب بالطين.

- الطبيب النفسي: إن هذا الأمر لا يدعو إلى القلق كثيراً، فمعظم الأولاد يلعبون بالطين.

- السيدة: إن هذا لا يعجبني يا دكتور .... كما لا يعجب زوجة ابني!!!)[٣]. والدلالـة تعـود الفلسطيني رفض التصرفات الشاذة وغير السوية.

٨- (في مدينة الخليل في بداية الانتفاضة، كان الشباب يطلبوا من المحـلات التجاريـة إنهـا تسكر، وبعدين بيجي الجيش يقول: افتحوا، وتتكرر العملية كل يوم عدة مـرات. يـوم كـان صاحب دكان، رجل كبير في السن مسكر محله، وواقـف أمامـه، أجـا الحـاكم العـسكري الإسرائيلي، وطلب منه أن يفتح محله، فقال للحاكم: "الحاكم العسكري طلب منـي أن أسـكر"، فرد الحاكم العسكري: أنا حاكم عسكري منطقة الخليل، وأنا ما طلبت منك تسكر؟ فقال الرجل:

---

[١] السابق، ص٩٤.

[٢] السابق، ص٩٧-٩٨.

[٣] موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٥٤.

لا مش أنت، الحاكم العسكري الفلسطيني!!!)[١]. وهكذا يرفض الفلسطيني الاحتلال وحكّامه، ولا يعترف بشرعيتهم.

## الرفض في الرواية:

يتجلى الرفض - كأوضح ما يتجلى - في رواية "رجال في الشمس" للروائي "غسان كنفاني" التي رأت النور عام ١٩٦٣، حيث أطال نقاد الراوية الوقوف أمام الصحراء التي تحدثت عنها تلك الرواية، والخزان الذي حُشر فيه الركاب، وسائق الشاحنة - العاجز جنسياً - وموظفو الجمارك العراقيون والكويتيون، وأجمعوا على أنها (ترمز إلى المنفى والقبر والقيادة العاجزة والأنظمة، إنها رواية تقول للفلسطيني ماذا تنتظر؟ لماذا لا تنهض وترفض هذا الواقع؟ وتقول للفلسطينيين ألا دقوا جدران الخزان، لا تستقبلوا الموت صامتين، لا تستقبلوا الموت مكتوفي الأيدي، بل اصرخوا وافعلوا شيئاً)[٢].

## الرفض في قصيدة الشعر الفلسطينية:

ولم يكن الرفض - قطعاً - وقفاً على الطرفة، أو حكراً على الرواية، بل تجلى كذلك في القصيدة، وهذا هو الشاعر الفلسطيني يعبر عن رفضه للواقع الحزين بقوله[٣]:

| | |
|---|---|
| تلك انتفاضةْ شعبٍ ليس يوقفُها | زخُّ الرصاصِ الذي ينهالُ كالمطرِ |
| لن يطفئَ الشمسَ "باراك" وعصبتهُ | أو يغلبَ البحرَ ما شادوا من الجُزُرِ |
| زغرودةُ النصر فوقَ الأهلِ صارخةٌ | لا للخضوع ولا للضعف والَخورَ |
| لا لن يدنسَ "شارون" وعصبتُه | مسرى النبي الذي قد زيّن بالسورِ |

كما يُقرأ الرفض في قصيدة "شباب الانتفاضة" للشاعر سليم الزعنون حينما يقول[٤]:

| | |
|---|---|
| لا لن يدومَ المستحيل، | سينجلي الليل الطويلْ |
| هذا شبابُ الانتفاضةِ | حولَ أقصانا يجولْ |
| يستعملُ السكينَ والأحجارَ | في وجه الدخيلْ |

وكذلك يُلمح الرفض في قصيدة "طفل الحجارة" حينما يقول شاعرها[٥]:

| | |
|---|---|
| لا ... لا ... لمؤتمرٍ يبيعُ ويشتري | شعباً ... نَمتُه ...كرائمُ الأَوطانِ |

---

[١] الدار دار أبونا، ص٩١-٩٢.

[٢] د. علي محمد عودة: الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ط٢ ١٩٩٧، ص٤٢-٤٣.

[٣] وهكذا نطق الحجر، ص٣٣-٣٤.

[٤] السابق، ص٧٠.

[٥] السابق، ص١٠٢.

لا ... لا ... لمؤتمرٍ يبيعُ ولم يكن          وطنٌ يُسامُ بأبخسِ الأثمانِ
لا ... لا ... لمؤتمرٍ يغيّبُ قدسَنا          فالموتُ أقربُ من جديد هوانِ

وهذا رفض قاطع للسلام الزائف الكاذب، للسلام السراب الذي يكرس الاحتلال، ولا يعيد الأرض السليبة، يقول د. "رجا سمرين" في قصيدة قالوا وقلت"، وهي قصيدة طويلة، أقتطف منها[١]:

لا للتضامنِ إن لم تكن غاياتُه          تمزيقَ عِرضي واستلابِ ردائي
لا لن أواخي من غدا ديناً له          تقتيلُ أطفالي وذبحُ نسائي
لا للوفاقِ على حسابِ مساجدي          وكنائسي وقوافلِ الشهداءِ
قالوا التنازلُ قلت لا لتنازلٍ          عن عزّتي وكرامتي وإبائي

ومن شعراء فلسطين الذين مالوا إلى الرفض "عبد الرحيم محمود"، غير أن رفضه جاء مختلفاً عن رفض زملائه، إنه رفض يختص بالحب والغرام، ومَن يتصفح ديوانه- وأشعاره الإنسانية بالذات- يجده شاعراً معتزاً بنفسه، مملوءً بالسمو والاعتلاء، ورفضه ينصب على خيانة الحبيبة والغيرة عليها، فقصيدة "راح الذي بيننا" يصور فيها خيانة حبيبته له، ويؤكد لها أنه أناني، ولذا فقد أُحرق قلبه، ويطلب إليها أن تطوي صفحة الماضي، يقول[٢]:

كتابُ ماضيك أَسىً كلُّه          لا تقرئي منه بل اطوي الكتابْ

أما قصيدة "مخلوقة أنتِ" فهو حوار بينه وبين حبيبته حيث يؤكد لها أنه سينساها ويبحث عن أخرى بعد أن خانته، يقول[٣]:

مخلوقةٌ أنتِ فلا تكبري          مثلُك بين الناس أَلفٌ مثيل

ثم يشك في علاقته ويتردد في حبه فيناقش قلبه لأنه يراها شيطانة، يصف ذلك بالقول[٤]:

وقلتُ: لكنْ زهرةٌ شمّها          قبلَك يا قلبُ كثيرُ العدد

ويزداد إصراره على هجرها ويرفض أن يكون خاضعاً لها، يقول في قصيدة "كبرياء الحب"[٥]:

وإذا حَنّ فؤادي للّقا          فسأجتثّ من الصدر الفؤادا

بل ويقرر أن يسحق هذا الحب سحقاً[٦]:

---

[١] د. رجا سمرين: ديوان، ط١، الكويت ١٤٠٥- ١٩٨٥، ص١٠ وما بعدها.

[٢] ديوان عبد الرحيم محمود، جمع وتقديم د. السوافيري، ص٢٠٢.

[٣] السابق، ص٢٠٧.

[٤] السابق، ص٢٨٨.

[٥] بين الالتزام والرفض، ص٤٨.

[٦] السابق، ص٤٨.

وقبلك هذا يا لَقلبكِ غادرٌ          سأسحقُه ثأراً لقلبي بأقدامي

## خامساً: المفارقة:

المفارقة عنصر رئيس من عناصر الحياة، ومكون أساس من مكوناتها الطبيعية، والحياة ملأى بالمفارقات الصارخة، وأول مفارقات الحياة هي الحياة ذاتها، إنها المفارقة الأولى والأخيرة، ذلك أن الإنسان ابن الأرض يخرج من رحمها ومن بين ضلوعها، ومع ذلك فهو - أحياناً - يتيه عجباً وخيلاءً بنفسه وهو يعلم أنه سيعود إليها يوماً، حيث يدفن تحت ثراها لتنهش جسده ديدانها. وهي تقنية تعبيرية في الأدب، ولها نظرية ودور في النصوص الأدبية، كما أن لها جمالها.

واختلف المنظرون حول أسبقية معرفتها لدى كل من العرب والغربيين، فهناك من يرى أن الغرب سبقونا في التعرف إليها، وبالتالي إلى استخدامها. وهناك من يرى أن العرب كانوا عرفوا المفارقة منذ عقود طويلة، وذلك تحت عنوان تأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح. وقد كثرت المفارقة في الأدب العربي عموماً - وفي الأدب الفلسطيني على وجه الخصوص - بسبب ما تعرض له الفلسطينيون من عناء، وشقاء، فأنتجت النكبة ومآسيها أدباً يعج بالمفارقات الغريبة العجيبة، ومن أشهر أدباء فلسطين تعريجاً على المفارقة الراحل "إميل حبيبي" والشاعر محمود درويش، والأديب غسان كنفاني، ومن العرب الجاحظ، والمتنبي، والهمذاني، والتوحيدي، ومن المحدثين توفيق الحكيم، والبياتي، وأدونيس، وسعد الله ونوس، ومن مشاهيرها في الغرب هوميروس، وأفلاطون، وشكسبير، وموليير وغيرهم.

## تعريف المفارقة وأهميتها:

يصعب على المرء إيجاد تعريف موحد وشامل للمفارقة، وذلك لأن مفهومها يجنح إلى الغموض، وقد أشار د. "بسام قطوس" إلى أصل نشأتها قائلاً (وعند البحث عن أصل معنى المفارقة نجد تشابهاً واضحاً بين الكلمة الإغريقية ''eironeia'' بمعنى الرياء، والتصنع والتمثيل والهجاء والسخرية، وتجريد الخصم من المميزات بطريقة هزلية، وبين ''paradoxos'' التي تدل على التناقض الظاهري على سبيل المجاز، ولكن بالفحص والتأمل تبين أن لها أساساً من الحقيقة)[١]. وقد اهتدى العرب إلى تعريف المفارقة حيث وصفوها بأنها (قول شيء والإيحاء بقول نقيض)[٢]. أو هي (رأي يحاول إثبات قول أو موقف يناقض موقف

---

[١] مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السابع، العدد الأول ١٩٩٢، ص٧٩- ٨٠.

[٢] الساخر والجسد، ص٩٣.

الآخرين الشائع)[1]. ولأن للمفارقة جمالها في النص فقد بدأ الكثير من الكتّاب يشعر بأهميتها وضرورة توظيفها في الكتابة، يقول "أناتول فرانس"- في معرض تعليقه على أهميتها- (إن عالماً بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور)[2].

## طرائف المفارقة الفلسطينية:

لم يوجه الفلسطينيون نكاتهم العدوانية إلى الجانب الإسرائيلي فقط، بل وجهوها كذلك إلى بعضهم البعض، خاصة إلى الذين لم ينخرطوا في صفوف رماة الحجارة، ونشطاء الانتفاضة، أي إلى المتقاعسين والمتخاذلين عن مقارعة الأعداء، حيث وجهت هذه النكات العدوانية إلى الأثرياء الذين تأخروا عن دعم الانتفاضة ولم يؤدوا ما عليهم من واجبات تجاه بلادهم. ومن طرائف المفارقة التي تعرض مواقف هؤلاء ما يروى ١- (أن أطفال حي الرمال يلفون الحجارة بمحارم الورق "كلينكس" قبل إلقائها على الجنود كي لا تتسخ أيديهم أو يحرقون إطارات السيارات على سدر نحاس حتى لا يتسخ الشارع أو يلقون الشوكلاته على الجنود بدلاً من الحجارة)[3].

٢- ومن الطرائف التي تحمل قدراً كبيراً من المفارقة، ما يروى حول المقدسيين ذلك أنهم (يرسمون خطاً بالطباشير على الشوارع بدلاً من وضع الحواجز ثم يقفون وراء الخط ويقولون للجنود: يلعن أبوكم يا كلاب يا نور انتو قتلتوا انكل "أبو جهاد"!)[4].

٣- والعديد من أمثال هذه الطرائف تتناول سكان المدن عموماً- وسكان الأحياء الثرية على وجه الخصوص- على اعتبار أن سكان المدن مرفهون، ميالون إلى الدعة واللين، ويتجنبون العنف والمقاومة، وهذه طرفة مفارقة أخرى تعكس مواقف أهالي المدن (يقال عن أهل نابلس إنهم بعد انتهاء المظاهرات في مخيم "بلاطة" القريب من المدينة يخرجون إلى البلاكين ويهتفون "نحن معكم، نحن نؤيدكم")[5]. وهي- إن صدقت- مفارقة غريبة حقاً، فهناك من يقاتل ويُقتل، وهناك من يكتفي بترديد عبارات التأييد والمؤازرة.

---

[1] د. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان ١٤١٣-١٩٩٣، ص٨١٣.

[2] د. سي. ميويك موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون ١٩٨٧، ص١٨.

[3] الدار دار أبونا، ص٩٨-٩٩.

[4] السابق، ص٩٩.

[5] السابق، ص٩٩.

٤- (دخل أستاذ الطب النفسي الشهير إلى عيادة أحد الأطباء النفسيين وقال للطبيب: افحصني أرجوك.

قال الطبيب: ولكنك أستاذنا وبنفس الاختصاص، لماذا لا تدرس أنت حالتك المرضية؟

قال الأستاذ: لأن أسعاري مرتفعة جداً)[١]. إنها المفارقة المضحكة المبكية حقاً.

٥- (ضبط المدرس تلميذاً يأكل المكسرات.

المدرس: أولاً: أنت لم تنتبه إلى الدرس.

ثانياً: وسخت الفصل.

ثالثاً: أعطيني شوية!!!)[٢]. وهي مفارقة مضحكة- بالطبع لأنها انتهت بغير المتوقع.

٦- ( ومن المفارقات المضحكة كذلك ما يروى ( سأل القاضي ثلاثة عن أسمائهم، فقالوا:

- اسمي سراج.
- اسمي شعلة.
- اسمي فانوس.

فقال القاضي: نورتم المحكمة!!!)[٣]. وتطلّ المفارقة من خلال ترحيب القاضي بهم، وهو ترحيب جاء على غير العادة وغير المتوقع.

٧- ويسوق الباحث هذه الطرفة التي تكشف زيف بعض المتحمسين للدين، وقد لجأت إلى المفارقة أو التناقض الملموس، تقول أحداثها إن (إماماً في الجامع يدعو الناس إلى لبس الحجاب، فنهض رجل من عامة المصلين، وقال له: يا شيخنا، إن ابنتك في الشارع تمشي على آخر موضة! فرد الإمام فوراً: المقصوفة يليق لها!!!)[٤]. وتبدو المفارقة في دعوة الإمام إلى الستر، وارتداء الحجاب الشرعي، ولكن لما كانت ابنته تخالف ذلك، فقد ناقض نفسه وتراجع، مُعَلّلاً ذلك بملاءمة تلك الملابس لابنته.

٨- (سُئل شيخ عن حكم الشرع في حائط بال عليه حمار، فقال: يُهدم فوراً. فقيل له: ولكن الحائط يعتمد عليه أساس بيتك، فأجاب من فوره: يُغسل الحائط سبع مرات فيطهر بإذن الله!!!)[٥].

---

[١] موسوعة طرائف ونوادر، ص٣٤.

[٢] مجلة اضحك، ص١٩.

[٣] السابق، ص١٩.

[٤] النكتة العربية، ص١٠٩.

[٥] السابق، ص١٠٩.

**المفارقة في النثر والشعر الفلسطينيين:**

يعثر المرء على كثير من المفارقات الصارخة في كتاب "ذاكرة للنسيان" "لمحمود درويش"، هذا الكتاب الذي روى قصة حصار "بيروت" على يد الإسرائيليين عام ١٩٨٢، وأشار إلى كيفية خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان. ومن مفارقات "درويش" في هذه الكتاب قوله (أريد جنازة حسنة التنظيم، يضعون فيها الجثمان السليم، لا المشوه، في تابوت خشبي ملفوف بعلم واضح الألوان الأربعة، ولو كانت مقتبسة من بيت شعر لا تدل ألفاظه على معانيه، محمول على أكتاف أصدقائي وأصدقائي - الأعداء - وأريد أكاليل من الورد الأحمر والورد الأصفر: لا أريد اللون الوردي الرخيص، ولا أريد البنفسج لأنه يذيع رائحة الموت، وأريد مذيعاً قليل الثرثرة، قليل البّحَّة، قادراً على ادعاء حزن مقنع. يتناوب مع أشرطة تحمل صوتي بعض الكلام، أريد جنازة هادئة واضحة وكبيرة ليكون الوداع جميلاً، وعكس اللقاء، فما أجمل حظ الموتى الجدد في اليوم الأول من الوداع، حين يتبارى المودعون في مدائحهم، فرسان ليوم واحد، محبوبون ليوم واحد، أبرياء ليوم واحد... لا نميمة ولا شتيمة ولا حسد، حسناً وأنا بلا زوجة وبلا ولد، فذلك يؤخر على بعض الأصدقاء جهد التمثيل الطويل لدور حزين لا ينتهي إلا بحنو الأرملة على المعزي. وذلك يوفر على الولد مذلة الوقوف على أبواب المؤسسات ذات البيروقراطية البدوية. حسن أني وحيد ... وحيد ... وحيد لذلك ستكون جنازتي مجانية وبلا حساب مجاملة فينصرف بعدها المشيعون إلى شؤونهم اليومية. أريد جنازة وتابوتاً أنيق الصنع، أطل منه كما يريد توفيق الحكيم أن يطل على المشيعين ... أسترق النظر إلى طريقتهم في الوقوف، وفي المشي، وفي التأفف، وفي تحويل اللعاب إلى دموع...)[١].

وقد تضمن وصفه لأمّه الكثير من المفارقات الكبرى، يقول واصفاً ملامح والدته، وبعض طباعها (كانت جميلة وقاسية تنشر الرعب في البيت، وحينما تكون وحدها تبكي بلا مناسبة، وبلا انقطاع، وتهدهد أختي الصغيرة بأغان شجية تذكر فيها سوء الطالع والحنين إلى أشياء ضائعة كأنها مزامير بدائية، لم تذهب يوماً إلى أعراس القرية، ولكنها أول من يذهب إلى جنازة في القرية والقرى المجاورة، عاجزة عن الفرح، قادرة على البكاء...)[٢]. وتبدو المفارقة الصارخة في أن أُمّه ذات جمال ودلال، ولكنها قاسية القلب، وهي لا تشارك في الأفراح، ولكنها تداوم على حضور المآتم، وهي لا تستطيع الفرح، لكنها قادرة على النواح. ومن مفارقات عَمّه (كان عمّي ينفذ وعد "هرتزل" فيعمل أجيراً عند سكان المستوطنة التي قامت

---

[١] محمود درويش: ذاكرة للنسيان، ط١، دار الأسوار، عكا ١٩٨٧، ص٢٢-٢٣.

[٢] خالد سليمان: المفارقة في شعر محمود درويش، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٣، العدد الثاني ١٩٩٥، ص٢١٩.

على أرضه وأرض أبيه في أعمال البناء والترميم والفلاحة وغيرها من الأعمال السوداء التي لم يتعود عليها اليهود، ولا يحصل على جائزة لأنه لم يحمل لهم جلد الأفاعي وبيضها، ولكنه كان يسرق عنقوداً من العنب من الدالية التي غرسها وصارت ملكاً لليهود، وفي المساءِ يجتمع أهل البيت ليوزع العنقود حبة حبة...)[١]. وهل هناك مفارقة أكبر من أن يعمل المرء أجيراً في أرضه وأرض أبيه وجده؟، كذلك تجلت المفارقة في العنب الذي كان يسرقه من الكرم الذي زرعه بيديه، كذا في عمله في ميدان البناء والزراعة داخل المستوطنة، وكأنه بعمله هذا يحقق لليهود أحلامهم وطموحاتهم.

هذا وتغص قصائد "محمود درويش" بالمفارقات العجيبة، ففي قصيدة "كان ما سوف يكون" يلفي المرء مفارقة غريبة، والقصيدة تتحدث عن معاناة الشاعر الفلسطيني الراحل "راشد حسين"، الذي فضّل الهجرة من بلاده، ليعيش ويموت وحيداً في الغربة، لكنه كان التقى- في أحد المطارات العربية- بالشاعر "محمود درويش"، فأنشأ الأخير يقول[٢]:

والتقينا بعدَ عام في مطارِ القاهرة
قال لي بعد ثلاثين دقيقةً:
"ليتني كنتُ طليقاً
في سجونِ الناصرة"

كما نصادف المفارقة في قصيدة أخرى من قصائده، حينما يقول[٣]:

وقد فتّشوا صدرَه
فلم يجدوا غيرَ قلبهِ
وقد فتشوا قلبَه
فلم يجدوا غيرَ شعبهِ
وقد فتشوا صوتَه
فلم يجدوا غيرَ حزنهِ
وقد فتشوا حزنَه
فلم يجدوا غيرَ سجنهِ
فلم يجدوا غيرَهم في القيود

وقد اشتملت رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" "لإميل حبيبي" - التي أشار إليها الباحث عند تناوله للسخرية- على عدد كبير من المفارقات، ولا غرابة في

---

[١] السابق، ص٢١٩.
[٢] ديوان محمود درويش: المجلد الأول، دار العودة، ط١٤، بيروت ١٩٩٤، ص٦٠٢-٦٠٣.
[٣] مجلة أبحاث اليرموك، ص٢٢٧.

ذلك "فإميل حبيبي" من ملوك المفارقة والسخرية في الأدب الفلسطيني حيث لا يكاد يخلو عمل من أعماله- رواية أو مسرحية- من غرائب المفارقات وعجائبها، وأول مفارقة في "المتشائل" عنوانها، فهو سعيد وأبو النحس في آن واحد، وهو المتشائل أي الذي يقف بين المتفائل والمتشائم. وثانيها ما يتعلق "بباقية"- وهي إحدى شخصيات الرواية- فقد أنجبت ولداً وأرادت أن تطلق عليه اسم "فتحي" لكن سلطات الاحتلال ممثّلة برجل المخابرات "يعقوب" تتدخل وتطلق عليه اسم "ولاء" وهو اسم يرمز- بالطبع- إلى رغبة اليهود في جعل مواطني الدولة من العرب موالين لهم، وتحدث المفارقة العظمى حينما يتمرد "ولاء" على سارقي أرضه ومحتلي بلاده فينخرط في العمل الفدائي، وينظم سرية لمهاجمة الإسرائيليين، غير أن أهم مفارقة في هذه الرواية، هو ما حدث يوم ٥ يونيو عام ١٩٦٧ حينما هُزمت الجيوش العربية في ساعات، لكن هذا اليوم المشؤوم كان له فضل ونعمة- وهنا تكمن المفارقة- حيث جمع فلسطينيي ١٩٤٨ بإخوانهم فلسطينيي ١٩٦٧ ولا شك أنها مفارقة تجلب الدموع والابتسامات في وقت واحد.

وإذا كان الأديب "إميل حبيبي" قد مَلَكَ ناصية المفارقة في النثر، فقد ملكها- وبلا منازع- "إبراهيم طوقان" في ميدان الشعر، حيث كان سخّر مفارقاته لمجابهة الأعداء من اليهود، ومن سماسرة بيع الأراضي من العرب، ومن مفارقاته اللفظية تهكمه من بائعي الأرض لليهود والسماسرة، يقول(١):

أنتم (المخلصونَ) للوطنيهْ — أنتم (الحاملونَ) عبءَ القضيهْ
ما جحدنا (أفضالكم) غيرَ أَنَّا — لم تزلْ في نفوسِنا أمنيّهْ

ومن مفارقاته ما ورد في قصيدة "إلى ثقيل"(٢):

أنتَ (كالاحتلالِ) زهواً وكبْراً — أنتَ (كالانتدابِ) عُجباً وتيها
أنت (كالهجرةِ) التي فرضوها — ليس من حيلةٍ تقويك فيها
أنت أنكى من بائعِ الأرضِ عندي — أنتَ (أعذارُه) التي يدّعيها
لك وجْهٌ كأنّه (وجهُ سمسارٍ) — على شرطِ أن يكونَ وجيها

ومن مفارقاته الدرامية- أخيراً- قوله مخاطباً أبناء الشعب الفلسطيني كي يفيقوا من سباتهم، ويعرفوا حقيقة ما يُدبر لهم، يقول في هذا الشأن(٣):

وطنٌ يُباع ويُشترى — وتصيحُ فليحيى الوطن

---

(١) إبراهيم طوقان، الأعمال الكاملة، ص٢١٩.

(٢) السابق، ص٢١٥.

(٣) السابق، ص٨٩.

# الفصل الرابع:السمات الفنية

أولاً: البنية اللغوية.

ثانياً: البنية الإيقاعية.

ثالثاً: البنية التصويرية.

## أولاً: البنية اللغوية للطرفة:

اتسمت لغة الطرفة في الأدب العربي بتميزها الخاص من ناحية المبنى عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، واتصلت بها ظواهر لغوية وفنية، ومن هذه الظواهر البنية اللغوية، التي اتسمت لغتها - مِن حيث المفردات والتراكيب - بالتكثيف في التعبير الناتج عن انتقاء المفردات، وتزاحم الصور، وتكرار التركيب اللغوي، وتنوع الأسلوب، فاتسعت مساحة الدلالة، وانفسح مجال الإيحاء، فبرزت في الطرفة المفردات اللغوية ذات المعاني المشتركة، حيث أن النص الفكه - سواء أكان مقالة أم قصة أم طرفة أم بيتاً من الشعر - يطلعنا على خواطر الناس، ذلك أنه (يوصل البلاغة بالحياة الفعلية حين تعجز خطوط الكلام الجاد المعتاد)[١].

ويُلاحظ أنه كلما كان الكاتب أو الأديب أو الشاعر أو الفنان مسيطراً على اللغة، كلما أحسن التصرف في الألفاظ، وأحسن الخروج على مواضعاتها[٢]في الاستعمال، أو في بناء الجملة، أو التراكيب، وهذا إزاء الانفعال الحاد، والعواطف المستثارة، وذلك من أجل أن يفي التعبير حقه، والفكرة مداها، ومن الألفاظ التي تبعث على الضحك، والمرح، والطرافة، ما يستغربها السامع، وإن كانت تؤدي دوراً لطيفاً، وطريفاً (ففي قصة طريفة تُروى عن علي بن عيسى النحوي، قالوا: إنه سقط عن حماره، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنةٍ، افرنقعوا. وأظن أن علي بن عيسى - وكان حسن التخلص، جيد المداعية - إنما اصطنع هذه الألفاظ، ليشغل بها الذين أحاطوا به وليصرفهم بهذه الدعابة)[٣].

وأخرى (سرق الصقر قميص جحا، وهو منشور على حبل الغسيل، راح جحا لزوجته، يصفق من الفرح، فسألته عن سبب فرحه، فأخبرها أن الصقر سرق قميصه، قالت: وهل هذا مما يفرح؟ قال جحا: طبعاً، لأنني لو كنت بداخله لسرقني معه)[٤].

ومن خصوصية الطرفة في الأدب، إعادة صياغتها مع كل مرة يُعاد فيها السرد، ولو كان التغيير بسيطاً، كجزئية محددة في الطرفة، أو الشخصية فيها، أو تغير بعض المفردات.

---

[١] عبد العزيز سيد الأهل: النكتة المصرية، دار العلم للملايين، بيروت (د. ت)، ص٨٢.

[٢] المواضعات اللغوية هي ما تواضع عليه الناس في استعمال الألفاظ، فالناس قد تواضعت على الغزال اسماً للحيوان المعروف، والكواكب اسماً لهذه الأجرام النيرة في السماء، إلا أن الشاعر يخرج عن هذا العرف اللغوي، فيسمي المحبوبة غزالة، وهذا الخروج على العرف اللغوي يُسمى مجازاً.

[٣] محمد حسنين أبو موسى: دلالات التراكيب، منشورات جامعة قار يونس، ط١، بني غازي ١٩٧٩م، ص٣٦-٣٧.

[٤] النكتة العربية، ص١١٤.

لقد أخذ (معظم علماء الفلولكور يهتمون بدراسة القالب اللغوي الظاهري. والقالب اللغوي للنكتة ليس ثابتاً، وليس له صيغة تقليدية متفق عليها، بل إنه يُغير، وتُعاد صياغته في كل مرة يعاد فيها سرد النكتة)(١).

## بنية النكتة:

سعى باحثون ومتخصصون كثيرون إلى تحليل البنية الخاصة بالطرائف والنكات، كي يقفوا على الأسباب التي تجعلها قادرة على إثارة الضحك، ومن هؤلاء عالم النفس النمساوي الشهير "فرويد" الذي رأى (إن بنية النكات تقوم على أساس ميكانزمات دفاعية خاصة، تنعكس في البنية الشكلية للنكتة، ومن هذه الميكانزمات:

**التكثيف**: حيث يتم الدمج بين الكلمات والأفكار، من أجل إحداث أثر مضحك من شكل الكلمة الجديدة، وكذلك المعاني المزدوجة، أو التوريات)(٢).

ومن الطرائف الفلسطينية التي اتكأت على التورية، الطرف التالية (مرة واحد من القدس ذهب عند جاره، ليذبح دجاجة، فقال له: أعطني سكيناً ماضياً، فقال له: متأسف عندي سكين مضارع)(٣). وكذلك (قالت المعلمة لطفل صغير: ما اسمك؟ فأجابك اسمي في وجهك يا معلمتي. فقالت له: اقعد يا جميل، فأجاب: متأسف: اسمي عبد)(٤).

وكذلك (القاضي: ما اسمك؟

المتهم: علي خوخ.

القاضي: ما عنوانك؟

المتهم: خان البطيخ.

القاضي: في أي الشوارع؟

المتهم: في حارة الموز.

القاضي: براءة، فأنت من خيار الناس)(٥). وقد كانت التوريات (ماضي- جميل- خيار) على التوالي، السبب في إثارة الضحك.

---

(١) الدار دار أبونا، ص١٠٣.

(٢) الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٣٩٤.

(٣) مجلة اضحك، ص٢٢.

(٤) السابق، ص٢٦.

(٥) السابق، ص٤١.

وهذه طرائف فلسطينية اعتمدت الجناس، تقول الأولى (قال الضابط للجنود: للأمام سِر، وهنا قاطعه أحد الجنود قائلاً بسذاجة: وما هو هذا السر يا سيدي؟)[١].

ومنها أيضاً (الأول: متى كان عيد ميلادك؟

الثاني: أنا من مواليد الاثنين.

الأول: أي اثنين؟. الثاني: أمي وأبي)[٢]. والذي أثار الضحك فيهما اشتمالهما على الجناس في كلمتي سر - اثنين.

ومن الطرائف التي كان الطباق مبعث الضحك فيها، الطرفة التالية:

(مرة واحد وقفت ساعته، حط لها كرسي تقعد عليه)[٣].

ومن الطرائف التي استندت على التلاعب بالألفاظ، الطرفة الآتية: (مرة واحد اسمُه برميل، ذهب الى صاحبه، طرق الباب، فسأله صاحبه: مَنْ أنت؟ قال: برميل. فقال له صاحب البيت: ادْحَل)[٤]. وهكذا كان التلاعب باللفظ "ادحل" سبباً في انبعاث الضحك.

وهناك غير التكثيف ما يسمى بالإزاحة أو الإبدال، وقد مثل فرويد لها بالطرفة التي ملخصها ما يلي (اقترض رجل فقير مبلغاً من المال، من أحد أقاربه الأثرياء، مؤكداً له أنه يمر بظروف شديدة الصعوبة. وفي اليوم التالي وجده جالساً في أحد المطاعم الفخمة، وأمامه طبق كبير من سمك السالمون بالمايونيز، وكان مستغرقاً في تناوله باستمتاع كبير، فاقترب الثري منه، وقال له: ماذا؟ هل اقترضت المال مني كي تتناول السالمون بالمايونيز؟ هل هذا ما أنفقتَ نقودي فيه، فأجاب المفلس: أنا لا أفهمك، فأنا إذا لم يكن لديَّ أي مال، لن أستطيع أن أتناول السالمون بالميونيز، وإذا كان لديّ مال قليل، لا ينبغي أيضاً أن أتناول السالمون بالمايونيز، فمتى أستطيع أن أتناول هذا السمك الذي أحبه؟)[٥]. والطرفة المتقدمة تخلو من المعاني المزدوجة، كما أنها تخلو من التلاعب بالكلمات، وكل ما يسترعي الاهتمام فيها هو التعليق الموجود الذي ردده الرجل الفقير، ذلك أن إجابته تكشف عن لون من ألوان الحجج غير المنطقية، حيث تجاهل الموضوع الأصلي، وتجاهل السؤال الأساس الذي وُجه إليه، وقام بتحويل الموضوع الأصلي الذي بدأت به النكتة، وبعبارة أكثر وضوحاً فإن الذي أثار

---

(١) السابق، ص٣٢.

(٢) السابق، ص٣٣.

(٣) السابق، ص٣٥.

(٤) السابق، ص٢٩.

(٥) الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص١٣٤.

الضحك، هو رد المعوز الفقير، حيث تضمن إبدالاً للإجابة المتوقعة، بإجابة أخرى مما استدعى الضحك، وهذا ما يسمى بالإزاحة أو الإبدال، كما تضمنت النكتة أيضاً نوعاً من الاختزال.

وعند باحثين آخرين غير فرويد (فالنكتة وحدة من وحدات الخطاب، أي أنها شكل سردي يشتمل على مكونين أساسيين هما: البدء بتكوين توقع ما في المرحلة الأولى، فالمرء الذي يستمع للنكتة، يستخدم معرفته الخاصة في تكوين تنبؤ بما سيحدث لاحقاً في مسار هذا السرد، والحد المثير للضحك، ويرتبط بحدوث الدهشة نتيجة لوقوع أمر انتهك حالة التوقع السابقة، أو غير مسارها، بطريقة غير متوقعة، إن ما يحدث هنا هو أن ذلك التوقع الأول يتبدد أو يخيب، في حين يحضر بدلاً منه عند حد الضحك أمر آخر يدركه المستمع، على أنه متناقض في معناه)[١].

ومن أنصار الرأي السابق "جريج دين" في كتابه الموسوم "الكوميديا من وقوف" والذي دار في مجمله حول التقنيات التي يلجأ إليها الظرفاء، الذين يلقون النكات في المسارح والنوادي، حيث اشتمل الكتاب على نصائح قدمها المؤلف آنف الذكر لتكوين النكات... وفي رأيه أن النكتة عبارة عن (قصة تشتمل على حكايتين صغيرتين، تتعلق القصة الأولى فيهما بالانطلاق حيث يحدث التوقع، ويتراكم، وتتعلق القصة الثانية بما يحدث عند حد الضحك، حيث تحدث الدهشة)[٢]. ومثال ذلك ما ورد في كتاب أدب النكتة، حيث (نزل أحد الأدباء في فندق، ولما سأل عن أجرة الغرفة، قيل له: مئتا درهم، فقال الأديب: أليس عندكم امتياز خاص للأدباء؟ فقيل له: نعم، نطلب منهم أن يدفعوا مقدماً)[٣]. وقد تكونت النكتة السالفة من قصتين صغيرتين، الأولى وقد ارتبطت بالتوقع الخاص بالحدث المتعلق بالأديب الذي نزل في أحد الفنادق، وطلب امتيازاً خاصاً به كأديب، وكنا نتوقع تخفيضاً في الأجرة، أو أن تمنح له غرفة متميزة، أو غير ذلك، أما الثانية فهي ترتبط بالدهشة الناتجة من ذلك الرد غير المتوقع، حيث تحول الامتياز الخاص إلى ما يشبه الاتهام للأدباء بأنهم لا يدفعون الأجرة، ومن الالتقاء بين هاتين القصتين، ومن نجاح المرء في إدراك العلاقة الملتبسة المغايرة الجديدة غير المتوقعة بينهما، ومن ذلك التحول المتناقض في المعنى قد يحدث الضحك.

---

(١) السابق، ص٣٩٤-٣٩٥.

(٢) السابق، ص٣٩٥.

(٣) بو علي ياسين: بيان الحد بين الهزل والجد، دراسة في أدب النكتة، دار المهدي للثقافة والنشر، دمشق ١٩٩٦، ص١٧٩.

## أنماط بنية النكتة:

عرّج الكاتب "بوعلي ياسين" على بنية النكتة، فتحدث عنها، وحدد لها سبعة عشر نمطاً، سيكتفي الباحث بذكر أهم هذه الأنماط.

١ - **نمط تبادل الأدوار**: من الأمور العادية في الحياة أن يهزم القويُّ الضعيف، وأن يتغلب الكبير على الصغير، وأحياناً يحدث في الطرائف عكس ذلك، حيث تقلب الأدوار فيصبح الضعيف قوياً، والقوي ضعيفاً، ومثال ذلك بعض الطرائف التي تضفي ذكاءً على الفار، وغباءً على الفيل، أو مثل النكتة التي تقول (أراد عصفور تعليم ابنه أن يحترس من بني آدم، فقال له: إذا رأيت ابن آدم انحني نحو الأرض، فاعلم أنه ينوي أن يلتقط حجراً ويرميك به... فقال له ابنه: وإذا كان الحجر في جيبه؟)[١]. وهكذا يكون الابن قد حلّ محل الأب، وحدثت نقلة من المسار العادي، إلى مسار استثنائي غير متوقع.

٢ - **نمط القياس على الخطأ**: ومثاله الطرفة التي ملخصها (قيل إن رجلاً أوثقه الناس، وحملوه حياً ليدفنوه وهو يصيح في النعش مستغيثاً بقراقوش، فلما سمع قراقوش، ترك المشيعين يمشون به، وقال له: ويحك! هل أصدقك، وأكذب مائة من ورائك؟)[٢]. الأمر الذي يعني أن الناس وقراقوش كانوا أخطأوا.

٣ - **نمط استغراب المألوف**: وفي هذا يحدث انتقال من أمر عادي إلى أمر طارئ، ومثاله هذه الطرفة (قالت الأم لابنها: كفى ضجيجاً وصخباً، اذهب إلى فراشك فأنا متعبة، فقال لها الابن: أنت متعبة يا أمي، فلماذا أذهب أنا إلى الفراش؟)[٣].

٤ - **نمط تداخل العوالم**: وتشرح تفاصيله الطرفة التالية (كانت امرأة تستمع في سهرة ريفية إلى أحد الأشخاص يسرد قصة عن جده، ثم شغلها شاغل عن المتابعة، وفي هذه الأثناء انتقل الرجل إلى رواية حادثة أخرى عن حيوان ابن آوى، وعندما عادت المرأة إلى متابعته مرة أخرى، سمعته ينهي القصة بقوله: ثم قفز على الدجاجة والتقطها وأخذ يفترسها، فسألته: مَن؟ جدك؟)[٤].فغيابها عن الجلسة أحدث لديها شيئاً من التداخل.

٥ - **نمط المواربة**: ويكون الوصول فيه إلى الهدف بطريق استثنائي، لا بالطريق الاعتيادي، ومثال ذلك ما يروى (سئل أبو نواس عن شعر الأمين، فعابه، فسجن أياماً، ثم نظم الأمين

---

(١) الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٣٩٨.

(٢) السابق، ص٣٩٨.

(٣) السابق، ص٣٩٨.

(٤) السابق، ص٣٩٨.

شعراً غيره وأسمعه أبا نواس، ليعطي رأيه فيه، فلما سمع أبو نواس الشعر، قام يجري، فقيل له: إلى أين؟ فأجاب: إلى السجن!!!)[1].

٦ - **نمط الحلقة المفرغة**: وهو ما يطلق عليه اسم النكتة الدائرية، حيث تدور أحداث النكتة في حلقة مفرغة، تؤدي بدايتها إلى نهايتها، وتؤدي النهاية إلى البداية، ومن أمثلة ذلك (سأل عامل إيطالي زميله: ماذا تفعل يا أنطونيو؟ أجاب: أكسر الحجارة، كما ترى، ولماذا تكسر الحجارة؟ لأحصل على النقود، ولماذا تطمع في النقود؟ لأشتري معكرونة، ولماذا تشتري معكرونة؟ لأقوي جسدي، ولماذا تقوي جسدك؟ لأكسر الحجارة!!!)[2].

## ومن خصوصيات أدب الطرفة:

١ - التقارب في الجغرافيا ومثاله (مرة واحد تركي تزوج يونانية طلع ابنهما قبرصي)[3].

٢ - من الأمور المستحيلة (مرة صيني تزوج صينية فخلفوا فناجين)[4].

٣ - إسقاط نعوت الماديات على الإنسان (اصطدم أصلعان مع بعضهما طلعوا شرار)[5]. وكذلك (مرة إبريق شاي زعل، صار يغلي من الزعل)[6].

٤ - وصف المادي بأنه كائن حي (منشار عمل رجيم، صار سكين)[7].

٥ - المفارقة في الحوار، حيث يكون الحوار بين اثنين، وأحياناً يكون أكثر من ذلك، فمن النوع الأول: (المعلم: السروال مثنى أم جمع؟ التلميذ: مفرد من الأعلى ومثنى من الأسفل)[8]. فالحوار كان في الطرفة الأخيرة بين شخصين، أحدهما استخدم أسلوب الاستفهام، فأجابه الثاني بمفارقة خلاف المتوقع. وهكذا ظهرت المفارقة والتباين لتظهرا الطرفة بشكلها الجمالي الرائع، مما أثار الدهشة الباعثة على الضحك.

ومن أمثلة الحوار بين أكثر من شخصيتين (دخل معلم جديد إلى الصف، وكان لابساً معطفاً مفتوحاً من الخلف، فقال تلميذ لزميله: أعتقد أن هذا الأستاذ أستاذ قواعد اللغة. فقال

---

(١) السابق، ص٣٩٨.

(٢) السابق، ص٣٩٨.

(٣) مجلة اضحك، ص٦٤.

(٤) السابق، ص٦٤.

(٥) السابق، ص٦٢.

(٦) السابق، ص٦٤.

(٧) السابق، ص٦٢.

(٨) السابق، ص٦٤.

الزميل: كيف عرفت؟ قال: من الفتحة الظاهرة على آخره)[1]. فالشخوص في الطرفة أكثر من اثنين (ثلاثة)، أما الحوار فقد دار بين اثنين، وانصبت الطرفة على الثالث وهو المعلم، وقد طال الحوار لتحدث المفارقة بصورة جيدة، حيث لم يكن متوقعاً أن تكون النتيجة تشبه المقدمة من خلال الاستفهام، ذلك أنها جاءت في صورة من اللفظ قريبة من صفات معلم اللغة العربية، وهي الفتحة الظاهرة على آخره، وليست على آخر الكلمة، فالمشترك بين المقدمة والنتيجة هي الفتحة، ولكن التناقض كان في نوع هذه الفتحة، حيث الأولى حركة إعرابية، والثانية قَصّة (فتحة) المعطف من الخلف، وهذا ما أثار الضحك.

وربما كان لسوء الفهم والتفسير الخاطئ للنكتة دور في إثارة الضحك، حيث يكون له دور فعال في لغة الطرفة، فقد (كتب الابن لأبيه: أرجوك يا والدي أن تراسلني على عنوان: ص. ب ٤٢، لم يفهم الوالد معنى ص. ب ٤٢، فسأل الجار عن ذلك، قال الجار: هذا ابنك بده منك ترسل له صندل بلاستيك نمرة ٤٢)[2]. حيث ظهرت المفارقة من خلال سوء الفهم، والخطأ في التفسير، ذلك أن ص. ب هي اختصار لصندوق البريد، لكن الجار فسرها بأنها تعني صندل بلاستيك، وظهرت بنية الطرفة اللغوية من خلال المقدمة (كتب الابن لأبيه)، والحوار (بين الأب والجار)، وكانت شخصيات الطرفة وهم الأب، والابن والجار، وكانت الإجابة غير المتوقعة، وهي التباين في حقيقة (ص. ب) وتفسير الجار لها، حيث بَعُدَ عن الفهم الحقيقي لـ (ص. ب.)، وقام بتفسيرها حسب هواه، مما جلب الضحك.

وقريب منها الطرفة التالية (مرة طالب راح اشتكى لأبيه، وقال له: المدرس كل ما يشوفني يحكي لي يا غبي، فذهب الأب إلى المدرسة، ودخل الصف، وقال للمدرس: ليش بتحكي لابني إنه غبي؟ قام المدرس وقال للولد: روح شوفني موجود عند المدير، راح الولد ورجع وقال للمدرس: أنتَ مش موجود عند المدير، عند ذلك غضب الأب، وصرخ في وجه ابنه قائلاً: يا غبي شوفه عند السكرتير)[3]. فالطرفة هنا ظهرت من الأب والابن الغبيين، وأظهر الحوار غباءهما.

ومن ميزات البنية اللغوية للطرفة: سهولة المفردات لتيسير فهمها، وهكذا فالبنية اللغوية هي الكيان الحي الحقيقي الذي يبعث الروح والحياة في الطرفة، وبدونها تصبح الطرفة دونما رائحة أو لون.

---

[1] السابق، ص٦٣.

[2] السابق، ص٦٢.

[3] مجلة السعادة، غزة، نكت عالماشي، العدد السادس يوليو ٢٠٠٣، ص٣٩.

## البنية الإيقاعية:

يجدر بالباحث أولاً أن يفرق بين مصطلحين في الشعر متشابهين، ألا وهما الوزن والإيقاع، حيث يخلط كثير من الناس بينهما، بسبب العلاقة الحميمة التي تربط كلاً بالآخر. وقد تنبه إلى ذلك د. محمد مندور فراح يفرق بينهما قائلاً: (فنحن نقصد بالوزن إلى كم التفاعيل. والوزن يستقيم إذا كانت التفاعيل متساوية، كما هو الحال في الكامل والرجز وغيرهما، أو متجاوبة كما هو الحال في الطويل والبسيط وغيرهما، إذ نرى التفعيل الأول مساوياً للثالث، والثاني مساوياً للرابع. وأما الإيقاع فهو عبارة عن تردد ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية محددة النسب، وهذه الظاهرة قد تكون ارتكازاً كما قد تكون مجرد صمت)[1]. الأمر الذي يعني أن الوزن يتحقق بالكم الزمني فقط، أما الإيقاع فإنه يعتمد على الكم الزمني والنبر، وهكذا يصبح الوزن عنصراً أساسياً في تكوينه.

لكن د. شكري عياد يرى أن الإيقاع أكثر شمولاً من الوزن، وذلك حينما عرّف كلاً منهما بالقول (فالوزن والإيقاع حركة منتظمة، والتئام أجزاء الحركة في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها شرط لهذا النظام، وتميز بعض الأجزاء عن بعض، في كل مجموعة شرط آخر، إذ إن سلسلة الحركات - أو الأصوات - إذا انعدمت منها هذه القمم المتميزة استحالت إلى مجرد تردد أو ذبذبة)[2].

وبالتالي فإن الإيقاع في الشعر لا يتأتى من الوزن فقط، وإنما يقف إلى جانب الوزن أيضاً، مكونات صوتية عديدة، تساهم بطريقة فعالة في تكوين الإيقاع وتناسقه، لكي يحدث ذلك التأثير الجمالي الفاعل لدى المتلقين.

يعلق د. محمد صلاح أبو حميدة على أهمية الإيقاع بالقول (إن الكلمة والأسلوب، والنظام، والوزن، والقافية، والنبر وغيرها، كلها وسائل فنية تتصل مع بعضها البعض لخدمة الإيقاع)[3].

وإذا كان الإيقاع في الشعر يتحقق بفضل تآزر كل من الوزن والقافية والكلمة والنبر وغيرها، فإنه يتحقق في النثر بفعل أمور أخرى، ستذكر في حينها. هذا وسيبدأ الباحث بتناول الإيقاع في الشعر أولاً، ذلك أنه يتجلى فيه أكثر مما يتجلى في النثر.

---

[1] د. محمد مندور: الشعر العربي، مجلة مكتبة الآداب، الإسكندرية ١٩٤٣، ص١٤٤.

[2] د. شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، ط١، دار المعرفة ١٩٦٨، ص٥٣.

[3] الخطاب الشعري عند محمود درويش، ص٣٢٦.

## الإيقاع في القصيدة الشعرية:

لما كانت اللغة أداة توصيل واتصال، فإن البنية الإيقاعية تتحقق من خلال الكلمات، سواء أكان ذلك في وظيفتها، أو معناها، أو في أصواتها وجرسها، وتصريفاتها، واشتقاقاتها، وإيحاءاتها، ودلالاتها، ومكانتها في السياق. إن الصور والعواطف والأحاسيس لا تصبح شعرية حقاً إلا بالموسيقى وقلبها النابض الوزن الذي يعمل عمل السحر في النص، حيث تسري الهزة الشعرية في مقاطع العبارات والجمل، ذلك لأن الوزن يخلق التوتر بين المكونات اللغوية في وجودها العادي خارج الشعر، ووجودها داخله. لذا فإن اللفظ والوزن هما المقياس الحقيقي للموسيقى، التي هي أساس في البنية الإيقاعية، لأن الموسيقى تدعو إلى انبعاث الألفاظ في العقل الباطن للشاعر، كما أنها تحيي عشرات الكلمات المطموسة المعالم أو الميتة غير المستعملة أو الوحشية. بإزاء هذه القيمة الفنية لموسيقى الشعر، يمكن للمرء أن يرى نمطين من الموسيقى في الشعر:

الأول: الموسيقى الخارجية التي تعتمد على التفعيلة.

والثاني: الإيقاع الداخلي الذي يفعل فعله في الموسيقى الخارجية من أجل توحيد النص. علماً بأن هناك عناصر أخرى لإدراك الإيقاع مثل (جرس الكلمات، ورنين القافية، وإيقاع التعبير. وموسيقى الوزن لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها إلى أغوار النفس، إلا إذا وضعت في مواضعها الإيحائية، وصدرت في إيقاعها وموسيقاها عن استجابة خالصة لأعماق النفس)[١].

ومثال ذلك ونموذجه بعض أبيات من قصيدة "أنتم" للشاعر إبراهيم طوقان، يقول فيها[٢]:

| | |
|---|---|
| أنتم (المخلصون) للوطنيهْ | أنتم الحاملونَ عبءَ القضيّهْ!! |
| أنتم العاملون من غيرِ قولٍ!! | بارك الله في الزنودِ القويّهْ!! |
| (وبيانٌ) منكم يعادلُ جيشاً | بمعداتِ زحفهِ الحربيهْ... |
| (واجتماع) منكم يردُّ علينا | غابرَ المجدِ من فتوحِ أُميّهْ.. |
| وخلاصُ البلادِ صار على الباب | ؛ وجاءت أعيادهُ الورديّهْ.. |
| ما جحدنا (أفضالكم) غير أنَّا | لم تزل في نفوسنا أمنيّهْ |
| في يدينا بقيةٌ من بلادٍ | فاستريحوا كي لا تطيرَ البقيّهْ |

يمتاز الشعر المغلف بأسلوب السخرية بموسيقية الإيقاع، وتتمثل في انتظام الوزن الواحد، والقافية الموحدة، والجرس الصوتي الذي تحسه وتسمعه الأذن، وتتأثر به لتحقيق

---

[١] عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ط١، الزرقاء ١٩٨٥، ص١٩.

[٢] إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢١٩.

المتعة الروحية، بجانب الهدف الحقيقي من السخرية ألا وهو هدم الواقع الأليم، من أجل بناء واقع جديد، لذا يوجه الشاعر- هنا- سهام سخريته الحادة إلى زعماء فلسطين، حيث بدأها بالخطاب الموجه مباشرة إليهم- وبأسلوب تقريري- مادحاً إياهم في بداية الأبيات، وهذا- بالطبع- بعد أن غلفها- من خلال الألفاظ- في وحدة نغمية مؤثرة، لأنها تمثل روح الشاعر وبراعته في اختيار الألفاظ الموحية وترابط الأفكار، وروعة التصوير. فقد سخر بداية من هؤلاء الزعماء باستخدام أسلوب التعريض الذي أبان أنه يقصد عكس الصفات المذكورة، فلا إخلاص ولا وطنية، ولا غير ذلك، فالزعماء لا يزيدون عن طبول فارغة، يجيدون الكلام، وتنقصهم الأفعال، وقد أبرز الشاعر سخريته منهم عن طريق تكرار ضمير الجمع المنفصل "أنتم"، ليؤكد على فعلهم السيئ، وقد استخدم إبراهيم طوقان المفردات مع تنكيرها، كي تتضح السخرية أكثر وأكثر مثل (وبيانٌ) و(جيشاً) و(اجتماعٌ) و(بلادٍ) و(بقيةٌ) وهذه المفردات المنونة ذات البعد الموسيقى، أثرت الأسلوب، ودلت على سيئ أفعال هؤلاء الزعماء الذين يكثرون من الاجتماعات، وإصدار البيانات دونما فائدة تعود على البلاد والعباد، وقد أظهر التناقض والتضاد الإيقاع الموسيقي وذلك عند قوله (العاملون من غير قول) و(بيان منكم يعادل جيشاً). وتبدو السخرية واضحة من خلال معاني المفردات والوزن في البيت، مما أعطاهما قوة بيانية، وقوة نغمية من خلال القافية المنتهية بالهاء الساكنة بعد الياء المشددة في مثل قوله:

وخلاص البلاد صار على الباب ؛ وجاءت أعياده الورديهْ...

ففي الشطر الأول من البيت، استعمل الشاعر كلمات فيها حرف الباء الذي هو من الحروف المهموسة، وقريب منه حرف الصاد، وذلك في الكلمات (البلاد- الباب) و(خلاص- صار)، ثم تبعه الشطر الثاني، حيث تجلت فيه النغمة الموسيقية القوية، من خلال حرف الياء المشددة والهاء والتاء (الورديّهْ- أعياده- جاءت)، فظهرت الموسيقى مؤثرة في النفس بعد الهمس وفعلت فعلها في النفس، لقد جاءت النغمة قوية لتشد هذه النفس إلى سوء أفعال هؤلاء الزعماء، فهي بعد انخفاض في الموسيقى، ارتفاع في صوتها، لتشد القارئ، وتجبره على الانفعال، ومن ثم أخذت السخرية تبدو شيئاً فشيئاً فيما تلاه من أبيات، فأفضال زعماء فلسطين لا ينساها أحد، إلا أن هناك أمنية في نفوس الشعب ما زالت باقية، وهي أن يستريح الزعماء كي لا تطير بقية الأرض، وهذا- في حد ذاته- قمة التعريض الذي أظهره الإيقاع في البيت الذي يقول:

في يدينا بقية من بلاد فاستريحوا كي لا تطير البقيهْ

إن قوة الإيقاع في الأبيات المتقدمة، تبدو من القافية التي انتهت بالتاء المربوطة الساكنة بعد الياء المشددة، كي تعطيها قوة في الإيقاع من خلال قوة في الالفاظ مثل (القضيه- القويه- الحربيه- أميه- الورديه- أمنيه- البقيه)، وأظهر الجناس السخرية في آخر الآبيات عند قوله (بقيه- البقيه). وكذلك استخدامه "أسلوب الأمر في قوله" فاستريحوا كي لا تطير"، أما الجملة الدعائية، فقد كست الأبيات شيئاً من الطرافة الممزوجة بالسخرية، وذلك في قوله "بارك الله في الزنود القويه". وفي قول إبراهيم طوقان "غابر المجد من فتوح أميه" استدعاء للتراث التاريخي، جيء به- هنا- كي تظهر السخرية بكل وضوح وجلاء.

إن تكرار الأصوات في النص، "أنتم المخلصون- أنتم الحاملون... أنتم العاملون" حيث أن تكرار الضمير "أنتم"، ووزن الفاعل ثلاث مرات، أشاعا إيقاعاً يمكن تسميته بالإيقاع الاهتزازي، وأقصد بذلك أن الإيقاع المتولد من هذا الصوت، أضفى نوعاً من الإيقاع القادر على التردد بين درجتين: الارتفاع الانخفاض، الأمر الذي أدى إلى انسجام الدلالة الاغترابية مع الخطاب الذاتي، الذي تشكل على نحو حوار داخلي "مونولوج". ثم في قوله "الوطنيه- القضيه- القويه- الحربيه- أميه- الوردية- أمنيه- البقيه". إن تكرار وزن الفعلية ثماني مرات، أشاع- هو الآخر- غنة إيقاعية، وهكذا تحقق الإيقاع الذي كان يمرّ في حالة تصاعد، إلى أن يصل المرء إلى البيت الأخير الذي ظهرت فيه السخرية بجلاء. لقد أدى الترتيب الإيقاعي إلى تحويل الانفعال إلى طاقة صوتية هامسة، امتازت بالجهد، أو أنها مجهدة للتنفس مما تتطلبه الأصوات المجهورة. وقد صدق بعض الأدباء الذين أطروا إبراهيم طوقان، ووصفوا شعره بأن له خمس ميزات هي (أولاها حسن تخير الألفاظ، وثانيها موسيقى الوزن والقافية، والثالثة خطاب الحس مباشرة وفي اقتضاب، والرابعة اتساع أفق الخيال، والخامسة توهج العاطفة)[١].

كما يتضح هذا الأمر أيضاً، في قصيدة "السماسرة"، وذلك حينما تصدى إبراهيم طوقان لهذه الفئة ساخراً منها، يقول[٢]:

| | |
|---|---|
| يا بائعَ الأرضِ لم تحفل بعاقبةٍ | ولا تعلمتَ أنّ الخصمَ خداعُ |
| لقد جنيتَ على الأحفادِ، والهفي | وهم عبيدٌ وخدامٌ وأَتباعُ |
| وغركَ الذهبُ اللماعُ تحرزُه، | إن السرابَ كما تدريه لمّاعُ |
| فكّر بموتك في أرضٍ نشأت بها | واترك لقبرك أرضاً طولُها باعُ |

(١) د. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص١٢٧.

(٢) د. عمر فروخ: شاعران معاصران إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي، ط١، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت ١٩٥٤، ص١٠٩.

حيث تظهر الموسيقى في الإيقاع، واستعمال قافية العين، لأن العين من الحروف السليمة، لتدل- بكل سخرية- على نقص من يسمسر في الأرض ببيعها، والمتاجرة فيها مع الأعداء. ويمثّل الباحث على ذلك بقول الشاعر: "خداع- أتباع- لماع- باع"، كما تظهر السخرية في مخاطبة بائع الأرض حيث يناديه بأسلوب النداء، وينبه إلى سوء العاقبة، ويخبره بخداع الخصم. وقد تجلت السخرية من خلال الترادف في "عبيد- خدام" و"موتك- قبرك- و"غرّك- السراب"، وكذا الأمر الجناس في "اللماع- لماع" و"أرض- أرضاً"، وكذلك تجلت السخرية في استعمال أسلوب الأمر، حينما قال "اترك لقبرك أرضاً طولها باع"، فهنا برز الإيقاع بنغمة حزينة مؤثرة، وهل هناك أشد على النفس، وأيقظ للقلب من ذكر الموت؟. فالإيقاع الموسيقى في هذا الشطر من البيت، أبرز الحزن الشديد من خلال المفردات، ممّا وشّح النص بالسواد، وهز قلب السمسار الذي نسي نفسه في خضم جمع المال بطريقة غير شريفة ولا شرعية.

## الإيقاع في الطرائف:

أما الإيقاع في الطرفة النثرية، فإنه يتجلى من خلال كل من المفردات والألفاظ والحوار، ومثال ذلك الطرفة التي تقول (قال الرجل لعروسه: لماذا تضعين الكثير من الملح على الطعام؟.

العروس: لأنني كلما وضعت ملحاً يختفي!!!)[1]

وفيها بدأ الحوار بين الرجل وعروسه، فهو يسأل عن سبب كثرة الملح في الطعام، - وكثرته غير مستساغة بالطبع- فجاءت الإجابة مشتملة على مفارقة مضحكة، وذلك حينما عللته باختفائه في الطعام. لقد أظهر الإيقاع في الطرفة السابقة المباينة والمفارقة من خلال الاستفهام "لماذا تضعين"، فكانت الإجابة "لأنني كلما وضعت"، فالحوار الذي دار بينهما احتوى على إيقاع من خلال السؤال- أعني الاستفهام- ومن خلال الإجابة أيضاً، ثم جاء الجناس في "تضعين- وضعت"، ليحول الطرفة إلى ما يشبه المنولوج، ثم تجلى الإيقاع واضحاً في بقية الطرفة حيث "الكثير من الملح" وضعت ملحاً"، فأبان الجناس هذا الإيقاع بين "الملح- ملحاً"، وكانت الجزئية الثالثة من الطرفة وهي بين "الطعام- يختفي" وهي في قمة الطرافة، إذ ما اختفاء الملح في الطعام إلا لإذابته فيه، أما العروس، فكانت إجابتها بعيدة ومجانبة للواقع، حيث تريد من الملح أن يكون كالماديات الظاهرة للعيان، لا يختفي ولا يذوب، وهذا أمر بعيد عن الواقع والحقيقة.

---

[1] مجلة حماة العرين، غزة، العدد ٤٠، الشهر السابع ١٩٩٧م، ص٤٣.

كما بدت الموسيقى وظهر الإيقاع من خلال الحوار في الطرفة التالية (المريض: أشعر بألم شديد بعد أن أكلت الملاعق الثلاث!!.

صديقه: ولما أكلتها؟

المريض: لأن الطبيب قال لي خذ ثلاث ملاعق دواء بعد الغذاء)[١].

ويلاحظ هنا من خلال الحوار أن عدد كلمات الطرفة قاربت على العشرين، نصفها في المقدمة، والنصف الآخر في إجابة المريض، وتعليله أكل الملاعق، وهنا بدأ الإيقاع جلياً من خلال المقدمة التي تبعها استفهام، ثم إجابة فيها مفارقة وتباين، وبعد عن الحقيقة والواقع، وقد شارك الجناس في إظهار الإيقاع، حيث (الملاعق- ملاعق) و(الثلاثة، ثلاث)، كما أن مجيء كلمتي (دواء والغداء) على وزن واحد كان ألقى بظلاله على الإيقاع أيضاً.

وأما في الطرفة التي ملخصها (الصحفي للولد الشجاع: ما الذي حملك على المخاطرة بحياتك لتنقذ صديقك؟

الولد الشجاع: كنت مضطراً للقيام بذلك، لأنه كان مرتدياً قميصي)[٢]. والإيقاع فيها ظاهر، حيث الحوار قسم الطرفة إلى شطرين متساويين من حيث عدد الكلمات، كل منها يبلغ ثماني كلمات، فالاستفهام أظهر الإيقاع، كما أن المفردات أظهرت الموسيقى، كما بدا الإيقاع واضحاً من خلال الحوار، حتى لقد بدت مفردات الطرفة، وكأنها أبيات شعرية لها إيقاع وموسيقى، لا تخلو من (القص بتقنياته المختلفة، كالحوار الدرامي، والحبكة، والحوار الداخلي، وأسلوب السرد، وتحديد الشخوص، والزمان والمكان، ولا شك أن الدمج بين العناصر الفنية في نص سردي واحد أمر بالغ الصعوبة)[٣].

كل ما سبق كان بالنسبة للطرفة ذات الحوار، لكن الطرفة السريعة، ذات الجملة الواحدة، فإن الإيقاع فيها يبدو سريعاً، وواضحاً، وظاهراً للعيان، كالطرائف التالية (واحد راح حب، رجع مجروش)[٤]. حيث ظهر الإيقاع من خلال المقابلة (راح- رجع)، (حب- مجروش)، وكذلك من خلال التورية التي تضمنتها كلمة حب، وهي في المعنى القريب من الحُب، وفي المعنى البعيد من الحبوب، فهذا الإيقاع السريع يُريح النفس، ويدخل البهجة إلى القلب.

---

[١] السابق، ص٤٣.

[٢] السابق، ص٤٣.

[٣] د. عبد الخالق محمد العف: التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١، مطابع رشاد الشوا، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، غزة ٢٠٠٠م، ص٨٠.

[٤] جاءت على لسان ظريف فلسطيني.

ومن هذا النوع الطرفة القائلة (رجل دمه خفيف ... طار)[١].

وبالإضافة إلى وضوح الإيقاع، فإن انتقاء المفردات يدخل الدهشة إلى نفس السامع أو القارئ، أما النتيجة ففيها الإيقاع السريع الذي منشؤه التكثيف في الصورة.

وقد تعددت أنماط الطرفة، وأنواعها، وصيغها، فتعددت بذلك موسيقاها، وإيقاعاتها، من خلال الألفاظ والمفردات التي هي البنية اللغوية للطرفة (إن أحجار البناء الأساسية للطرفة، وهي العناصر الصغرى الأساسية المكونة للنكتة، مثل الأفعال التي يقوم بها الأفراد، أو تلك الأشياء التي تقال)[٢].

وهناك أنواع من الطرائف يتضح الإيقاع فيها من خلال استخدام بعض المفردات الأجنبية، لإثارة الضحك، وإظهار الموسيقى كما في الطرائف التالية (أخطأ أجنبي مع أحدهم، فقال الأجنبي: Sory سوري، فقال الرجل: أنا فلسطيني مش سوري)[٣].

وكذلك (كان رجل يحمل أرنباً ليبيعه في السوق، فاقترب منه الأجنبي، فأخذ صاحب الأرنب يتحدث مع الأجنبي الذي لم يفهم ما يقوله الرجل، فقال له الأجنبي What وط؟ فقال الرجل للأجنبي: هذا أرنب، ما هو بط). وقد تجلى الإيقاع فيها من خلال النغمة الموحدة في كلمتي (وط- بط) على الرغم من اختلاف اللغتين، وكذلك من خلال التقارب في اللفظ، والوزن.

وأما في الطرفة التالية (سأل حمار زميله: مم تكون عملية التنفس؟
قال الآخر: من شهيق ونهيق)[٤].

حيث تظافرت عدة أمور في إظهار الإيقاع، منها: الصوت من خلال (نهيق- شهيق)، والوزن: فعيل، والاستفهام في (ممَ)، والاختزال والدمج في (مِنْ، ما)، والحوار من خلال (سأل حمار زميله- قال الآخر) مما أدى إلى اتساع مساحة الدلالة، وانفساح مسافة الإيحاء.

فالإيقاع هو روح الطرفة، وحياتها، وبدونه لا يكون للطرفة لذة، أو متعة، حيث تتقلب كلماتها إلى مفردات لغوية، صامتة، ذلك أن الإيقاع هو الذي يمد الطرفة بالطاقة والحيوية لتتحرك في كل اتجاه، جالبة البهجة، والأنس، مدخلةً السرور إلى النفوس والقلوب، وإن كان غايتها الإضحاك، فهدفها سامٍ، وراقٍ ليعدل من السلوك المعوج، والفهم الخاطئ في حياة الأمم والشعوب.

---

[١] اضحك، ص٤٥.

[٢] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٣٩٧.

[٣] وردت على لسان أحد الظرفاء الفلسطينيين.

[٤] صحيفة القدس المقدسية، بتاريخ ٢٠٠٢/٤/١٤م، ص١٦.

## البنية التصويرية:

اللغة وسيلة من وسائل التعبير عن أفكار الإنسان، وأحاسيسه وهي إلى جانب ذلك، تتضمن خصائص جمالية تستروحها النفوس، وتطمئن إليها، فهي ليست مجرد ألفاظ أو معانٍ، إنما هي تنطوي على كثير من النواحي التصويرية، والوجدانية، والخيالية، وفيها من الإيحاء، والرمز، والإيماء الشيء الكثير. يقول د. "خفاجي" في هذا الشأن (اللغة هي المادة الأولية للأدب، وهي بمثابة الألوان للتصوير، بل هي ألصق بموضوع الأدب من المواد الأولية لموضوع فنونها، وذلك لأن الفكرة أو الإحساس لا يعتبران موجودين حتى يسكنا إلى اللفظ، وأما قبل ذلك فلا وجود لهما على الإطلاق، وكثيراً ما يكون الخلق الفني مستقراً في العبارة ذاتها، فالعمل الأدبي وحدة مؤلفة من الشعور والتعبير... وعندما يتناول الناقد هذا العمل الأدبي ينظر إليه على أنه بناء فني لغوي يوحي بمعانٍ ودلالات مميزة)[١].

لما كانت الألفاظ واللغة هما المادتان الأوليتان للأدب، فإن الأسلوب هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير، ومن أخص صفاته: الجمال والوضوح والقوة، وهذه الصفات تتأثر بأمرين هما "المُبْدَع والمُبدِع ولما كان التصوير هو أحد السمات الجمالية والفنية للنص فلا بد لعبارات التصوير من احتوائها، واشتمالها على الصور الخيالية، من تشبيه ومجاز واستعارة، ومبالغة، ومقابلة، لأن في كل صورة من هذه الصورة ميزة لتقوية المعنى أو تجسيده أو إلحاقه بما هو أقوى منه استجابة لقوة العاطفة والانفعال، وقد ذكر "الجرجاني" التقسيمات الحسية للصورة الشعرية، فجعل التشبيهات تقوم من جهة الصورة أو الشكل أو اللون أو الهيئة أو الحركة، فقال في "أسرار البلاغة" (وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس)[٢]. كما أنه (توسع في المفهوم الحسي للصورة، فتحدث عن الصورة السمعية والذوقية واللمسية والشمية)[٣].

ويذكر الباحث هنا أمثلة على البنية التصويرية للسخرية والفكاهة والطرفة في الأدب الفلسطيني متخذاً قصيدة "الشاعر المعلم" نموذجاً للتطبيق، يقول صاحب القصيدة[٤]:

"شوقي" يقولُ- وما درى بمصيبتي قـمْ للمعلم وفّه التبجيلا

---

[١] د. محمد عبد المنعم خفاجي: أصول النقد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د. ت)، ص١٤.

[٢] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة صبيح، القاهرة ١٩٥٩، ص٦٥.

[٣] السابق، ص٦٥- ٦٦.

[٤] الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص١٣٠-١٣١.

"اقعد" فديتُكَ هــل يكــونُ مــبجّلاً		مَن كان للنّشْءِ الصغار خلــيلا
ويكـــادُ "يفلقُنـــى" الأميــرُ بقولـــهِ		"كاد المعلمُ أن يكــونَ رســولاً
لو جرّب التعليمَ "شــوقي" ســاعةً		لقضى الحياةَ شــقاوةَ وخمــولا
حـــسْبُ المعلـــمِ غمّـــةً وكآبـــةً		مَرْأى "الدفاتر" بكرةً وأصــيلا
مئة على مئة إذا هي: "صــلّحت"		وجد العمى نحو العيون ســبيلا
ولو أنّ في "التصليح" نفعاً يُرتجى"		وأبيكَ لم أَكُ بــالعيون بخــيلا
لكـــن أصـــحّحُ غلطـــةً نحويـــةً		مثلاً وأتخــذُ "الكتــابَ" دلــيلا
مُـــسترشداً بـــالغرّ مِـــن آياتـــه		أو بالحديثِ مفــصّلاً تفــصيلا
وأغوصُ في الشعر القديم فــأنتقي		ما لــيس ملتبــساً ولا مبــذولا
وأكادُ أبعثُ "سيبويه" مـــن البلِـــى		وذويه من أهل القرون الأولـــى
فأرى حمـــاراً بعــد ذلــك كلِّـــه		رفعَ المضافَ إليه والمفعــولا
لا تعجبوا إن صحتُ فيكم صــيحةً		ووقعتُ ما بين "البنوك" قتــيلا
يا مَن يريــدُ الانتحــارَ وجدْتَـــه		إن المعلــمَ لا يعــيشُ طــويلا

حيث تُلحظ السخرية والطرافة في الأبيات المتقدمة، من خلال الــصورة التــي رســمها الشاعر "إبراهيم طوقان" رداً على أمير شعراء العربية "أحمد شوقي"، وظهرت الــصورة مــن خلال التضمين في "قم للمعلم وفه التبجيلا" و"كاد المعلم أن يكون رسولا"، والتضاد في قولـــه "قم- اقعد"، والترادف في "شوقي- الأمير"، و"غمة- كآبة" و"بكرة- أصيلاً"، والجناس في "مئة على مئة" و"العيون- العيون". وأسلوب التوكيد في "إن المعلم لا يعــيش طــويلا". واســتدعاء الشخصيات التراثية في "سيبويه" و"أهل القرون الأولى". ولقد وظف الشاعر بعض المفــردات والألفاظ في النص الشعري، هذه الألفاظ رسمت عدة صور تكاد تكون ألواناً رائعــة للــصورة الكلية في النص، فيها الصوت والحركة واللون والمفردات الموحية، مثل "مصيبتي- يفلقنـــي- العمى- غلطة- حمار"، والعبارات التي من خلالها تتضح الصورة مثل "رفع المــضاف إليـــه والمفعولا" و"وقعت ما بين البنوك قتيلا"، وكذلك وضحت الصورة فــي اســتدعاء المــوروث الشعبي، حيث إحساس الشاعر بالعزلة والاغتراب، وحاجته إلى العطــف والرثــاء، مــا دام التعاطف مستحيلاً كما يحسه، وذلك في مثل قوله:

ولو أن في "التصليح" نفعاً يرتجــى		وأبيك لم أك بالعيون بخــيلا
لكـــن أصـــحح غلطـــة نحويـــة		مثلاً وأتخــذُ الكتــاب دلــيلا
مـــسترشداً بـــالغر مـــن آياتـــه		أو بالحديث مفصلاً تفــصيلا

| | |
|---|---|
| وأغوص في الشعر القديم فأنتقي | ما ليس ملتبساً ولا مبذولا |
| فأكاد أبعث "سيبويه" من البلى | وذويه من أهل القرون الأولى |
| فأرى حماراً بعد ذلك كله | رفع المضاف إليه والمفعولا |
| لا تعجبوا إن صحت فيكم صيحة | ووقعت ما بين البنوك قتيلا |
| يا من يريد الانتحار وجدته | إن المعلم لا يعيش طويلا |

وقد تمثلت الصورة في الأبيات تمثلاً تاماً، فالصورة البصرية برزت في "بالعيون- أصحح غلطة- أتخذ الكتاب دليلا- الآيات- الحديث- الشعر القديم- فأنتقي- فأرى حماراً". وتمثلت الصورة السمعية في "إن صحت فيكم صيحة- ووقعت ما بين البنوك قتيلا". وأما الصورة الحركية ففي "أغوص- أنتقي- رفع- وقعت- يريد الانتحار". والصفات في "نفعاً- بخيلا- دليلا- بالغر- القديم- الأولى- حماراً- قتيلا- طويلا". والاستطراد في قوله: "أصحح غلطة نحوية مثلاً- وأتخذ الكتاب دليلا- مسترشداً بالغرّ من آياته- أو بالحديث مفصلاً تفصيلاً- وأغوص في الشعر القديم- أنتقي ما ليس ملتبساً ولا مبذولا- وأكاد أبعث سيبويه من البلى- وذويه من أهل القرون الأولى".

كما أكثر الشاعر من استعمال الفعل المضارع، وخاصة على وزن أفعل ليدل على الاستمرار، والتجدد، وأن هذا المرض التربوي في التعليم يستعصي على العلاج، والأفعال مثل "يرتجي- لم أك- أصحح- اتخذ- أغوص- أنتقي- أكاد- أبعث- أرى- تعجبوا- يريد- لا يعيش" وكثرة استعمال أمثال هذه الأفعال المضارعة يفيد استحضار الصورة دوماً وظهورها بأبعادها الظاهرة والمكتناه. وقد ظهر التناص في قوله: "اقعد فديتك هل يكون مبجلاً؟، فالشطر المتقدم فيه فعل أمر، وجملة اعتراضية دعائية، واستفهام الغرض منه السخرية، وتناص مع قول الشاعر القديم "واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي"[(١)].

أما استخدام غير المألوف والمعتاد، فقد أظهرت صورته السخرية في قوله: "رفع المضاف إليه والمفعولا"، كما ظهرت الطرفة في صورة البيت التالي:

"لا تعجبوا إن صحت فيكم صيحة"، "فيكم" خطاب مباشر، صيحة مفعول مطلق، والجناس في "صحت- صيحة"، وفي قوله: "ووقعت ما بين البنوك قتيلاً "وقعت" كما ذكر الباحث سابقاً تشتمل على الصوت والحركة والصورة، وأما "البنوك" فهي كلمة عامية مصطلح شعبي لمقاعد الدراسة، أما لفظة "قتيلا" فقد أظهرت التهكم والطرافة في البيت كله، حيث أن القتل يكون

---

(١) البيت "للحطيئة" في هجاء الزبرقان بن بدر وصدره يقول: دع المكارم لا ترحل لبغيتها ....، الأغاني، ١٨٥/٢.

مباشرة بإحدى الطرق المعروفة، لكن القتل هنا - غير مباشر لأنه قد يكون عن طريق الهــم، والغم، والأمراض، كالضغط والقلب والسكتة الدماغية. أما الموسيقى والإيقاع فظهرا من خلال الوزن والقافية، حيث أن قافية اللام الممدودة تريح النفس، فما بالك إذا سبق اللام حرف علــة فتجد النغم الإيقاعي وكأنك أمام غنائية رائعة، ممزوجة بفنون الحزن والسوداوية، والحــرص على أبناء الوطن، ومؤسساته هدفه الاهتمام بالتعليم، وغايته إيجاد جيل جديــد يهــتم بــالعلم والدراسة، ليتمسك بوطنه، ويذود عنه، ويطرد المحتل الغاصب، كما ساهم الخيال في إظهــار الصورة، كاستخدام الاستعارة المكنية في قوله "وجد العمى نحو العيون سبيلاً"، والتــشبيه فــي قوله: (فأرى حماراً)، كما ختمت الأبيات بنوع من التشاؤم، أظهره أسلوب التوكيد فــي قــول الشاعر: (إن المعلم لا يعيش طويلا).

وتبدو البنية التصويرية للطرفة بوضوح من خلال ما يلي: (يسأل طفل زميله: ما عكــس مدير عام؟) ويعجز الطفل الآخر عن الإجابة، فيقول الطفل الطارح للغــز: مــدير غــرق)[١]. ويعلق دكتور شاكر عبد الحميد صاحب كتاب "الفكاهة والضحك رؤية جديدة" بالقول (ويكمــن اللعب الفكاهي هنا في هذه التورية الخاصة بكلمة عام التي تعني منصباً إدارياً أعلى، وتعنــي أيضاً إمكان العوم في المياه، ويكون عكس المدير الذي عام، هو المدير الذي غــرق، وتبــدو مثل هذه الألغاز مضحكة لبعض الكبار، وأحياناً صعبة، وأحياناً سخيفة)[٢].
ومع ذلك ظهرت الصورة بوضوح من خلال العوم والغرق(التورية)، والحوار.

ومن نماذج البنية التصويرية للطرفة في الأدب الفلسطيني، مقطع من قصيدة أطفال رفح للشاعر سميح القاسم، يقول فيها[٣]:

وغداة انغلقت أبواب أمن الفاتحين
كان في المعتقلين
ابن مجهول الإقامة
- - - -
حاشية:
عمره تسع سنين.

---

[١] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص١٧٦.
[٢] السابق، ص١٧٦.
[٣] سميح القاسم: ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت ٨٧م، ص٧٦٢.

فهنا أظهر الشاعر صورة هذا الطفل، الذي اتضح من الحاشية أنه لم يتجاوز التاسعة من عمره، وقد أبانت الدلالة للألفاظ (الفاتحين) على السخرية من المحتلين، حيث كان فتحهم للمعتقلات والسجون.

إن مفردات القصيدة، ووقعها الموسيقي أظهرا هذه السخرية من المحتل الجبان، الذي يعتقل الأطفال، وإذا كان مجهول الإقامة، فلأنه طفل، وإذا نظر المرء إلى الخط الذي رسمه الشاعر في القصيدة قبل لفظه حاشية، لوجده صورة حقيقية للسجن.

وهنا يتدخل د. عبد الخالق العف معلقاً على قصيدة أطفال رفح بالقول (لقد اختتم الشاعر متن النص بحاشية، هي المرتكز الضوئي له، وهي على المستوى الدلالي سبب الدهشة التي تعتري القارئ وهو يتعرف على عمر الطفل المعتقل، إن انشطار الخطاب شكلياً إلى متن وحاشية- يعني- أنهما صوتان متجاوبان، أحدهما أصل والآخر صدى، لكن معاودة التأمل في الخطاب جملة يمكن أن تجعل من الحاشية متناً، ومن المتن حاشية، وذلك بتأثير العلاقة الجدلية بينهما)(١).

(١) التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص١١٤.

# الفصل الخامس: الشخصية الفلسطينية في الطرفة

أولاً: الدافع النفسي الفردي وسيكولوجية الضحك.

ثانياً: الباعث الجمعي وعلاقته بالنقد الساخر.

ثالثاً: النقد الهادف وأشكال الرفض وعلاقتيهما بالتفاؤل والتشاؤم.

رابعاً: الطرفة والملامح العامة للشخصية الفلسطينية.

## الدافع النفسي الفردي وسيكولوجية الضحك:

الضحك ظاهرة إنسانية في المقام الأول، وعنصر أساس في الحياة، وصفة هامة من صفات الإنسان، وهو نعمة من نعم الله على عباده، منحه إياه كي يعبر عن اغتباطه وسروره، وهي نعمة ما مُنحت لغيره من الكائنات، من أجل أن يظل الإنسان سيد المخلوقات، وهي ظاهرة ظلت تسير مع الإنسان في كل مراحل حياته وتقدمه، منذ أن كان بدائياً يعيش في الغابة، وتطورت معه حتى أصبح إنساناً عصرياً يسكن المدن والحواضر. يقول الفيلسوف "نيتشه" (إنني لأعرف تماماً لماذا كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك، فإنه لَمَّا كان الإنسان هو أعمق الموجودات ألماً، فقد كان لا بد له من أن يخترع الضحك، وإذن فإن أكثر الحيوانات تعساً وشقاءً، هو - بطبيعة الحال - أكثرها بشاشة وانشراحاً)(١). ويتضح من القول السابق مدى حاجة الإنسان إلى الضحك. صحيح أن هناك بعض الحيوانات تشارك الإنسان في الضحك كالقردة - والشمبانزي بصفة خاصة - لكن يبقى الإنسان هو (الحيوان الوحيد الذي يعرف كيف يُضحك الآخرين، لأنه يعرف النكتة، ويستخدم الفكاهة، ويتفنن في خلق أسباب الضحك، حتى أصبح إضحاك الآخرين مهنة، أو حرفة للبعض، ومهارة أسفرت عن فن حقيقي له قواعده، وهو فن الكوميديا)(٢). ذلك أن ضحك الإنسان ضحك عاقل، وأن ضحك الحيوان هو ضحك غير عاقل أشبه ما يكون بالأصوات المنبعثة من الببغاوات. إن هذه الأصوات لا تدل على شيء، ولا تعني النطق، لأن النطق لا يعدّ نطقاً، إلا إذا كان يحمل معنىً، أي يكون صادراً عن العقل. وليس من قبيل الصدفة أن يكون الإنسان هو الحيوان الضاحك، وفي ذات الوقت الحيوان الناطق، يعلّق - على اختصاص الإنسان بالضحك - أحد الباحثين فيقول (إنه لا وجود للضحك في الطبيعة، فإن الأشجار لا تضحك، والحيوان لا يعرف الضحك، والجبال لم تضحك يوماً ... وإنما يضحك البشر، والبشر وحدهم! ولا يقتصر الضحك على الكبار، بل إن الأطفال يضحكون حتى قبل أن يكونوا قد تعلموا الكلام.... فالضحك فضيلة قد اختص بها البشر، وربما يكون الله قد جاد بها عليهم حتى يعزّيهم عما لديهم من ذكاء وقدرة عقلية)(٣). ولا أدل على أن الضحك من ميزات الإنسان - رفيعة الشأن - من أن التنزيل العزيز قد نَصَّ عليه، فقال جل - شأنه - ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(٤).

---

(١) سيكولوجية الضحك، ص٣٠ "وينظر كذلك سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٩".

(٢) العدوانية واستجابة الضحك، ص١٣.

(٣) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٧-٨.

(٤) النجم: الآية ٣٩-٤٤، المعجم المفهرس.

وإذا كانت الفكاهة من الجوانب التي تميز السلوك البشري، فإن الضحك هو التعبير الجسمي عن هذا الجانب. لذا فإن الكاتب الفرنسي "رابليه" يرى (أن الضحك هو الخاصية المميزة للإنسان)[١]. وقد تعددت نظريات الضحك وتداخلت حتى وصلت إلى مئة نظرية، الاعتماد فيما بينها واضح، كما أنها ترتكز على عوامل خاصة تربطها بالضحك، أو تربط الضحك بها، ومن بين هذه العوامل (الدهشة، التفوق، السيطرة، التناقض في المعنى، التنفيس عن الطاقة الزائدة...)[٢].

## مفهوم الضحك:

تعددت تعريفات الضحك لدى كل مَن حاول تحديد الضحك وتعريفه، وذلك بحسب تعدد زوايا الرؤى لهذه الظاهرة، فهناك الرؤية الأدبية، وهناك الرؤية الفلسفية، وهناك كذلك رؤية علماء النفس، فالأدباء ينظرون إلى الضحك على أنه (تعبير عن التفوق الذي يستشعره المستجيب بالضحك)[٣]. ويستدلون على ذلك بالضحك الذي كان ينتاب الإنسان البدائي القديم، حينما كان يتغلب على خصمه بعد المبارزة الجسمية، كما أن هذه الظاهرة كانت - ومنذ القدم - استفزت الفلاسفة وعلماء النفس، فاهتموا بدراستها، ووضع تعريف لها، ومن أشهر مَن تصدى لتحديد ظاهرة الضحك، أفلاطون، وأرسطو، وديكارت، وكنت، وفولتير، وهيجل، وبرجسون، واسبنسر، ومكدوجال، واسبنيوزا وغيرهم.

يعرّف "أرسطو " الضحك (بارتباطه بقوة بالدمامة والحطّ من القدر والتحقير)[٤]. وأما "ديكارت" فيراه عبارة عن (إعلان عن المرح، مختلط بالدهشة أو بالكراهية أو كليهما معاً)[٥].

غير أن أشهر فيلسوف عرّف الضحك هو "هنري برجسون" وله في ذلك نظريات، على الرغم من أن هذا الفيلسوف، لم يتذوق طعم الضحك في حياته، فقد كان مشلولاً تداهمه الأوهام والظنون، ومن وجهة نظره فإن الضحك (تأديب قبل كل شيء، وقد وُجد للإصلاح، فلا بد أن يشعر الشخص الذي يضحك منه بشعور مؤلم، والمجتمع ينتقم ممّن يتطاولون عليه)[٦]. وقد أورد الأديب "العقاد" تعريفاً أكثر وضوحاً "لبرجسون"، فالضحك عنده (تطور منطقي، وحاسة اجتماعية في وقت واحد، فنحن نضحك إذا رأينا إنساناً يتصرف تصرف الآلة، ويقيس الأمور

---

[١] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٧.

[٢] السابق، ص٢٢.

[٣] العدوانية واستجابة الضحك، ص١٩.

[٤] السابق، ص١٩.

[٥] السابق، ص١٩.

[٦] سيكولوجية الضحك، ص٣٨.

قياساً آلياً، لا محل فيه للتمييز المنطقي، ولكننا في الجماعة عامة، ولا نضحك منفـــردين، لأن الضحك عقوبة اجتماعية لمن يغفل عن العرف المتبع في المجلس، أو في الهيئـــة الاجتماعيـــة بأسرها...)[١].

ومن التعريفات التي لا يمكن إغفالها عند الحديث عن تفسير ظاهرة الـــضحك، تعريـــف الفيلسوف "اسبنسر" الذي خالف القائلين بأن الضحك محاولة عضلية للتخلص من شعور غيـــر محتمل، كما كان خالف القائلين بأن الضحك يتولد من الشعور المفاجئ بالغبطة والرضى عـــن النفس بما يوحي به إليها من السلامة أو الرجحان. يقول "اسبنسر" (إن هذا كله قد يحـــدث ولا يحدث معه الضحك، وأنه لا بد لتمام العوارض جميعاً من التحول المفاجئ من سياق إلى سياق في وجهة الشعور... ويسوق على ذلك مثلاً فيقول يشتغل الموسيقي بتوقيع قطعة مـــن ألحـــان موسيقى "بيتهوفن"، فيعطس أحد الحاضرين عطسة قوية يسمعها الحاضرون خـــلال التوقيـــع فيضحكون، ليس في الاستماع إلى الموسيقى شعور مكرب تتخلص منه النفس بالضحك، ولكن الذي حدث أن العطسة غيّرت مجرى الشعور، أو حبسته عن المضي في طريقـــه المـــألوف، فتنتقله هذه المفاجأة من أعصاب الحس إلى العضلات، ويحـــدث الـــضحك مـــن جـــراء هـــذا الانتقال)([٢]). وأما طبيب النفس الشهير "فرويد" فقد قدّم رأيه في الضحك من خلال رسالة كان كتبها عن النكتة ودلالتها الاجتماعية، وهو يرى أن الضحك (يتوقف علـــى عنـــصر المفاجـــأة بالدرجة الأولى، وبقدر ما تكون المفاجأة نادرة وكبيرة، بقدر ما يزداد الضحك، ولكي نـــضحك يجب أن نرد المفاجأة إلى الأمر الطبيعي في حياة الإنسان)[٣].

## سيكولوجية الضحك:

أكثر فلاسفة اليوم على أن الإنسان البدائي القديم ما كان يعرف الضحك بمعناه المعروف لدينا الآن، ومن ثم ابتكر الإنسان الضحك لتخفيف أعباء الحياة وأثقالها، ومـــن أجـــل الترفيـــه والترويح. وهناك فلاسفة رأوا أن السر يكمن في العقل، فلولاه لكن لزامـــاً علـــى المـــرء أن يتحمل أرزاء الدنيا، ومشاق الحياة ونوازلها، مثله مثل غيره من الحيوانـــات، دون أن يكـــون هناك حاجة لدفع أحاسيس الألم، غير أن وجود الألم ساهم فـــي اختـــراع ظـــاهرة الـــضحك. والفلاسفة على يقين من أن الضحك من الأفعال الطبيعية، التي يعبر بها الإنسان الضاحك عن مشاعر الارتياح، وأحاسيس الحبور والسرور، ولكن يبقى السؤال المحير عندهم فـــي كيفيـــة حدوث ذلك في نفس الإنسان. ومن هنا برز اختلاف الفلاسفة في تحديد ذلك، فمنهم مـــن رأى

---

(١) جحا الضاحك المضحك، ص٥٥.

(٢) السابق، ص٥١.

(٣) سيكولوجية الضحك، ص٣٨.

(بأنه صنيع نفسي ينشأ من إفراغ التعب الذي يصيبنا في الحياة، إذ يخرجنا المضحك من حياتنا الجادة المجهدة، فنشعر بالراحة ونضحك)[١]. ويرى آخرون (أنه انفجار يحدث من انتظار، أو جهد يتحول فجأة إلى شيء، بل إلى فراغ مطلق، وكأن النتيجة غير المنتظرة هي التي تدفعنا دفعاً إلى أن نضحك، ونغرق في الضحك، بمقدار بعدها عنا، ومفارقتها للمقدمات التي تسبقها)[٢].

أما علماء النفس وأطباؤه القدامى، فقد قرروا أن هناك علاقة وطيدة بين الظواهر النفسية والجسمية، ومن هؤلاء "ابن سينا"، ومن خلال آراء ووجهات نظر علماء النفس، فسّر "اسبنسر" ظاهرة الضحك حيث ربطها بالانفعالات الفسيولوجية، وذلك حينما ذهب إلى القول إن الضحك لا يزيد عن كونه (عملية تفريغ للطاقة العصبية الزائدة، بدليل أننا لا نضحك حينما نكون متعبين، أو منهوكي القوى، وإنما يجب علينا أيضاً أن نعرف السر في كون هذا التفريغ لا يتم إلا عن طريق تلك الاختلاجات العضلية لعظام الوجه، وما يقترن بها من تشنجات في عضلات التنفس)[٣].

يصف أحد علماء النفس ظاهرة الضحك من الناحية الفسيولوجية بقوله (إن الضحك عبارة عن اختلاجات عضلية متقطعة، تستهلك الكمية الفائضة من التوتر الذي تجمع في العضلات، وإذا استمر التنبيه، وعجز الضحك عن استنفاد التوتر، انتقلت آثار الدغدغة إلى العضلات الحشوية فتنبه بعض الغدد، وخاصة الدمْغية، ويتحول الضحك إلى بكاء، وحينئذ ترتخي العضلات ويسكن الجسم)[٤].

وهناك فلاسفة يرون أن الضحك يحدث في نفس الإنسان بطريقة لا إرادية، غير أنها مقرونة بالعضلات، فإذا أحس الإنسان بالألم، فإن عضلاته تشد، فإذا زال هذا الألم، فإن رجوع العضلات إلى صورتها الاعتيادية هو الضحك.

وأغلب ظن الباحث أن أفضل تفسير لظاهرة الضحك، هو ما تقدم به "برجسون" و"فرويد"، حيث رأيا أن الضحك يتوقف على عنصر المفاجأة، وكلما زادت هذه المفاجأة، وكانت غير متوقعة، ونادرة الحدوث، كلما زاد الضحك، ولكن من أجل أن نضحك لا بد من رد المفاجأة إلى الأمر الطبيعي الواقعي في حياة المرء. ولكي يضحك الإنسان، ويتواصل ضحكه، اشترط "برجسون" أن يكون الإنسان هادئاً تمام الهدوء، كي يكون مستعداً للضحك، فمن كان منفعلاً - كمن كان منهوك القوى - لا يضحك، كما أن اللامبالاة من الأمور التي تزيد في ضحك الإنسان.

---

(١) السابق، ص٣١.

(٢) السابق، ص٣١.

(٣) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٤٨-٤٩.

(٤) د. يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨، ص١٥٩.

كما تطرق إلى أذهان الفلاسفة أن الضحك حالة انفعالية تصاحبها تغيرات خارجية وداخلية، يقول "ديكارت" في هذا الصدد (إن الضحك هو انفعال جسمي بحت، وإن كان في وسع العقل أن يتحكم فيه حينما يتحقق أنه وليد خطأ في الحكم)(١). كما ذهب الفيلسوف "كنت"- في معرض تفسيره لظاهرة الضحك- بأنه (يحدث ضرباً من الاتزان فيما بين القوى الحيوية الموجودة لدينا)(٢). ولـ "مكدوجال" نصيب في تعليل وتفسير الضحك، ذلك أنه يرى (إذا كنّا نسر حينما نضحك، فإننا نسر لأننا نضحك)(٣). وهكذا يخلص الباحث إلى القول بأن معظم مَن بحثوا في ظاهرة الضحك، أجمعوا على أنها ظاهرة فسيولوجية تدخل في صميم تكوين الإنسان البيولوجي، وهي في ذات الوقت ظاهرة نفسية وثيقة الصلة بكل ما يحيط بالناس من ظروف اجتماعية، وأن الضحك- شأنه شأن كل الظواهر الأخرى- يتأثر بمختلف عوامل التغير الاجتماعي، وهو قد يكون بمثابة أداة تساعدنا على تحقيق ذلك التغير الاجتماعي.

## الضحك ظاهرة فردية أم جماعية؟:

اختلف الباحثون حول الضحك باعتباره ظاهرة فردية أو جماعية، فالذين يرون في الضحك عملية فسيولوجية، يرونها ظاهرة جسمية فردية مثلها مثل أي عملية فسيولوجية أخرى، ويدللون على ذلك بأنه يُرى أَحياناً أفراد يضحكون بمفردهم دون أن يكون بجوارهم أحد، لكن هؤلاء الذين يذهبون هذا المذهب ينسون أن مَن يضحك بمفرده، إما أن يُنعت بالشذوذ، ذلك أن الشخص منهم في هذه الحالة يشبه مَن يكلم نفسه، وإما أن يوصف بأكثر من الشذوذ أي بالجنون واختلال العقل، يعلق على ظاهرة فردية الضحك الدكتور زكريا إبراهيم قائلاً (وحتى حينما يضحك الإنسان بمفرده، فإنه ليس معنى هذا أنه بمنأىً تماماً عن شتى العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تولد لديه الضحك، بل إن الإنسان ليحمل آثار الآخرين حتى في عزلته)(٤). وهذا "برجسون" أيضاً يذهب إلى القول إلى أن الإنسان لا يمكنه تذوق النكات، والتعامل مع الطرائف والدعابات، والمشاركة في الضحك لو كان يشعر بأنه يحيا بمفرده، والسبب في نظره أن الضحك ظاهرة اجتماعية، تتطلب لتحقيقها أعداداً من الناس، مع ملاحظة أن الإنسان إذا ما شعر بأنه غريب عن مجموعة معينة من الناس، فهو- في هذه الحالة- لا يشاطرهم الضحك، ذلك أنه يشعر بأنه غريب عنهم، مضافاً إليه أن حدود الأدب واللياقة تلزمانه بألا يشاركهم الضحك، فهو في هذه الحالة يشعر بالوحدانية والغربة، وبأنه لا ينتمي

---

(١) العدوانية واستجابة الضحك، ص٢٩.

(٢) السابق، ص٢٩.

(٣) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٤٤.

(٤) السابق، ص٧٣-٧٤.

إلى هذه الجماعة، وبالتالي فهو يكف عن الضحك، وأما ما عدا ذلك فإن استجابة الإنسان للضحك مع جماعة تكون فردية وتلقائية. يقول د. أحمد عبد الغفار (وهناك أصل مهم من أصول الضحك، وهذا الأصل يتمثل في أن الضحك لا يحدث بصورة كاملة إلا في جماعة، وأن الإنسان لا يتأتى له أن يضحك ضحكاً ممتعاً حقاً وهو بمفرده)[1]. وهو ما أكدت عليه د. "عزيزة السيد" حينما ذهبت إلى أن (الضحك اجتماعي، في حاجة إلى تجاوب، ولهذا يكثر الضحك ويعلو في المجتمعات العامة والخاصة)[2]. ونص عليه د. "شوقي ضيف" في كتابه "الفكاهة في مصر" حيث أشار إلى أنه (لا بد أن نتصل بآخرين لنضحك، فإذا كنا منفردين، أو في عزلة لم نتذوق الضحك، إنما نتذوقه حين نكون في مجتمع، أو مع عدة أشخاص)[3]. وقال "برجسون" في هذا الشأن (وربما كان أكبر دليل على أن الضحك ظاهرة اجتماعية، أنه كلما زاد عدد النظارة في المسرح، زادت بالتالي ضحكاتهم، واشتد هتافهم وتصفيقهم)[4]. ومن أقوال "برجسون" الشهيرة التي تؤكد أن الضحك ظاهرة جماعية لا فردية، قوله (ينبغي لهذا العقل أن يكون على صلة بعقول أخرى، فنحن لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة، والضحك في حاجة إلى صدى)[5]. وآخر يقول فيه (إنه تآمر مع ضاحكين أخر، إذ أن الضحك في حاجة إلى صدى، ومن ثم إلى جماعة)[6].

وقد سبق "الجاحظُ" "برجسون" وغيره في تقرير هذه الحقيقة، وذلك حينما قرر أن الضحك لا بد له من جماعة، يكون بينها اشتراك في انفعال واحد، وقد كان ذلك بناءً على حادثة عرضت له، حين ضحك وشاركه الضحك مَن كان معه، يقول (.... فما ضحكت كضحكي تلك الليلة، ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك، والنشاط، والسرور فيما أظن، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأني على الضحك، ولقضى عليّ، ولكن ضحك مَن كان وحده، لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب)[7].

## أنواع الضحك:

كما أن اللعب على أنواع، فإن الضحك كذلك ضروب وأنواع، وقد عرف المجتمع العربي كل أنواع الضحك، أو بعبارة أدق كل أنواع الضاحكين، فمن الضحكة الانعكاسية، إلى

---

[1] د. أحمد عبد الغفار عبيد: أدب الفكاهة عند الجاحظ، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٢-١٩٨٢، ص١٩.

[2] العدوانية واستجابة الضحك، ص٢٣.

[3] الفكاهة في مصر، ص١٤.

[4] سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٧٥.

[5] سيكولوجية الضحك، ص٣٥.

[6] العدوانية واستجابة الضحك، ص٢٦.

[7] أدب السخرية عند الجاحظ، ص٦٧.

ضحكة التفريج أو التنفيس، إلى ضحكة التحية والمجاملة، وضحكة الزهو، والضحكة السادية، والضحكة المجنونة وغيرها، ويتدخل "العقاد" ليضيف إلى هذه الأنواع أنواعاً أخرى، يقول مضيفاً (الضحك ضحوك عدة وليس بضحك واحد، ونحن نضحك لأسباب كثيرة، ولسنا نضحك لسبب فرد لا يتعدد، هناك ضحك السرور والرضى، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور، وضحك المشنوج، وضحك السذاجة، وضحك البلاهة، وما يختاره الضاحك وما ينبعث منه على غير اضطرار، بل ربما كان لكل مضحكة من هذه المضحكات ألوان لا تتشابه في جميع الأحوال)[١].

وأضاف "ماكنيل" أنواعاً أخرى من الضحك- غير التي ذكرها العقاد- يذكر الباحث منها (ضحك البهجة والمرح، الضحك العصبي، ضحك المحاكاة للآخرين، الضحك المعدي، ضحك الدغدغة، والضحك المرضي "أي ضحك بعض حالات الفصام والصرع"، وضحك الأطفال في أثناء اللعب....)[٢].

## شروط الضحك:

يرى الفيلسوف "هنري برجسون" أن للضحك شروطاً منها:

١- أن يحدث الضحك من إنسان على إنسان، أو على كائن آخر يقترب في مسلكه وطبعه من الإنسان. لذا فق بدأ برجسون كتابه عن الضحك بالقول (إنه لا مضحك إلا فيما هو إنساني، فالمنظر الطبيعي قد يكون جميلاً لطيفاً رائعاً، وقد يكون تافهاً قبيحاً، ولكنه لا يكون مضحكاً أبداً، وإذا ضحكنا من حيوان، فلأننا لقينا عنده وضعاً أو تعبيراً إنسانياً)[٣].

٢- وأما الشرط الثاني لحدوث الضحك عند برجسون، فهو ألا يكون المرء منفعلاً، فالانفعال هو العدو الأكبر، والخصم اللدود للضحك. يقول برجسون فيما يختص بهذا الشرط (وكي يُحدث المضحك ما يحدثه من تأثير، لا بد أن يتوقف القلب برهة عن الشعور، إن المضحك يخاطب العقل المحصن)[٤].

---

[١] جحا الضاحك المضحك، ص٧.

[٢] الفكاهة والضحك رؤية جديدة، ص٢١.

[٣] هنري برجسون: الضحك، بحث في دلالة المضحك، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣، ص١٦.

[٤] السابق، ص١٦.

**فوائد الضحك:**

للضحك فوائد عديدة في حياتنا الاجتماعية، يذكر الباحث منها:

١- يقاوم الضحك القلق والغضب والاكتئاب، ويقي من بعض الأمراض النفسية والأزمات الاجتماعية.

٢- يقوي الضحك التعاون الاجتماعي، ويسهل التفاعل الإيجابي بين الأفراد والجماعات، ويزيد من استعداد الإنسان للعمل والإنجاز.

٣- ينشط الضحك العقل والإبداع والخيال.

٤- يعمل الضحك على زيادة حالة الاستثارة والنشاط في المخ والجهاز العصبي للإنسان.

٥- ومن الفوائد الجسمية للضحك تزويد الدم بالأكسجين، والحفاظ على مستوى ضغط الدم، وتنشيط الدورة الدموية، والمساعدة على الهضم وغيرها. لذا فلم يكن الدكتور أحمد الحوفي مجانباً الحقيقة حينما قال (إن الضحك غريزة، وإنه ذو أثر في الجسم والنفس)[١].

**الباعث الجمعي وعلاقته بالنقد الساخر:**

أشار الباحث في الصفحات المتقدمة إلى أن الضحك ظاهرة إنسانية بحتة، لا يشاركه فيها أحد، فالإنسان هو الوحيد الذي يضحك، كما أنه هو الوحيد الذي ينطق، كما أشار إلى أن الضحك من أخص خصائص الموجود البشري، وذلك بسبب ارتباط الضحك بالمقدرة اللغوية، والنشاط الذهني، والقدرات والميول الاجتماعية، وهي كلها من خصائص الإنسان دون غيره من الكائنات الحية.

وهناك إجماع تام على أن الضحك ظاهرة جماعية لا فردية، وسبب ذلك أن الإنسان لا يضحك إلا في جماعة، خاصة إذا كانت غير غريبة عنه، ومن يلجأ إلى الضحك بمفرده، يُرمى بالشذوذ، وأطواراً بما هو أكثر من الشذوذ، فالضحك ظاهرة إنسانية جماعية، ودليل ذلك أن الإنسان لا يستثيره الضحك في غير عمل آنساني، فلم يُعرف عن الإنسان أنه ضحك من المظاهر الطبيعية، أو من الجمادات، إلا إذا ربطه بصورة إنسانية، وجعله شبيهاً بإنسان له به معرفة أو علاقة، ويسوق "العقاد" مثلاً على ذلك فيقول (قد نضحك من قبعة نراها، فلا يكون الضحك من القبعة، بل من الإنسان الذي يلبسها، ونتصور هيئته فيها)[٢]. بل ومن شروط الأمر المضحك عند "برجسون" أن يتم في جماعة، أو على الأقل يرتبط بالتصرف في جماعة، فنادراً ما نرى بشراً يضحك بمفرده، وإذا حدث ذلك -على قلّته- فإن هذا الإنسان يكون قد استحضر العلاقة الاجتماعية في ذهنه.

---

[١] د. أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، ج١، طبعة مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦، ص١٠.

[٢] جحا الضاحك المضحك، ص٥٥.

وقد قرر "برجسون" أن الضحك له علاقة حميمة بالتصرف المنطقي، وبالحاسة الاجتماعية في آن واحد، ذلك أنه طريق من طرق المجتمعات، وأسلوب من أساليبها، لحث أفرادها على التصرف فيه تصرف العقلاء الذين هم على دراية بما يفعلون. وعلى هذا الأساس فسّر الفيلسوف آنف الذكر أصنافاً عديدة من الضحك، منها أن الإنسان يضحك من شرود الذهن، ذلك أن الإنسان الذاهل ينسى عقله، وحاسته الاجتماعية، ويتكلم أو يعمل على غير ما تقتضيه الحالة التي يعيشها، كما نضحك أيضاً حينما نشاهد وجهين متشابهين تشابهاً شبه كامل، لأننا نتصور وكأنهما مصنوعان من قالب واحد، مثلما تصنع الوجوه الخاصة بالتمثيل. وتبقى الحاسة الاجتماعية عند "برجسون" أعم وأشمل من جميع الأسباب الأخرى، ومن هنا يظل الضحك ملكة اجتماعية، يقصد من ورائها تصحيح الأغلاط في معاملة الجماعة، وهو يتناول الأغلاط التي لم تبلغ حد الإجرام، لأن المجتمعات- في هذه الحالة- تداويها بالعقوبة والجزاء والقانون، أو حتى بالثأر والانتقام، ويتناول الأغلاط التي لا يستسيغها الذوق العام بالمطلق على توفر سوء النية والقصد، فيقوم المجتمع هنا بمعالجة هذه الأمور بالازدراء، أو النفور، أو الاشمئزاز، ولو حدث وسها الإنسان، أو نسي التقاليد الاجتماعية- دونما قصد سيئ- فيتم معالجته بالضحك، فيكون الضحك عقوبة له، وجزاءً بقدر إساءته العارضة، ولتجاهله- حتى ولو لم يكن مقصوداً- للتقاليد والعادات الاجتماعية. فالضحك- والأمر هكذا- يشبه السيف الموجه الذي توجهه المجتمعات إلى رقاب المارقين على قوانينها، والخارجين على أنظمتها الجمعية، وآدابها وسلوكها العام، فبالضحك تؤدب المجتمعات أمثال هؤلاء الذين لا يقيمون وزناً للأعراف، ولا يحسبون حساباً للآداب العامة، ولكأن الضحك وسيلة من وسائل الإصلاح والتهذيب والتقويم، ونوع متقدم من التأديب، الهدف من وراءه إعادة هؤلاء الناس إلى حظيرة الجماعة.

يصف د. زكريا إبراهيم وسيلة العقاب هذه بقوله (وكل من تحدثه نفسه بالخروج على قوانين الجماعة، وأساليب سلوكها، فإنه لا بد من أن يُستهدف بسخريتها اللاذعة وضحكها الموجع. وليس أدل على كون الضحك أداة اصطنعها المجتمع لتأديب أفراده، من أن الجماعة واقفة بالمرصاد لكل من يستهين بتقاليدها، أو يستخف بمعاييرها، فهي ما تكاد تلمح سلوكه الغريب، حتى تصب على رأسه النكات صبًّا، فلا يلبث أن يجد نفسه مضطراً إلى أن يرتد من جديد إلى حظيرتها)(١).

وتتخذ السخرية أحياناً شكلاً آخر، حيث تقوم جماعة معينة بالسخرية، وازدراء جماعة أخرى، لأنها غريبة عنها، ولا تنتمي إليها، فإنها تصون- بهذه السخرية- نفسها، وتحمي

---

(١) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص٨١.

كيانها الاجتماعي، الأمر الذي يجعل للضحك أكثر من وظيفة، فهو من وجهة أداة تصدٍ ومواجهة، تستخدمها الجماعات ضد الأجانب والغرباء، ومن وجهة أخرى تساهم في النقد الإيجابي للجماعة ذاتها. وإذا كان الضحك يساعد أصحاب الطبقات العليا في محاولتهم المستمرة، لصيانة امتيازاتهم، إلا أنه - في ذات الوقت - يقلل من غرورهم، ويحد من صلفهم.

يستطرد الفيلسوف سلي "Sully" قائلاً (ولكن الضحك أيضاً هو الثأر السلمي العادل لجماعة الضعفاء من أطفال ونساء وعمال، لأنه في أيديهم كأمضى سلاح)[١].

كما تُلاحظ السخرية كذلك، عندما يحاول أحد أفراد المجتمع الخروج على العادات، فيرتدي زيّاً مغايراً، أو يلبس موضة قدم عهدها وأضحت غير مألوفة، فإنه يُقابل - في هذه الحالة - باستهجان جماعي. ويندرج تحت هذا الباب أيضاً استهزاؤنا وضحكنا المشوب بالسخرية من اللهجات المغايرة، حيث يتم السخرية من استخدامهم لألفاظ غير مستخدمة، أو للطريقة التي ينطقون بها بعض الحروف، وفي كثير من الأحيان يكون المرء مستقلاً حافلة، وعند توقفها وصعود أحد الركاب الجدد، فإنه سرعان ما يُقابل بالسخرية - من الركاب صغار السن على وجه الخصوص - لكنه بعد أن يتبسط في الكلام، ويتعرف إلى الركاب، تنقلب السخرية إلى ضحكات ترحاب واستقبال، بل ويشارك الركاب في السخرية والضحك من كل قادم جديد.

والآن هل هناك علاقة بين الضحك والتشفي من الآخرين؟ والإجابة بنعم، حيث أكد ذلك الباحث "لودفتشي"[٢]، حينما أشار إلى ذلك رابطاً بين الأمرين، كما قرر أيضاً بأن الشعور بالاستعلاء على الآخرين، الذي يقترن بالضحك، غالباً ما يكون عبارة عن محاولة لتغطية خوف المرء من التعرض لحالة الضعة أو الدونية، أو هو ما يُعرف "بمركب النقص"، وله شبيه بالإنسان حينما يلقى نفسه في موقف مهين، يدعو إلى السخرية والاستهزاء فيقوم بالدفاع عن نفسه بالضحك، وقد لَمَّح إلى ذلك "مارسيل بانيول" حينما قال (إن الضحك إنما هو نشيد انتصار، لأنه يعبر عن استعلاء وقتي، يكتشفه في نفسه على حين فجأة، ذلك الشخص الضاحك، حينما يتحقق من تفوقه على الشخص الذي يسخر منه)[٣].

وإذا ما انتقل الباحث الآن، للنظر في شكل العلاقة بين كل من الضحك والقلق، فإنه سيجد أن الفكاهة تلعب هنا دور الفيلسوف الساخر، الذي يقابل عظائم الأمور بروح الاستهانة، والاستخفاف، واللامبالاة، وهذا ما جاء ذكره في كتاب "الدار دار أبونا" حينما أشار صاحبه

---

[١] السابق، ص٨٢.

[٢] ينظر كتاب "سيكولوجية الفكاهة والضحك".

[٣] السابق، ص١٤٦.

إلى ما رواه "فرويد" لبعض الأمثلة والطرائف التي اصطلح على تسميتها بطرائف المقصلة، مثال ذلك الشخص الذي حكم عليه القاضي بالإعدام شنقاً، وقام الحراس باقتياده إلى غرفة المشنقة صباح يوم الاثنين- أول أيام الأسبوع عند الأوروبيين- فقال للقائمين على أمر إعدامه (حقاً إنها لبداية طيبة للأسبوع)[1]. وطرفة أخرى كان رواها الكاتب "عادل حمودة" كان صاحبها محكوماً عليه بالموت أيضاً، حينما سُئل عن شيء يريد قوله قبل تنفيذ الحكم (أيوه... قولوا للقاضي إنه عمل طيب بحكمه عليّ بالإعدام، عشان أبقه أتعلم)[2]. والشيء الذي يبعث على الضحك في الطرفتين السابقتين، أن المحكوم عليه بالإعدام يتصرف بمنتهى الاستخفاف والاستهانة، ويتجاهل الموت الذي ينتظره، ولا يكترث بالإعدام وبهيبة الموت. وقد ربط "فرويد" النكتة بالجنس[3]، فالرجل كان وضع على عينيه نظارة الجنس، حيث رأى من خلالها كل شيء، ذلك أنها في نظره من العمليات الإخراجية، التي تخفف عن الإنسان، وتريحه وتمنع عنه التوترات. وقد أشار كتاب "النكتة السياسية " إلى واحدة من هذه الطرائف التي تم تفسيرها جنسياً، تقول هذه الطرفة (في المترو القادم من محطة كوبري الليمون في طريقه إلى مصر الجديدة، كان الكمساري مشغولاً بالتطلع إلى فتاة لم يكن فيها من جمال سوى بروز صدرها الناهد... وفي تلك اللحظات بالذات سأل راكب:

- منشية البكري من فضلك؟

فأجابه وهو يواصل تطلعه إلى الفتاة:

- لا ... منشية الصدر ... الصدر بس!!!)[4].

## النقد الهادف وأشكال الرفض وعلاقتيهما بالتفاؤل والتشاؤم:

أكثر ما يميز الشخصية الفلسطينية، الجرأة، والجسارة، والثبات، فالظروف السياسية والاجتماعية التي مرت على فلسطين، جعلت أهل هذه البلاد يتسمون بالجدية، والرزانة، والاعتداد بالنفس، والبعد عن الضعف والاستكانة. ومن سمات الشخصية الفلسطينية كذلك سرعة التفاعل مع الأحداث، وتحسس الأخطار المحدقة، وقراءتها، لذا كان الفلسطيني الأسبق إلى انتقاد كل أمر معوج، وكل ظاهرة غير سوية، وتأسيساً على ذلك فقد غلب على الإنسان الفلسطيني الرفض بكل أنواعه، ومختلف أشكاله، فمن رفض إلى فتح أبواب بلاده للمهاجرين اليهود قبيل النكبة، حينما بدأت أقدامهم تطأ أرض فلسطين، حيث بدأت تتكشف خيوط

---

[1] الدار دار أبونا، ص١٢٢.

[2] النكتة السياسية، ص٨٩.

[3] ينظر كتاب النكتة السياسية.

[4] السابق، ص٨٩ وينظر كذلك سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص١٨٥- ١٨٦.

المؤامرة، إلى رفض الوصاية، والهيمنة، والتبعية للأنظمة العربية، ومن رفض لسياسة التذويب، وطمس الهوية، إلى رفض مطلق لمؤامرة التوطين، كذا الأمر رفض سياسة التجويع والحصار، ورفض الواقع البائس الذي وجد الفلسطيني نفسه فيه، وأخيراً رفض الابتعاد عن الكفاح المسلح، وإلقاء البندقية، وانتهاءً برفض التخلي عن حق العودة. والباحث يرى أن ثمة علاقة تربط بين النقد البناء وأنواع الرفض من وجهة، وبين التفاؤل والتشاؤم من وجهة أخرى، فالتفاؤل يولد النقد الهادف، أو على الأقل يوجه المرء إلى طريقه ويدل عليه، وأما التشاؤم فإنه يولد الرفض ويقود إليه.

لقد شاركت معظم الأجناس الأدبية في صنع النقد الرصين المسؤول، وفي توجيهه، وحسن توظيفه في مناحي الحياة كلها، وكان للطرائف نصيبها في إدارة هذا النقد الهادف، والرفض الناضج، وقد كان الباحث أشار إلى عدد من هذه الطرائف الفلسطينية التي شاركت في دعم مسيرة النقد والرفض في هذه البلاد.

## طرائف فلسطينية ناقدة:

* (الزبون: أهنئك يا سيدي على نظافة المطعم.

- صاحب المطعم: وكيف عرفت ذلك؟

- الزبون: الطعام الذي أكلته فيه طعم الصابون!!!)[١]. وفي الطرفة تعريض بأصحاب المطاعم، حيث تعودوا عدم الاهتمام بنظافة مطاعمهم، فلما نظفوها، ظهر أثار مواد التنظيف في الطعام المقدم للزبائن.

* (فتح أحدهم محلاً وكتب الإعلان التالي: "حلاقة الذقن بـ ٢٥٠ فلساً، والقطن واليود مجاناً!!!)[٢]. والمغزى أن الحلاقين لا يتقنون عملهم، حيث يقومون بإحداث الجروح في ذقون زبائنهم.

* (الزبون: أنا لا أستطيع أن آكل هذا الطعام الرديء... أين صاحب المطعم؟

- الجرسون: لا تتعب نفسك، فصاحب المطعم لا يستطيع أن يأكل منه أيضاً!!!)[٣].

سهام نقد موجعة موجهة لأصحاب المطاعم، الذين لا يعبأون بجودة الطعام المعد.

* (الطبيب: ماذا كانت النتيجة لما نصحتك تنام، وتترك الشبابيك مفتوحة؟

- المريض: انسرقت!!!)[٤]. انتقاد واضح لتساهل قانون العقوبات، مما أدى إلى كثرة اللصوص، وزيادة حوادث السطو والسرقة.

---

[١] مجلة اضحك، ص٤٣.

[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٨٠.

[٣] السابق، ص١٨٦.

[٤] مجلة اضحك، ص٣٠.

* (طرق أحدهم الباب على الطبيب في منتصف الليل، وقال له:
- دكتور لديّ مريض على بعد ٨ أميال ..... كم تأخذ أجرة المعاينة؟
- الدكتور: ثلاثة دنانير.

وركب الرجل مع الدكتور في سيارته، وأخذ يدله على وجهته، حتى طلب منه التوقف، وراح يعد الدنانير، فسأله الدكتور: وأين المريض؟

الرجل: دكتور - لا يوجد مريض، ولكن أقل أجرة طلبها سائق سيارة أجرة في هذه الناحية كانت خمسة دنانير!!!)[١]. ومن دلالاتها غلاء أسعار سيارات الأجرة.

* (ذهب أحد الأشخاص لينام في أحد الفنادق، وسأل صاحب الفندق:
- بكم أجرة المنام عندكم لليلة واحدة؟
- صاحب الفندق: هذا يتوقف على نوع الغرفة، تريدها بالقمل أم بالبراغيث، أم بالصراصير!!!)[٢].

نقد لاذع موجه إلى أصحاب الفنادق، حيث يهتمون بالناحية المادية، ولا يلتفتون مطلقاً لناحية نظافة الفندق.

* ومن الطرائف الهادفة التي يشيع تداولها في مجتمعنا الفلسطيني، ما يروى "كان أحد الرجال يحمل نعش زوجته وهو يضحك، فلما سُئل عن السبب قال: لأني أعرف هذه المرة فقط إلى أين هي ذاهبة!!!". الأمر الذي يعني أنها كانت امرأة كثيرة الخروج من دارها، حيث تنتقل من بيت لآخر، وهي التي يسمّيها الفلسطينيون "الفرّارة".

* (قابل رجل سيدة في طريق خالٍ فسألها:
- معذرة يا سيدتي ... هل شاهدت أحداً من رجال الشرطة في المنطقة؟
- لا لم أشاهد أحداً.
- إذن .... ناوليني حقيبة النقود بسرعة!!!)[٣].

ومن دلالاتها أن رجال الشرطة يقتصر وجودهم على مناطق بعينها، الأمر الذي يفهم منه ازدياد حوادث النشل والسرقة بالإكراه.

* (كان على وشك مغادرة بيته متجهاً إلى مكتبه، فناولته زوجته علبة صغيرة، وقالت له: خذ زجاجة زيت الشعر هذه، وقدمها إلى سكرتيرتك لأن شعرها يتساقط على ملابسك بغزارة!!!)[٤]. والمغزى أن زوجها يقيم علاقات مع سكرتيرته.

---

[١] موسوعة طرائف ونوادر، ص٢٩.
[٢] السابق، ص١٩٢.
[٣] السابق، ص١٠٧.
[٤] السابق، ص١٤٥.

* (المريض للطبيب: إني فقدت الأمل يا دكتور.
- الطبيب: سوف أجد لك حلاً، وعليك الالتزام بالصبر، إنك تحتاج إلى علاج لمدة سنتين، وبمعدل خمس جلسات شهرياً، وكل جلسة تكلفك ثمانين ديناراً .... وبعد ذلك ستتحسن حالتك.
المريض: دكتور على حد كلامك، حالتك هي التي ستتحسن!!!)(١).
انتقاد ينال من ذمم الأطباء الذين يبالغون في تضخيم أمراض الزبائن، ويطالبونهم بأجور باهظة.
* (الممرضة: لقد ولدت زوجتك توأمين... هاك أحدهم.
- الزوج: وأين الثاني؟
- الممرضة: حجزناه حتى تدفع الحساب!!!)(٢).
والدلالة أن أصحاب العيادات الخاصة مجردون من دواعي الإنسانية، حيث لا يكترثون إلا بالنواحي المادية فقط.
* ومن الطرائف الناقدة التي تُسمع في المجتمع الفلسطيني، متناولة - بالغمز - لجان الامتحانات، ولجان التصحيح وغيرها، ما يروى "ظهرت نتيجة التوجيهية العامة في إحدى السنوات، فاعترض - على معدله - طالب وقدم التماساً إلى لجنة الامتحانات طالبهم بمعرفة السبب حيث أن مجموعه كان ٥٥%، بينما كان مجموع زميله - الذي غشّ منه كل الإجابات - ٩٢%". والدلالة أنه لم يكن هناك دقة في التصويب.
* وما يروى كذلك "أحضر أحد اللصوص مصوراً إلى داره، وقال له: صورني مع المسروقات حتى إذا ما قُبض عليّ وصورتني الشرطة، أمكنني المطابقة بين الصورتين واكتشاف الزيادة".
والدلالة أن الشرطة لا تتمتع بالنزاهة والصدق.
* وما يروى أيضاً "أرسلت إحدى المدرسات ملاحظة إلى والدة أحد تلاميذها، شكرت فيها التلميذ لشدة ذكائه وحسن إجاباته، إلا أنه يقضي معظم وقته مع التلميذات الصغار، ووعدت بالبحث عن حل لهذه المشكلة، فردت والدة التلميذ طالبة سرعة إخبارها بالحل لأنها تواجه نفس المشكلة ولكن مع والد التلميذ!!".
والدلالة التي تحملها الطرفة أن الرجل غير مستقيم، وأنه يقيم علاقات غير طبيعية مع فتيات يصغرنه بسنوات.

---

(١) السابق، ص١٧٤.
(٢) السابق، ص١٧٨.

وإذا كان الأدب الفلسطيني قد عرف النقد الهادف البناء، والكلمة الهادئة الرصينة، التي تبحث العلل والأدواء محاولة إيجاد العلاج، فقد عرف هذا الأدب أيضاً الرفض بكل أشكاله، ومختلف أنواعه، كما عرف الأدب الفكاهي الفلسطيني كذلك الطرائف التي عكست روح التفاؤل والأمل، وعكست بعض الأحيان- روح التطير والتشاؤم.

**طرائف التفاؤل والتشاؤم:**

* (البخيل: حظي سيئ.

- الصديق: لماذا؟

- البخيل: لأن الصيدلية التي بجوارنا أعلنت عن تخفيضات، وليس فينا أحد مريض!!!)[١].

إنه البخل الزائد عن الحد.

* (الأول: أصابني زكام فألزمني الفراش، وانقطعت عن المدرسة أسبوعاً كاملاً.

- الصديق: إن حظي سيئ، فلقد أصابني الزكام خلال العطلة الصيفية!!!)[٢].

والطرفة تحمل في ثناياها التطير والتشاؤم وندب الحظ غير السعيد، حيث أصيب بالزكام خلال العطلة الصيفية المخصصة عنده للهو والمرح والانطلاق.

* (قال أحدهم لصديقه: أنا أتعس الناس حظاً.

فسأله صديقه: لماذا؟

فقال: لقد دفعت البارحة تسعة دنانير أجرة منامي في الأوتيل، ومع ذلك حلمت طول الليل أني كنت نائماً على الرصيف!!!)[٣]. ومرد التشاؤم يكمن في الحلم الذي عطّل عليه حلاوة الاستمتاع بنوم هادئ في فندق كان دفع له تسعة دنانير نظير المبيت.

* (الأول: أنا قليل الحظ في الزواج.

- الثاني: لماذا؟

- الأول: لأن امرأتي الأولى ماتت.

- الثاني: وامرأتك الثانية؟

- الأول: لم تمت حتى الآن!!!)[٤].

والصحيح أن حظه سيئ، لأن زوجته التي يبدو أنه كان يحبها- قد ماتت، وأما زوجته الثانية -غير المحبوبة- فإنها ما تزال على قيد الحياة.

---

[١] السابق، ص٢٠.

[٢] السابق، ص٧٥.

[٣] السابق، ص٧٨.

[٤] السابق، ص٨٠.

* (كان هناك طبيب متفائل، يكره التشاؤم، حتى أنه ثار على ممرضة أحد زبائنه عندما قالت له: إنه مريض، وقال لها: لا يا ابنتي، قولي إنه يُظن أنه مريض، لأنه لا يوجد ما يثبت أنه مريض فعلاً. وفي اليوم التالي اتصلت الممرضة بالطبيب وقالت له:

- إن السيد الذي كان يُظن بالأمس أنه مريض، يُظن اليوم أنه توفي!!!)[١].

والطرفة تسخر من شدة تفاؤل البعض وكراهيتهم للتشاؤم.

* (المعلم للطالب: إن حظك سيئ جداً، حاول أن تحسنه.

- الطالب: إنه حظ والدي .... وسأخبره بذلك يا أستاذ!!!)[٢].

والصحيح أن حظ الوالد هو السيئ، لأنه كان رُزق بهذا الولد الكسول غير المجد.

ومن الطرائف الفلسطينية التي تتناول أصحاب الحظ السيئ، ما يروى في مجتمعنا الفلسطيني "لاعب كرة منحوس، سجل هدفاً، فلما أعادوه بالحركة البطيئة طلع بره!!!". مبالغة في التشاؤم وسوء الحظ.

## الطرفة والملامح العامة للشخصية الفلسطينية:

قال "مارسيل بانيول" في خاتمة دراسته للضحك (قل لي ممّ تضحك أقل لك مَن أنت)[٣]. وهذا يعني أن الطرائف مرآة أهلها، تدل على صفاتهم، وتشير إلى سماتهم، وتعكس أمزجتهم وأخلاقهم.

وسيمر الباحث سريعاً على الدلالة الأخلاقية للضحك عند كل من اليهود والنصارى والمسلمين، وأما اليهود فهناك إجماع على أنهم شعب لا يميل إلى الفكاهات، فالتوراة تكاد تخلو من أي روح فكاهية، وربما كان السبب في ذلك هو حياة الشعب الإسرائيلي التي خلت- تقريباً- من الدعة والهدوء والسكينة. وأما النصارى فإن أحد قديسيهم وهو القديس "بولس" كان أوصاهم في رسالة وجهها لهم بأن يفرحوا في كل وقت، رغم أنه كان رجلاً صارماً لا يعرف لغة الابتسام. وذهب فيلسوف مسيحي آخر إلى أبعد من ذلك، حينما اعتبر الضحك أمراً غير طاهر. وأما في الإسلام فالثابت أن المسلمين كانوا مارسوا الفكاهة والرسول- عليه السلام- بين ظهرانيهم ولم يثبت عنه أنه استهجن ذلك، أو نهاهم عنه، رُوي عن "أنس بن مالك"- رضي الله عنه- قوله (كان رسول الله- وسلم الله عليه وسلم- من أفكه الناس)[٤]. وإذا كان هناك من تحفظ على الفكاهة، فإن تحفظ يتعلق ببعض أنواع المزاح الجريء الذي يفضي إلى

---

(١) السابق، ص١٥٠.

(٢) السابق، ص١٨٦.

(٣) سيكولوجية الضحك، ص٤٥ "وينظر كذلك سيكولوجية الفكاهة والضحك"، ص٢٦٥.

(٤) غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، ص٢٩.

القطيعة بين الأصحاب، جاء في كتاب "زهر الآداب" (المزاحة تذهب الهيبة، وتورث الضغينة، الإفراط في المزاح مجون، والاقتصاد فيه ظرْف، والتقصير عنه ندامة، أوكد أسباب القطيعة المراء والمزاح)[١]. صحيح أن هناك نوعاً من الفكاهات تحتوي على قدر من الاستخفاف بالمثل الأخلاقية العليا، وتنطوي على قدر من السخرية بالقيم والأعراف، لكن الثابت أنه ليس كلها تنتمي إلى هذا النوع الذي لا يعبأ بالقيم والمثل الأخلاقية. وعلى الرغم من أن الباحثين استطاعوا استجلاء العالَم النفسي للإنسان من خلال الطرائف والدعابات، وإذا كانت الطرائف أيضاً تعكس الأَمزجة، والنفوس والطبائع والأخلاق، إلا أن هذا لا يمنع الباحث من القول إن لكل طرفة جمهورها، وإن لكل نكتة مريديها وعشاقها ومشجعيها، بحيث لو صادف أن التقت جماعة معينة من الناس على الضحك من طرفة بعينها، فإن هذا يعني بالضرورة أن عقليتها واحدة، وأن نفسيتها واحدة، وأن بينها اشتراكاً في الميول والآراء والاتجاهات، وأنهما ينتميان إلى بيئة واحدة، فإذا كان هناك - مثلاً - شخص لا تعجبه إلا الطرائف الخليعة، والنكات الجنسية البذيئة، فإنه سيكون - حتماً - غير مقبل على الطرائف الهادفة الجادة، ولا يستسيغ الفكاهة الرصينة، وهذا يدل - بلا شك - على أن الناس الذين يفضلون طرائف معينة، ويتذوقون دعابات خاصة، إنما ينتمون إلى وسط اجتماعي مشترك، وبالتالي فإن للبيئة الاجتماعية تأثيراً شديداً على نوع استجابة الأفراد للمنبهات، والمؤثرات، والأصداء الفكاهية. هذا الأمر الذي كان انتبه إليه الباحثون الاجتماعيون، والأخصائيون النفسيون في المجتمعات المشهورة بميل أهلها إلى الملح والدعابات - كالمجتمع المصري على سبيل المثال - من سرعة في استحسان وقبول كل أنواع الطرائف والمضحكات دونما تحفظ، ولو حدث وأن دخل أحدنا مسرحاً معيناً، يقدم طرائف معينة، لا قِبل له بها، ولم يكن متعوداً دخول أَمثال هذه الأَماكن، فإنه - بالتأكيد - لن يتذوق ما يُعرض، لأنه لن يكون بوسعه اكتشاف ما فيها من مفارقات، وتلميحات، ومدلولات، وإشارات، لأنه لم يتعود عليها، في الوقت الذي سيجد فيه كل الرواد - من حواليه - منهمكين في الضحك، مستغرقين في الأنس والسرور. ثم لا يمكن للواحد منا الضحك، ومشاركة القوم فكاهاتهم، إن لم يكن مندمجاً في ذات المجتمع، لأن الاندماج في المجتمع شرط أساس للمشاركة في الفكاهة. وهكذا يكون لكل أمة طريقها في الضحك، ويكون لكل مجتمع أسلوبه في السمر والأنس والدعابة، ولكل شعب خاصيته، ونمطه في إيراد الفكاهات والضحك منها، لذا فليس غريباً أن تُدرس أخلاق الشعوب، وثقافاتها، وشخصياتها بناءً على مخزونها الفكاهي، ورصيدها في المرح والتفكه. وهذا ما أكد عليه "فرويد" حينما رأى في الجماعة (ضرورة لتذوق النكتة، وتحقيق الاستجابة المرجوة منها، إذ

---

[١] زهر الآداب وثمر الألباب، ص٥٢٢.

أن رواية النكتة أن رواية النكتة وتذوقها، يشترط بالضرورة وجود جماعة صغيرة مؤلفة من ثلاثة أفراد هم: راوي النكتة، والمروي عنه، ثم المستقبل للنكتة، وحدوث استجابة الضحك التي تعبر عن تذوق الفرد للنكتة، إنما يفترض تماسكاً اجتماعياً، أو مشاركة نفسية يساعد على حدوثها، إذ يعتبر في الاستجابة بالضحك لنكتة ما، هو دليل على الاشتراك في عقلية واحدة، أو انتماء لفصيلة نفسية واحدة)[١].

من خلال الطرائف يمكن التعرف إلى الملامح الأساسية المميزة للشعوب، وعن طريق الفكاهة كذلك يمكن فهم سيكولوجية الأمم، وطرائف كل قوم لها دلالاتها في توصيف موقف هؤلاء القوم من أنفسهم، ومن الدنيا حولهم. لذا فإن المحللين النفسيين والاجتماعيين، إذا ما رغبوا في فهم شخصية أقلية معينة، تعيش داخل مجتمع ما، فإنهم يلجأون إلى الطرائف لفهم شخصية هؤلاء، والوقوف على أمزجتهم وأخلاقهم، وتعليل ذلك (أن النكتة ترتبط بمرحلة النمو النفسي التي يمر بها الفرد، فالأطفال لهم نكاتهم التي تعبر عن حاجاتهم في هذه المرحلة، وكذلك المراهقون لهم نكاتهم، التي تعبر عن حاجاتهم في مرحلة المراهقة، ولكن فضلاً عن هذا، تظل النكتة تعبيراً عن عوامل أخرى، تتعدى حدود مرحلة النمو النفسي الجنسي)[٢]. ومن خلال النكتة أيضاً يمكن التعرف إلى مدى تحضر المجتمع، سواء أكان داخل المجتمع الواحد، أو عن مجتمعات تختلف في مستوى ودرجة تحضرها.

وفي سياق الحديث عن قياس الحس الفكاهي لدى الأفراد، قامت إحدى الباحثات المتخصصات في هذا الشأن وتدعى J. M. Willams بإجراء دراسة ميدانية على عدد من الأطفال وصل عددهم إلى ثلاثمائة طفل، وذلك بغية معرفة كل شيء عن الفكاهة لدى هؤلاء الأطفال، وطلبت إلى كل أن يروي لها أروع التجارب التي مرّ بها، وأن يتذكر صورة كان عدها أطرف صورة مرت عليه في حياته، ثم أن يروي للباحثة الطرفة التي يعتقد أنها أفضل ما رأتها عينه، أو سمعتها أذنه، وكانت النتيجة أنها قسمت الفكاهة- بناء على إجابات الاستبيان- عند الأطفال إلى: أ- موقف شخصي.ب- موقف لا شخصي. والأول يتعلق بتفضيل الناس للطرائف التي تنزع إلى الناحية الوجدانية، مثل الاستعلاء والتفوق. وأما اللاشخصي، فيقترن فيه التفضيل على أساس ما تحمله هذه الفكاهات من مفارقات ومبالغات. وقد استطاعت الباحثة- المشار إليها آنفاً- التفرقة بين الموقفين استناداً إلى نوعية النكتة التي فضلها الصغار، فالموقف الشخصي، أظهرته النكتة التي تعكس بلاهة وغفلة الآخرين، وأما الموقف اللاشخصي، فميّزته الطرفة التي نمّت عن مفارقة، أو تفاخر، أو خيال واسع.

---

[١] العداونية واستجابة الضحك، ص٣٢.

[٢] السابق، ص٤٧.

وبالتجربة ثبت أن للفكاهة علاقة وثيقة بقياس المزاج العام لدى الأفراد والجماعات. ومعروف أن بعض الأوساط الاجتماعية، قد تكون مسئولة عن ازدياد نسبة النكات البذيئة، أو الفكاهة الرخيصة، لأن هذا الوسط الاجتماعي يعمل- أحياناً- على تقليل مقدرة أفراده على التمييز والتفرقة، وإصدار الأحكام، أو أنه يتمادى في إضعاف ملكة النقد لدى أفراده، وهذا ما يحصل أحياناً مع بعض الأفراد، حينما تتاح لهم فرصة الاستماع إلى بعض النكات داخل بيئة، أو وسط اجتماعي معين، فيقابلونها بضحك متواصل، واستحسان عجيب، بينما لو قُدّر لهم الاستماع إليها وهم فرادى، فلربما تضعف الاستجابة، ويخفّ الإعجاب بحيث لا يقابلونها بأكثر من ابتسامة باهتة. ولوحظ إقبال بعض الأوساط الاجتماعية- في مناسبات محددة- على شد أزر الفكاهات، ورفع مستواها، ذلك أن الجماعة تكون في هذه الحالة مستعدة لاستقبال النكات الهادفة، وإهمال النكات المكررة الرخيصة، وهنا تعلو صيحات الإجلال والإكبار للنكات ذات المغزى والمضمون، وتُقابل النكات السخيفة بالتنديد والاستهجان، كما يلاحظ في هذا الشأن أيضاً تباين استجابات طوائف مختلفة من الأفراد عندما تُعرض عليهم أعمال فكاهية بعينها، وهذا التباين راجع إلى اختلاف الآداب العامة، وأنواع السلوكيات، وطريقة كل طائفة في الضحك، والتعبير عن البهجة والسرور.

ومن خلال الضحك الذي تولده الطرفة، يمكن تفسير سلوك الإنسان، والتعرف إلى ملمح شخصية ما، لذا فإن "برجسون" يقول (لكي نفهم الضحك يجب أن نرده إلى بيئته الطبيعية وهي المجتمع)[١]. كما أن الاستجابة للضحك تختلف من فرد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى. فاستجابة مَن يسكن المدينة للضحك، تختلف عن ساكن القرى، ثم إن الشيء المضحك هو الآخر يختلف ويتباين، فأهل المدن يضحكون من أمور لا تضحك أهل القرى، والمثقف لا يضحك مما يضحك الجاهل، والذي يُضحك الإنسان الشرير، ربما لا يضحك الإنسان الطيب، وفي هذا الإطار يقول "برجسون" (إن مجتمعاً مؤلفاً من عقول محضة، قد لا يبكي أبداً، ولكنه يظل يضحك، أما النفوس المتأثرة أبداً، المتصلة بأوتار الحياة، النفوس التي تترجع كل حادث من الحوادث ترجعاً عاطفياً، فإنها لن تعرف الضحك ولن تفهمه)[٢].

ومن خلال كثرة الضحك وقلته، يمكن تفسير وتحليل الشخصية، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا، أنه لكي يحدث الضحك (لا بد من أن يتوقف القلب برهة عن الشعور، لأنه يتوجه إلى العقل)[٣]. الأمر الذي يعني أن كثير الضحك إنسان لا يكترث بالأمور، ولا يعبأ بالقضايا،

---

[١] سيكولوجية الضحك، ص٧٦.

[٢] العدوانية واستجابة الضحك، ص٢٥.

[٣] سيكولوجية الضحك، ص٧٨.

وشعوره يكاد يكون ضئيلاً مع الأفراد، ومشاركته الوجدانية ضعيفة للغاية، ولأنها- أي المشاركة الوجدانية- العماد في نشوء الحياة الاجتماعية، فإن المرء كثير الضحك إنسان غير جدي في شغله في غالبية الأحايين، فالضحك له أوقاته وله ظروفه، ولا يجوز للمرء أن يضحك في كل الأوقات، فهناك أوقات وأماكن لا يجوز فيها الضحك بتاتاً، كي لا يُظن أن ضحكه استهزاء بالجماعة، كما يجب أن يكون الضحك على قدر المضحك، ذلك أنه لا يجوز أن يطول الضحك بطريقة ملفتة للنظر، لمجرد سماع الشخص نكتة حلوة.

ومن خلال تحليل شخصية الإنسان قليل الضحك، وُجد أنه نزّاع إلى الوحدة، ميّال إلى الانطوائية والانزواء، ومن صفاته أنه شخص غير راضٍ عمَّا يجري في المجتمع، وهو شخص يمتاز بالقلق النفسي، ويكره كل جديد، ولأنه غير قادر على التكيف مع باقي أفراد المجتمع، فالملاحظ أن علاقته تكون سيئة مع الآخرين، ومن هنا يمكن تفسير مخالفته لما يعتقد الناس، وانعزاله عن البشر. كذلك فإن الشخصية التي تميل إلى الانبساط، شخصية منفتحة محبوبة، تنزع إلى تسهيل العلاقات الحميمة مع الآخرين، وأما أصحاب الشخصيات المنطوية فإنهم يعيشون في عزلة، وداخل أجواء مفكهرة وغير صحيّة.

## طرائف وملامح:

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن كل طرفة- تقريباً- تحمل سمة من سمات الأمة، أو قسمة من قسمات الشخصية، أو صفة من صفاتها، وأما الآن فإلى طرائفنا وملامحنا.

الطرفة التي تقول (لقد وجدت نفسي بين مجموعة من الوحوش الضارية، وقد كشرت عن أنيابها، فلم أكترث بها، ونظرت إلى الأسد نظرة احتقار، فأخذ يزأر دون أن يستطيع الاقتراب مني.

- إنه حلم رائع.
- ليس حلماً، إنه حقيقة.
- هل تسخر مني؟
- لا، لقد حدث ذلك أمس في حديقة الحيوان!!!)[١]. وفي الطرفة ملمح من ملامح الشخصية الفلسطينية، ألا وهو حب المرح والانطلاق، والميل إلى إطلاق النوادر والفكاهات.

* وأما الطرفة التي عرفها أبناء المجتمع الفلسطيني إبان الانتفاضة الأولى، والتي مفادها (ضل أحد الجنود طريقه أثناء مطاردة بعض الشباب داخل المخيم في الأزقة الضيقة، وعندما وجد نفسه وحيداً، انزوى في القرنة، وأخذ يبكي ويصرخ، فتقدم منه عدد من الشباب، وألقوا

---

[١] اضحك، ص٤١.

القبض عليه، وأجبروه على خلع ملابسه العسكرية، ووضعوها أمام عينيه في الإطار المشتعل، ثم أرشدوه إلى وحدته بعد أن قالوا له: بلغ تحيات الثورة إلى قيادتك، ويكفيك ما أنت فيه!!!)[١]. فإنها تعكس روح التسامح لدى الفلسطيني والعفو عند المقدرة.

* وأخرى يُستشف منها ملمح آخر، ذلك أنه (في مدينة جنين، وفي إحدى المظاهرات حصلت مشادة كلامية بين فتاة فلسطينية وجندي إسرائيلي، فطلبت منه أن يضع سلاحه جانباً لتريه من الأشجع، وفعلاً قبل الجندي، ووضع سلاحه، فضربته الفتاة وطرحته أرضاً، فأخذ الجندي يصرخ ويستنجد، وعندما حضر الجنود خلصوه من يدي الفتاة وضربوها!!!)[٢]. وهي توحي بروح التحدي والشجاعة لدى الفلسطينيين.

ومن الملامح المتجذرة للشخصية الفلسطينية، المحافظة الشديدة على الشرف، والغيرة على العرض، وهذا ما توضحه الطرفة الآتية (مَرَّة مَرَة طالعة في منع التجول، لقاها الجيش قالها: وين رايحه؟

قالتله: "بدي أجيب أكل لأولاد ابني"

فقال الزابط: ممنوع روحي عالبيت.

- والله إذا ما حدت بضربك.

- تعالي اضربي تشوفك.

أجت المرة هجمت على الزابط ونزلت فيه ضرب، أجا جندي وضربها بالعوزي، وقعت على الأرض، راج الجندي شلح أواعيه، ورمى الطاسة وتمدد جنبها "بقصد الاعتداء الجنسي عليها"، راحت المرة مسكت رقبته وبدها تخنقه، صار يصرخ ويبكي، أجا الزابط والجنود يشدوا فيها مش قادرين يفلتوا أيديها، أجو النسوان خلصوا الجندي منها وأخذوها!!!)[٣].

* وأما الطرفة الفلسطينية التي تتحدث عن (رجل ريفي شعر بألم في بطنه، وعندما ذهب إلى الدكتور كشف عليه، فوجده قد رسم خريطة على بطنه، فقال الدكتور: أين مكان الألم؟

الرجل: من المحيط إلى الخليج)[٤]. فإن المرء يضع يده- من خلالها- على صفة أخرى من صفات الشخصية الفلسطينية، وهي التحلي بالحس القومي، والتفاعل مع قضايا وهموم أمته العربية.

* (طلب أحد البخلاء من ابنه أن يغسل سيارته، وحتى يشجعه على العمل، قال له: إذا نظفت السيارة جيداً، سأصحبك إلى بائع الفاكهة لترى التفاح بعينك)[٥]. حيث يتضح من خلالها صفة البخل التي تلازم البعض.

---

[١] الدار دار أبونا، ص٩٣.
[٢] السابق، ص٩٣.
[٣] السابق، ص٩٤.
[٤] اضحك، ص٣٦.
[٥] السابق، ص٣٧.

* (قام أحد الأطفال يبلغ من العمر حوالي العاشرة، برمي الحجارة على الجيش في أحد أحياء مخيم الدهيشة، وكان يضرب الحجر، ويدخل إلى بيت بجانب الموقع الذي يضرب منه الحجارة، وكل مرة كان الجنود يلحقون به إلى البيت، فيجدون امرأة تغسل ثياب عائلتها، فيفتشون البيت ولا يجدون الطفل، وكان على مسافة غير بعيدة أحد الصحفيين يراقب الوضع أولاً بأول، وبعد عدة جولات من رمي الحجارة، وتفتيش البيت، دخل الصحفي الأجنبي وسأل المرأة أين يذهب الطفل داخل البيت، مع أن الجنود فتشوا البيت عدة مرات، ولم يجدوه فرفضت المرأة أن تخبره، واستمرت في غسل الثياب وهي جالسة، فألح الصحفي في الطلب، وأقسم لها بأنه لن يخبر أحداً عما تقول، فاقتنعت المرأة وقالت: "اطلع يمّا يا علي!"، وإذا بالطفل يخرج من تحت ثوبها وهي جالسة تغسل!!!)[١]. طرفة تشير إلى ذكاء الفلسطيني، وجسارته، وقدرته على حسن التخلص.

وممّا يروى في مجتمعنا الفلسطيني مشيراً إلى الذكاء، والقدرة على التهرب من المواقف المحرجة.

* "الطفل: أنا ووالدي نعرف عواصم بلدان العالم كلها.

- صديقه: طيب، ما هي عاصمة "زائير"؟

- الطفل: إجابة سؤالك في القسم الخاص بأبي!!!!".

* (اقتيد اللص المحكوم عليه بالإعدام إلى حبل المشنقة، وبينما هو يصعد السلم، زلت قدمه فوقع على الأرض، ثم قام وهو يتحسس جسمه قائلاً: الحمد لله .. جاءت سليمة!!!)[٢].

والمتأمل للطرفة السابقة، يقرأ فيها ملمحاً شاذاً وهو ميل البعض- أحياناً- إلى الاستهانة والاستخفاف بالعقوبات والجزاءات، بل وبالحياة نفسها.

* وإلى ملمح آخر حيث (اشترى رجل عصفوراً من نوع "كناري"، ولما وصل الرجل إلى بيته، اكتشف أن العصفور برجل واحدة، فعاد من فوره غاضباً وقال للبائع: العصفور برجل واحدة، فرد البائع بمنتهى الهدوء: هل تريده للرقص أم للغناء؟!!!)[٣]. حيث العصبية الزائدة التي يتسم بها الكثير من الفلسطينيين.

* ومن طرائفنا الفلسطينية التي تشير إلى ملامح وصفات أبناء هذا الشعب، ما يروى (الأول: لمن ستُعطي زوجتك صوتها؟

- الثاني: للمرشح الذي سأعطيه صوتي.

---

[١] الدار دا ر أبو نا، ص٩٥- ٩٦.

[٢] موسوعة طرائف ونوادر، ص١٠٧.

[٣] السابق، ص١٠٧.

- الأول: ولمن ستصوت أنتَ؟

- الثاني: إن زوجتي لم تقرر بعد!!!)[1]. والملمح الذي أشارت إليه هو ضعف الشخصية لدى بعض الرجال.

* ومن الملامح المألوفة لأبناء الشعب الفلسطيني، ما تشير إليه الطرفة التالية (الأول: كيف لا تشكو زوجتك من ضيق هذه الشقة التي تعيشون فيها؟.

- الثاني: لأنها تعرف أنه لا يوجد مكان في الشقة للشكوى!!!)[2].

والملمح هو قوة الشخصية، والاعتداد بالنفس المعروفان لدى الرجل الفلسطيني.

* وصفة جديدة من صفات الشخصية الفلسطينية، تضيفها هذه الطرفة التي جاء فيها (دخل صديقان إلى مقهىً، فأحضر لهما القهوجي قطعتين من الكعك، فأخذ الأول القطعة الكبيرة، وترك الصغيرة لصديقه. غضب الصديق الثاني وقال: ماذا سيقول الناس عنك على تصرفك هذا؟ أجابه صديقه: لو كنت مكاني فأية قطعة سوف تختار؟ رد الصديق قائلاً: الصغيرة طبعاً، فقال له صديقه: هاهي أمامك خذها!!!)[3]. إنها خفة الظل التي درج عليها الكثير من الفلسطينيين.

* وإلى ذات الصفة ذهبت هاتان الطرفتان الفلسطينيتان، جاء في الأولى (ذهب رجل يشتري بطيخة، وعند شرائه أخذ يدق على البطيخة، فقال له البائع: لماذا تدق على البطيخة؟ قال الرجل: أدق عليها لأستأذنها قبل فتحها!!!)[4].

* وجاء في الثانية (الأول: لماذا تذاكر خارج منزلك؟

- الثاني: حتى يقول الناس إنني أدرس في الخارج!!!)[5].

* وإلى ملمح كريم آخر، كانت كشفته الطرفة الفلسطينية، وجاء في التفصيل "دعا رجل - معروف بخفة الظل - أصدقاءه للعشاء في بيته، ولما حضروا أخبرته زوجته بأنه لا يوجد في البيت شيء من الطعام، فما كان منه إلا أن أخذ صينية كبيرة، ودخل بها على أصدقائه قائلاً: يا أحبائي، لو كان لدينا لحم وأرز لكنت عملت لكم فتة لذيذة في هذه الصينية الكبيرة!!!". وهي توحي - على الرغم ممّا جاء بها - بالكرم والجود.

---

[1] السابق، ص١٢١.

[2] السابق، ص٢٣٢.

[3] اضحك، ص٦.

[4] السابق، ص١٧.

[5] السابق، ص١٩.

# الخاتمة

بقي للباحث أن يذكر أنه برغم الظروف المعقدة وغير الطبيعية، التي ألمت بالشعب الفلسطيني، حيث الحروب والغزوات المتعاقبة، وفترات الانتداب، والاحتلال، والاستعمار، وبرغم ما ابتلي به الفلسطينيون من تهجير وتشريد، وما قاسوه من محن وكوارث وعناء، إلا أنهم استجابوا للفكاهة، وتعاملوا معها- إلى حد ما- مما ينبئ عن وجود روح فكاهية، وتذوق- معقول- للأدب الضاحك، واستعداد للتعاطي مع هذا اللون من ألوان الأدب. وبهذا يكون الفلسطينيون قد أثبتوا أنهم لا يختلفون عن أجدادهم الذين كانوا ضاحكين- غير عبوسين ولا مقطبين- منذ الأزل، مما يدل على طوية حسنة، وقلوب لا تعرف الغل والبغضاء، إلا أن الباحث- وبعد طول تعامل مع الفكاهة الفلسطينية- كان لاحظ انحساراً واضحاً في الأدب الفكاهي الفلسطيني قياساً بمثيله في بعض الدول العربية- كمصر مثلاً- وفي ظني أن هذا الانحسار له أسبابه المقنعة، ودواعيه الملزمة، منها تباين الأمزجة، واختلاف التكوين النفسي لدى أفراد كل شعب من الشعوب، كذلك تباين الظروف والبيئات، والاستعداد الفطري لتقبل الفكاهة أو النفور منها.

وبشكل عام فإن الباحث يرجع شح الطرائف وضمورها لدى الفلسطينيين، إلى مجموعة من الأسباب، أولها ما تعرض له هذا الشعب من استعمار واقتلاع، وما أعقب ذلك من تهجير وتنكيل وعذاب على يد اليهود وغيرهم، وهكذا يصبح من غير المقبول- والحالة هكذا- أن يلجأ الفلسطينيون إلى إطلاق الدعابات والنوادر والتعامل معها وتشجيعها، ذلك أن الحالة النفسية، والاستعداد لا يسمحان بذلك، وإن حدث شيء، من هذا القبيل أحياناً، حيث أطلقت طرفة هنا، وانبعثت أخرى من هناك كنوع من الهروب من هذا الواقع الأليم، فإنها تبقى ظواهر نادرة استثنائية لا يقاس عليها ولا يعتد بها. فالطرائف- في الأعم الغالب- تحتاج ذهناً صافياً، وبُعداً عن الهموم والمشاكل والأحزان.

وثانيها لأن الشعب الفلسطيني- ما يزال حتى اليوم- يعول كثيراً على القضاء العرفي، ويقيم له وزناً غير قليل، لذا فأبناء هذا الشعب تراهم حريصين دائماً على إطالة التأمل، والوقوف أمام الكلمة قبلي التفوه بها وصدورها، وذلك خوفاً من العواقب، ولكي لا يكون الشخص عرضة لملاقاة الآخرين، وهو متهم بتلطيخ السمعة، والإساءة إلى الناس.

وثالثها ما يتعلق بالظروف الاقتصادية والمتاعب المالية، التي عرفها أهالي فلسطين على مر تاريخهم الطويل، فإذا كانت هناك سنوات تهطل فيها الأمطار، فيستحيل الموسم خصاباً، فهناك كذلك سنوات تشح فيها الأمطار فيعم الجدب، وينتشر القحط، مما يولد القلق الذي لن يكون بحال مرتعاً طيباً، وجواً ملائماً لإطلاق الطرائف، وشيوع الملح، واستقبال الفكاهات.

ورابعها الطبيعة التي جبلت عليها الشخصية الفلسطينية، وهي طبيعة مبنية على الجدية، والرصانة، ميالة إلى التمرد، ورفض الواقع، ومن هنا فإن غالبية الفلسطينيين لا يميلون كثيراً إلى التعامل مع الطرائف، ولا يحبذون - وبشكل ملحوظ - الاستجابة الواضحة للضحك، ولا يخلدون - كما هو الحال لدى بعض أبناء الأمة العربية - إلى الإحماض وسرعة الأنس، ويتعاملون مع الفكاهة ببعض الحذر والحيطة، والكثير منهم ينأون بأنفسهم عن الدخول في المزاح ويتجنبونه مخافة أن يُنعتوا "بالمسخرجية"، وهي صفة غير كريمة، تزيح الهيبة والوقار عن صاحبها، وتقلل من قدره في المجتمع، بل لو حتى ازداد الضحك عند الفلسطينيين، فإن أعينهم سرعان ما تدمع ولكأنهم يحسدون أنفسهم على ضحك يعتقدون أنه سيجلب لصاحبه ضراً، وسيولد من بعده مكروهاً، لذا فسرعان ما يتوقف الفلسطيني عن الضحك، ويتوسل إلى ربه أن يجعله خيراً، وكثيراً ما نرى الفلسطيني إذا ما رأى قوماً يطيلون الضحك، ويستغرقون فيه - بشكل غير اعتيادي - فإنه سرعان ما يحثهم على تجنبه، ومحاولة ستره وإخفائه عن الأنظار.

# أهم نتائج البحث

توصل الباحث إلى عدد من النتائج، يقف على رأسها:

١- أن هناك أكثر من "جحا" في الأدب الفكاهي العالمي، ولكن أكثرهم شهرة هو "جحا" العربي وهو أبو الغصن الفزاري، وجحا التركي وهو الخوجة نصر الدين.

٢- أن الإسلام لا يقف عقبة أمام الضحك المسؤول، والمزاح الذي لا يتناول الأعراض، والبعيد عن السب والشتم واللعن.

٣- أن كثرة وجود المفارقات في الأدب الفلسطيني، مرده إلى الظروف الطارئة التي واجهها وعايشها الفلسطينيون.

٤- أن الطرفة تدل على صاحبها، فمن خلال الطرائف والضحك يمكن معرفة سمات الشعوب وتبين قسمات الأمم، وملامح الشخصيات، وثقافتها، وأخلاقها.

٥- أن العلاقة وطيدة بين الطرائف وبين كثير من العلوم، وفي مقدمتها علما الاجتماع والمخابرات.

٦- وقوف الأنظمة الجائرة ضد الطرائف، التي تستهدف الحكام، وأركانهم بالنقد والتعرية، حيث تقوم الأجهزة الأمنية بمطاردتها وملاحقتها، ومحاصرتها ومن ثم مصادرتها.

٧- أن الإسهام في جمع الطرائف يعد مهمة قومية وواجباً وطنياً، من أجل الوقوف في وجه محاولات الأعداء طمس الهوية الفلسطينية، وتزوير التاريخ.

٨- أن المكتبة الفلسطينية تفتقر إلى الكتب التي تبحث في الشأن الفكاهي الفلسطيني، وتعني بأدب النكتة.

٩- أن الفكاهة لا تتوقف ولا تتكرر، لكنها تتغير في كل الأوقات، والسبب أن الانقطاع عن التغيير إنما هو انقطاع عن الحياة.

١٠- أن النكتة سلاح فعال، تلجأ إليه الأمم المضطهدة، لمهاجمة أعدائها والنيل منهم، وهو سلاح أثبت جدارته، ونجاعته، وفاعليته.

١١- تدل الفكاهة على أخص خصائص الشعوب الفكرية والنفسية.

١٢- الأدب الفكاهي الناجح هو الذي تتوافر فيه براعة الوصف، ودقة التصوير، وواقعية اللغة.

١٣- تعتمد الفكاهة على التلميح الدال، والإشارة السريعة، ولا تحتمل التحليل، أو الاستقصاء، ومن ثَم فهي تستلزم العبارة الواضحة، واللغة السهلة.

١٤- يُفترض في مطلق النكتة: الذكاء، والجرأة، وسرعة الخاطر، وخفة الروح، والقدرة على التصوير.

١٥- تنطوي طبيعة الإضحاك على عنصر المفاجأة وعدم التوقع، والمفارقات.

١٦- أن بحثاً واحداً، وباحثاً بمفرده، لا يكفيان مطلقاً لجمع الطرائف الفلسطينية، وتحليلها، والأمر في حاجة إلى جهود مستقبلية، وتعاون أكبر من المخلصين للوطن، والغيورين على قضاياه.

# المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر والمراجع:


- د. إبراهيم السعافين: تحولات السرد، دار الشروق، عمّان ١٩٩٦.
- إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٣.
- إميل حبيبي: الأعمال الأدبية الكاملة، ط١، الناصرة ١٩٩٧.
- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية (د .ت).
- أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، المجلد العاشر، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت (د. ت).
- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج٢، صححه وضبطه أحمد أمين وزميله، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (د. ت).
- أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط د. عبد السلام هارون، المجلد الثالث، دار الجيل، ط١، بيروت ١٤١١- ١٩٩١.
- أحمد عبد التواب عوض: نوادر الأعراب، دار الفضيلة، القاهرة (د. ت).
- د. أحمد عبد الغفار عبيد: أدب الفكاهة عند الجاحظ، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٢- ١٩٨٢.
- د. أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، ج١، طبعة مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦.
- د. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ط١، دار القلم، بيروت ١٩٨٠.
- د. أنيس فريحة: الفكاهة عند العرب، مكتبة رأس بيروت، بيروت ١٩٦٢.
- د. أيمن بكر: السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.
- ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٧٩.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨م.
- ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، القسم الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة د. عبد القادر القط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (د. ت).
- ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرح عبد السلام هارون وزملائه، المجلد السادس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٨- ١٩٤٩..
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

- اسكندر الخوري البيتجالي: أدب وطرب في مجالس العرب، دار النشر العربي، الطبعة الثالثة ١٩٧٦.
- الآبي: نوادر أبي العيناء ومخاطباته من كتاب نثر الدرر في المحاضرات، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، ط١، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢.
- الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
- الجاحظ: البخلاء، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٦٩.
- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ١٩٩١.
- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة ١٤١٦- ١٩٩٦.
- الزمخشري: أساس البلاغة، ج٢، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.
- السيد عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا ١٣٩٧- ١٩٨٨.
- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٣، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت.
- الكزاندار هجرتي: علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي للنشر، القاهرة ١٩٦٧.
- المتوكل طه وزميله: الثقافة والانتفاضة، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط١ (د. ت).
- المتوكل طه: الساخر والجسد، منشورات الدار الوطنية للترجمة والنشر، ط٢، نابلس ١٩٩٤.
- المسعودي: مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨.
- المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط٢٨، بيروت ١٩٨٦.
- بو علي ياسين: بيان الحد بين الهزل والجد، دراسة في أدب النكتة، دار المهدي للثقافة والنشر، دمشق ١٩٩٦.
- توفيق الحاج: حجر وموت وقرنفلة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط١، القدس ١٩٩٢.
- توفيق الحكيم: أقاصيص ونوادر أشعب، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣م.
- جورج عبده معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ١٩٧٤.

- د. حسن خريوش: أدب الفكاهة الأندلسي، منشورات جامعة اليرموك، الأردن (د. ت).
- حسين القباني: فن كتابة القصة، دار الجيل، ط٣، بيروت ١٩٧٩.
- حيدر قفة: المعارضات وأثرها في الأدب العربي، ط١، عمان ١٤١٦- ١٩٩٥.
- خالد القشطيني: سجل الفكاهة العربية، الطبعة الأولى، دار الكرمل، عمان ١٩٩٣.
- د. رجا سمرين: ديوان، ط١، الكويت ١٤٠٥- ١٩٨٥.
- د. زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، القاهرة (د. ت).
- زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي: غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، دار ابن حزم، ط١، بيروت ١٤١٨- ١٩٩٧.
- سليمان شاهين: موسوعة طرائف ونوادر، دار أسامة، ط١، عمّان ٢٠٠٠.
- د. سي. ميوك: موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، ١٩٨٧.
- د. شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٩، مطابع السياسة، الكويت ٢٠٠٣.
- د. شريف كناعنة: الدار دار أبونا، مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢.
- د. شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، ط١، دار المعرفة ١٩٦٨.
- د. شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
- شوقي محمد يوسف: فكاهات وطرائف، دار الفضيلة، القاهرة (د. ت).
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الرابع، دار الكتب، القاهرة (د. ت).
- صالح خريسات: سيكولوجية الضحك، دار آفاق، الطبعة الأولى، عمان (د. ت).
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: نكت الهميان ونكت العميان، وقف على طبعة أحمد زكي بك، دار المدينة (د. ت).
- د. صلاح الفوال: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ١٩٩٦.
- د. طلعت إبراهيم لطفي: مدخل إلى علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة (د. ت).
- د. ظافر القاسمي: الحياة الاجتماعية عند العرب، دار النفائس، ط١، بيروت ١٣٩٨- ١٩٧٨.
- عادل حمودة: النكتة السياسية، كيف يسخر المصريون من حكامهم، الفرسان للنشر، القاهرة ١٩٩٩.
- عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك، دار الهلال، القاهرة (د. ت).

- د. عبد الحميد يونس: دفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.
- د. عبد الخالق محمد العف: التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١، مطابع رشاد الشوا، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، غزة ٢٠٠٠م.
- د. عبد الرحمن بسيسو: استلهام الينبوع، مؤسسة سنابل، ط١، ١٩٨٣.
- د. عبد الرحمن ياغي: في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، دار الشروق، ط١، عمَّان ١٩٩٩.
- عبد الرحيم محمود: الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق د. عز الدين المناصرة، دار الكرمل، عمَّان ١٩٩٣.
- عبد العزيز البشري: المختار، ط٤، ج٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠.
- عبد العزيز سيد الأهل: النكتة المصرية، دار العلم للملايين، بيروت (د. ت).
- عبد الغني العطري: أدبنا الضاحك، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٤.
- عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ط١، الزرقاء ١٩٨٥.
- د. عبد القادر حسين: فن البلاغة، مطبعة الأمانة، مصر (د. ت).
- عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، مطبعة صبيح، القاهرة ١٩٥٩.
- د. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠.
- د. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية في مصر، دار المعارف، ط٣، القاهرة (د.ت).
- دكتورة عزيزة السيد: العدوانية واستجابة الضحك، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠.
- علي الخليلي: النكتة العربية، انفجارات في الأرض اليابسة، منشورات الأسوار، ط١، عكا ١٩٧٩.
- د. علي محمد عودة: الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ط٢ ١٩٩٧.
- علي مروة: موسوعة الأدب الضاحك، دار الشفق، بيروت (د. ت).
- د. عمر فروخ: شاعران معاصران إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي، ط١، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت ١٩٥٤.
- عودة السارد، قراءات في أعمال رشاد أبو شاور الروائية، تقديم د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- غادة أحمد بيلتو: أبو سلمى حياته وشعره، دار طلاس للنشر، ط١، دمشق ١٩٨٧.

- د. فادية الجولاني: مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣.
فاطمة محمود: جحا حول العالم، دار الطلائع للنشر، القاهرة (د. ت).
- د. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩١م.
- د. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤١٣-١٩٩٣.
- محمد بن حبان البستي: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٧- ١٩٧٧.
- محمد حسنين أبو موسى: دلالات التراكيب، منشورات جامعة قار يونس، ط١، بنغازي ١٩٧٩م.
- د. محمد صلاح أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ط١، مطبعة المقداد، غزة ٢٠٠٠.
- د. محمد عبد المنعم خفاجي: أصول النقد: الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د. ت).
- د. محمد ونعمان علوان: من بلاغة القرآن، ط٢، الدار العربية للنشر ١٩٩٨م.
- محمود درويش: ذاكرة للنسيان، ط١، دار الأسوار، عكا ١٩٨٧.
- محمود غنايم: بين الالتزام والرفض، منشورات أبو عرفة، القدس ١٩٨٠.
- مروان نور الدين سوار وزميله: المعجم المفهرس لكلمات القرآن الكريم، دار الفجر الإسلامي، ط١، دمشق ١٤١١- ١٩٩١م.
- معين بسيسو: الأعمال المسرحية، دار العودة، ط١، بيروت ١٣٩٩-١٩٧٩.
- معين بسيسو، قصائد مختارة، طبع على نفقة الأستاذ عدنان يوسف العلمي (د. ت).
- د. نبيل خالد أبو علي: في نقد الأدب الفلسطيني، ط١، دار المقداد، غزة ٢٠٠١.
- د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٤.
- نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ط١، ج٦، منشورات نزار قباني، بيروت ١٩٩٣م.
- نمر سرحان: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ١٩٧٤.
- نوادر جحا الكبرى، ترجمة حكمت شريف الطرابلسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٨.
- هارون هاشم رشيد: طيور الجنة، ط١، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨.
- هاني الخيّر: مشاهير وظرفاء القرن العشرين، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٩٣.

- هنري برجسون: الضحك بحث في دلالة المضحك، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣.
- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، طبعة رفاعي ١٩٣٥م.
- يحيى حقي: دمعة فابتسامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.
- يحيى شامي: أبو دلامة وأبو العيناء، دار الفكر العربي، ط١، بيروت ١٩٩٢.
- د. يسرى جوهرية عرنيطة: الفنون الشعبية في فلسطين، ط٣، فلسطين ١٩٩٨.
- د. يوسف حداد: المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصة، مركز الأبحاث م.ت. ف، ط١ ٨٥م.
- يوسف حطيني: مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩.
- يوسف قزما خوري: الملح، ج٢، ط١١، دار الحمراء، بيروت ١٩٩٣.
- د. يوسف مراد: مبادئ علم النفس العام، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٨.

## ثانياً: الدواوين الشعرية:

- أبو الفتح البستي: ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب وزميلها، دمشق ١٤١٠-١٩٨٩.
- أبو تمام: ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، ط٥، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- أبو دلامة: ديوان أبي دلامة، شرح وتحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الجيل، ط١، بيروت ١٤١٤- ١٩٩٤.
- أحمد شوقي: الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، ج٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤.
- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، شرحه أحمد أمين وزميلاه، ج١، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- د. رجا سمرين: ديوان، ط١، الكويت ١٤٠٥- ١٩٨٥.
- سليم الزعنون: ديوان وهكذا نطق الحجر، ط١، دار الكرمل، عمّان ٢٠٠٠م.
- سليم الزعنون: ديوان يا أمة القدس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥.
- سميح القاسم: ديوان الحماسة، منشورات دار الأسوار، عكا ١٩٧٩م.

- سميح القاسم: ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت ١٩٨٧.
- عبد الرحيم محمود: ديوان عبد الرحيم محمود، جمع وتقـديم د. كامـل السـوافيري، دار العودة، بيروت ١٩٩٩.
- عبد الكريم الكرمي: ديوان عبد الكريم الكرمي، دار العودة، بيروت (د. ت).
- محمود درويش: ديوان محمود درويش: المجلد الأول، ط١٤، دار العودة، بيروت ١٩٩٤.

## ثالثاً: الصحف والمجلات والنشرات:

- جريدة الحياة الجديدة، العدد ٢٣٠٤، تاريخ ٢٠٠٢/١/١٧.
- جريدة القدس، تاريخ ٢٠٠٢/٤/١٤.
- مجلة أبحاث اليرموك، المجلد ١٣، العدد الثاني ٩٥م.
- مجلة اضحك، محمد بدارنة، ط١، حيفا، أيار ٩٥م.
- مجلة السعادة، نكت عالماشي، العدد السادس، غزة، يوليو ٢٠٠٣.
- مجلة حماة العرين، العدد ٤٠، الشهر السابع، غزة ١٩٩٧.
- مجلة فتيان الإيمان، العدد الرابع (د. ت).
- مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السابع، العدد الأول ١٩٩٢.
- مجلة مكتبة الآداب، الإسكندرية ١٩٤٣م.
- نشرة الجيل المؤمن، نشرة شهرية تصدر عن الكتلة الإسلامية في مدارس قطاع غزة، العدد ١٦ (د. ت).
- نشرة فرح، صادرة عن البرلمان الفلسطيني الصغير، العدد الثاني (د. ت).